الإنسان و قضايا العصر
من خلال رؤية وجهود الأستاذ
فتح الله كولن

إعداد
د/ نوسه السيد محمود السعيد
مدرس بقسم العقيدة والفلسفة بالكلية

(الإنسان وقضايا العصر من خلال رؤية وجهود الأستاذ فتح الله كولن)

نوسه السيد محمود السعيد

قسم العقيدة والفلسفة(شعبة أصول الدين)- كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة- جامعة الأزهر- مصر

البريد الألكتروني: NosaELsaid202.@ elazhar. edu.eg

الملخص:

وقد عرضت الباحثة فيه رأي كولن فيما يخص دور الإنسان، ومركزيته في الكون، وحقوقه المختلفة، التي تشمل حقه في الأمن، والسلام، وحفظ دينه، وعرضه، وروحه، وفكره من الإرهاب، وحقه في الحوار والتعايش، وحقه في الحرية بصورها المختلفة، وكذا تحدثت الباحثة عن حق المرأة في أدوارها المختلفة. ـ.وتحدثت فيه عن مفهوم الحضارة عند (كولن) وسنن الله في قيام الحضارات، ومعادلة قيام الحضارة عند (كولن) ـ التي تتمثل في (الإنسان+ الأرض+ الزمن) ـ. وناقشت الباحثة مفهوم التجديد عند (كولن) ومجالاته، ومعوقاته، وكذا رؤيته لتجديد الفكر الإسلامي ونهضة الأمة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: فتح الله كولن، قضايا العصر، حقوق الإنسان، الحضارة، التجديد

(Human and Contemporary Issues through Seeing and Efforts of Professor Fathallah Colin)

Nosa ELsayed Mahmoud ELsaid

Department of Creed and Philosophy, Fundamentals of Religion Division, College of Islamic and Arab Studies for Girls in Mansoura. Al-Azhar University – Egypt.

Email; NosaELsaid202.@el azhar.edu.eg

Abstract:

In it The researcher presented Colin's opinion regarding the role of the human being, his centrality in the universe, and his various rights, which include his right to security, peace, the preservation of his religion, his presentation, his spirit, his thought of terrorism, his right to dialogue and coexistence, and his right to freedom in its various forms, as well as The researcher spoke about The right of women to perform a tool. The researcher talked about the concept of civilization when (Colin) and the law of God in the rise of civilizations, and the equation for the rise of civilization at (Colin) - which is represented in (human + land + time).I discussed the concept of renewal (Colin) and its fields, and its constraints, as well as his vision for the renewal of Islamic thought and the renaissance of the Islamic nation.

Keywords:Contemporary Issues, Fathallah Colin, Human Rights, Civilization ,Renewal.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الأطهار الميامين، وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن العصر الحالي قد زادت تعقيداته وتحدياته على المستوى الإسلامي والعالمي، وزادت معه القضايا والمشكلات الجديدة التي تتطلب من المسلمين ـــ والمفكرين منهم خاصة ـــ وضع معالجات لتلك المشكلات، وبيان وتجلية وجه الإسلام المشرق في معالجتها، والقضاء عليها؛ ومن ثم كان لزاما على الفلسفة الإسلامية والمهتمين بها تجديد قضاياها، وعدم الاقتصار على القديم فقط؛ بل ينبغي لها النظر إلى الواقع المعيش، والاسهام في بحثه، وتقديم حلول له، وعدم التغريد بمنأى عنه؛ وإلا ظلت أثرا، لا علما حيا، وقد قاد هذه الفكرة (فكرة تجديد الفلسفة الإسلامية) بعض مفكرينا؛ كالدكتور حامد طاهر، الذي دعا إلى أن تهتم الفلسفة الإسلامية بقضايا الواقع مثل: التجديد، والحوار بين الأديان، والسلام، والإرهاب، وحقوق الإنسان، والمواطنة، والتعايش، والديمقراطية، وتهتم ـــ كذلك ـــ بقضايا الحضارة، والنهوض بالمجتمع، وألا تنعزل في ركن الدراسات القديمة.

وقد اهتم شيخ الأزهر ـــ والمؤسسة بأكملها ـــ في الآونة الأخيرة بتلك القضايا؛ فرأينا مؤتمرات عدة للأزهر، في محاور التجديد، والحوار، والتعايش، وباتت تلك المضامين سببا مباشرا في إنشاء مؤسسات ومشاريع؛ كبيت العائلة، ومرصد الأزهر، ووثيقة الأزهر مع الفاتيكان، وبدا أثرها واضحا في الكتب والدوريات التي يشرف الأزهر على نشرها، بل حتى مناهج الطلبة لم تخل من هذه القضايا المعاصرة.

كل ذلك أتى تلبية لدعوة الاهتمام بالواقع، وعدم الانفصال عن المجتمع ومشكلاته، ومما يقوي هذه الرغبة أن الأجيال الجديدة -خاصة ونحن في عصر العولمة – قد يتخبط بعضها في ظلمة الشبهات، ويملأه الشك؛ جراء ما يطالعونه من مشكلات فكرية كثيرة، وقضايا معاصرة؛ وشبهات حول الإسلام؛ فينبغي ـــ حينئذ ـــ ألا يطول انتظارها للمخلص، الذي يمد لها يد العون بإخلاص؛ فيسهم في تقرير الحقائق، وحل المشكلات، وتقديم الحلول الإسلامية الناجعة، بدل أن تقدم لهم الحلول

المستوردة، والتي لا تتناسب مع ديننا وقيمنا، وهذه هي مهمة الفيلسوف المسلم الذي يهمه أمن مجتمعه، وسلامة فكر جيله، والدفاع عن دينه وحضارته.

ومن النماذج التي اضطلعت بمهمة بحث الواقع والقضايا المعاصرة، ووضع الحلول والمعالجات لها، والإسهام في بيان صورة الإسلام وحضارته ومدنيته ــ المفكر التركي المعاصر الأستاذ (فتح الله كولن) الذي أسس رؤيا متميزة لنهضة العالم الإسلامي، إلى الحد الذي يعقد فيه مؤتمر في جامعة الدول العربية بالقاهرة لبحث محاور التجديد والإصلاح في فكره، ومقارنتها بحركات الإصلاح في العالم الإسلامي، وسبل الاستفادة من طريقته وتطبيقها (مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي.. خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية عام ٢٠٠٩م)، إلى جانب إشادة كبار علماء مصر ومفكريها بفكره وجهوده، وعلى رأسهم الإمام الأكبر شيخ الأزهر، إضافة إلى أن بعض كتب الأستاذ تدرس في بعض أروقة الأزهر الشريف، وقد نشرت مجلة الأزهر سلسلة من مقالات الرجل، كما تضم مدارس صلاح الدين التابعة له في مصر في مجلس إدارتها بعض علماء الأزهر الشريف، وكذلك فقد نوقش في الجامعات المصرية (ومنها جامعة الأزهر) عدد من الرسائل العلمية في فكر الرجل، وجهوده في مجالات الدعوة، والتربية وغيرها.

وسبب بروز الأستاذ (كولن) كمفكر إسلامي أمور عديدة منها:

أنه جمع في فكره بين الأصالة والمعاصرة؛ فألم بالتراث القديم؛ واطلع على جل العلوم والمذاهب والفلسفات الحديثة، فاستفاد من العلوم الحديثة في خدمة وتدعيم قضايا العقيدة، فأسهم بذلك في وضع لبنة في بناء علم الكلام الجديد؛ الذي تركز قضاياه على النص والواقع معا، فمسائله تتوزع بين عدة أمور، منها قضايا عقدية إلهية؛ كالبحوث الخاصة بأصول الدين، وقضايا التربية الروحية والأخلاقية، وقضايا حقوق الإنسان، والتوفيق مع العصر.

وكذا تفاعل (كولن) مع مشكلات وتحديات العصر المحلية والعالمية؛ فشارك برؤاه في وضع حلول لها؛ مسهما بذلك في وضع لبنة في صرح الفلسفة الإسلامية المعاصرة؛ التي تشمل شتى الأفكار التي جاءت إجابات على تحديات شائكة؛ ابتداء من القرن التاسع عشر، ولا تقتصر على الحقل الفلسفي الأكاديمي، ولا على المشتغلين بالفلسفة حرفة، بل يتسع المجال ليشمل كل المحاولات التي

بدأها أصحابها من حقول معرفية أخرى، لكنهم في النهاية استطاعوا تقديم رؤيا لطبيعة الموقف الذي ينبغي اتخاذه تجاه تحديات العصر ومشاكل الأمة، على المستوى المعرفي، والسياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، فالفلسفة مرآة العصر، ومع ذلك فهي ليست فهما مجردا للعالم، بل سعيا متواصلا نحو تغييره إلى الأفضل، وهنا تتحول من النظر إلى العمل، وتنتقل من علم للتفسير إلى علم لتغيير النفس، والمجتمع على كافة المستويات.

وهذا مما تميز به (كولن) أيضا فقد حول الأفكار والرؤى إلى واقع مشاهد؛ فجميع الأفكار التي دعا إليها طبقها، وأقرها واقعا، تشهد على ذلك المؤسسات التعليمية، والتربوية، والإغاثية، ومؤسسات الحوار التي أنشأها، والمنتشرة في أكثر من مائة وستين دولة على مستوى العالم.

وقد ولد محمد فتح الله بن رامز أفندي بن شامل في مدينة أخلاط التركية، ــ وكولن هو لقب عائلته ــ في ٢٧ إبريل ١٩٤١م، وقيل ١٩٣٨م، قضى طفولته في مجالسة العلماء والمشايخ، وحفظ القرآن عام ١٩٥١م، وتعلم العربية، والفارسية، وعلوم العربية، والفقه، والأدب، وقرأ الفلسفات القديمة والحديثة للشرق والغرب، وتربى تربية صوفية، ولم يتلق تعليما منتظما في المدارس إلا قليلا، واعتمد على التعليم الذاتي، جاء في المرتبة الأولى ضمن قائمة أهم مائة مثقف في العالم ٢٠٠٨م، بدأ حياته كواعظ في المساجد، ثم امتد نشاطه في إنشاء المدارس، والجامعات، ودور العلم، والثقافة داخليا وخارجيا، وترجمت مؤلفاته إلى عدة لغات عالمية، ومن مؤلفاته: النور الخالد محمد (صلى الله عليه وسلم) مفخرة الإنسانية، ونحن نقيم صرح الروح، الموشور، الموازين، ونحن نبني حضارتنا، وغيرها[١].

عاش (كولن) في فترة كان الدين فيها محاصرا من الدولة والمجتمع المثقف، فأخذ على عاتقه استعادة الحياة الإسلامية، ورأى أن النهضة تبدأ من إعادة صياغة الإنسان بالتربية البانية للعقل والوجدان، وبالتعليم الذي يفتح الآفاق

١-. ينظر: أرطغرل حكمة: فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر ترجمة: عبد المولى علي- خالد جمال الدين وينظر: د/ إبراهيم البيومي غانم: بحث معالم في سيرة خوجه أفندي محمد فتح الله (البسام) الأناضولي .

للولوج إلى عالم المعرفة، وامتلاك ناصية العلوم والتكنولوجيا، وساعده في مسعاه عدد من المخلصين من مختلف الفئات، ومنهم رجال أعمال تحمسوا لفكرته، وعرفت هذه الحركة بحركة (الخدمة)، وكانت مشروعا مدنيا يستهدف خدمة الإنسان[١] عن طريق وسائل التربية، وانشاء المدارس، والجامعات، والمستشفيات، والمؤسسات التطوعية، التي تخدم كافة الناس باختلاف أديانهم، في تركيا وخارجها، في أوقات الحروب، والأزمات الدولية، وكذا منتديات للحوار، ومؤسسات ثقافية وإعلامية متنوعة داخل تركيا وخارجها تنشر الفكر المعتدل وتتميز بالوسطية والتسامح مع المخالفين، بل وأُنشئت كراسي أكاديمية داخل الجامعات الأجنبية تنشر الفكر الإسلامي.

فالخدمة ليست حركة سياسية[٢] وإن كانت تهتم بالواقع، وليست جماعة صوفية رغم اهتمامها بالبناء الروحي للإنسان، بل هي حركة إصلاحية ترمي إلى التجديد، والنهضة، وإعادة بناء الحضارة، وصياغتها على أساس إسلامي.

وقد سافر (كولن) إلى أمريكا منذ عام ١٩٩٩م، وما زال يقيم بها إلى الآن متخذا من دار إقامته موطنا، ومدرسة يعلم فيها الشباب، ويربيهم على القيم الإسلامية، عن طريق منهج متكامل يجمع بين مدارسة القرآن والسنة، وكتب التراث والفكر، إلى جانب استقبال كثير من الجنسيات، والأديان، والمثقفين الذين يودون التعرف على الإسلام، إضافة إلى مقالاته، ولقاءاته في الصحف العربية، والأجنبية، وكتاباته في المجلات الفكرية؛ كمجلة حراء، التي يعرض فيها كثير من قضايا العالم الإسلامي، ويرد على كل ما يثار عن الإسلام، إضافة إلى مؤسسات الحوار التي أنشأها في داخل تركيا وخارجها؛ لتهتم بالحوار والتعايش وتواجه ما يطرأ من مشكلات بين أصحاب الأديان.

اهتم كولن بالتراث الكلامي، وناقش كثير من قضايا العقيدة، ولكنه ركز على الناحية العملية، مما يحتاجه المسلمون فعلا في بناء عقيدتهم، نائيا عن مواضع الجدل التي لا تفيد المسلم المعاصر؛ فتكلم في الإلهيات موجها الأنظار

١-. ينظر:عبد القار الإدريسي: نور وفتح قراءة في فكر سعيد النورسي وفتح الله كولن ص٩٧ ، ١٥٢ ،دار النيل ط الأولى ١٤٣٦هـ- ٢٠١٤م.

٢-. ينظر:مايمول أحسن خان: فتح الله كولن الرؤية والتأثير في المجتمع المدني ص ١٧٠ترجمة: أحمد سعيد عب الوارث – محمود علي جمعة دار النيل ٢٠١٥م.

إلى التفكر في الكون، وآثار الله التي تدل عليه، وتكلم عن اثبات وجود الله مستدلا بطرق جديدة؛ إضافة الى طرق المتكلمين والفلاسفة، وتكلم عن صفاته وأسمائه، وعن القدر، وفي النبوات له كتاب عن النبي(صلى الله عليه وسلم) سماه (النور الخالد) تكلم فيه عن صفاته، ومعجزاته، وطرق اثبات نبوته بطرق كثيرة تلامس العقل والوجدان، إضافة الى طريقة المتكلمين، وفي السمعيات تكلم عن الموت، والبعث، واليوم الآخر ــ دون المسائل الجدلية ــ بطريقة روحية، تطرق على الجانب الوجداني في الإنسان، وتجعله يتأهب لهذه المراحل، كبداية لحياة جديدة خالدة[١].

وقد اهتم كولن بالتراث الفلسفي للفلاسفة المسلمين، وانتقد طبع الفلسفة بالصبغة اليونانية، وكان من الداعين المتحمسين إلى بناء فلسفة إسلامية مستقلة عن الفلسفات الأجنبية، فلسفة خاصة أساسها ومبناها هو ديننا وقيمنا، وأسهم في بحث القضايا المعاصرة وتقديم معالجات لها، وبيان صورة الإسلام وعدالته وتحضره، وامتلاكه القدرة على حل مشكلات الإنسانية، ومناسبته لكل زمان ومكان.

و تكمن أهمية البحث فيما يلي:

١- التعرف على شخصية فكرية معاصرة، لها رؤى مستقلة في مجال الفكر الإسلامي.

٢- إلقاء الضوء على فكر إسلامي حداثي، جمع بين الأصالة والمعاصرة.

٣- تسليط الضوء على رؤى كولن في مجال حقوق الإنسان، والرد على شبهات المغرضين.

٤- تقديم رؤى فكرية معاصرة حول تجديد الفكر الإسلامي.

٥- عرض معادلة معاصرة عن قيام الحضارة، والنهضة بالأمة الإسلامية.

٦- توجيه نظر الباحثين والمفكرين إلى ضرورة قيام فلسفة إسلامية، مستقلة، تنبع من أصولنا وقيمنا.

١-. لتفاصيل أكثر ينظر للباحثة: فتح الله كولن وآراؤه الكلامية والفلسفية رسالة دكتوراه بجامعة الأزهر عام ٢٠١٨م.

أما المنهج المستخدم في البحث فهو:

١- المنهج الاستقرائي:

فقد قمت بجمع المادة العلمية ذات الصلة بموضوعها من خلال نتاج (كولن)، ثم فحص الآراء، وتحليلها، واستخراج النتائج من خلالها.

٢- المنهج المقارن:

حيث قمت بالمقارنة بين آراء (كولن) وغيره من المفكرين؛ للوقوف على مدى الاتفاق والاختلاف في الرؤى.

هذا إلى جانب مناهج أخرى اقتضتها طبيعة البحث.

وسأستعرض في هذه الصفحات رؤى كولن في بعض القضايا المعاصرة منها: حقوق الإنسان، التي تتضمن قضايا السلام والحوار، والإرهاب، و الحرية، والشورى، والديمقراطية، وحقوق المرأة، ثم عن رؤاه الحضارية، ومعادلة قيام الحضارات لديه، مقارنة بغيره من المفكرين، ثم ــ أخيرا ــ سأتحدث عن جهوده في تجديد الفكر الإسلامي، والنهوض بالأمة الإسلامية.

ومن ثم يسرني أن أقدم للمكتبة العربية والإسلامية تلك الرؤى العقلية والواقعية لنهضة العالم الإسلامي، والإسهام في معالجة قضاياه المعاصرة، من خلال فكر وجهود المفكر الكبير الأستاذ فتح الله كولن.

وسيكون هذا البحث في ثلاثة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: حقوق الإنسان.

الفصل الثاني: الحضارة .

الفصل الثالث: التجديد .

د. نوسه السيد محمود السعيد

مدرس بقسم العقيدة والفلسفة بالكلية

الفصل الأول
حقوق الإنسان

يهتم الفلاسفة الإسلاميون حديثا بقضايا حقوق الإنسان؛ نظرا للاهتمام العالمي بهذه القضايا، واعتقاد كثير من الغربيين، - أوقل ترويج كثير من المغرضين- أن الإسلام لا يراعي حقوق المرأة والإنسان بوجه عام.

ولو تأملنا بنظرة حيادية سندرك أن الإسلام هو رأس الأديان، وحضارته حضارة الإنسان، حافظ عليه ورعى حقوقه صغيرا وكبيرا، ذكرا وأنثى .

حافظ على دينه، وعرضه، وماله، ونفسه، وعقله، وجعلها محرمات وأصولا لا يجب المساس بها وإلا تعرض الجاني لعقوبة الله في الدنيا قبل الآخرة.

إن مقاصد الشريعة الإسلامية تتمثل في قيام مصالح الناس في الدين والدنيا معا: "وقد روعي في كل حكم من أحكامها إما حفظ شيء من الضروريات الخمس وهي:(الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال)، والتي تعد أسس العمران المرعية في كل أمة، وإما حفظ شيء من الحاجيات كأنواع المعاملات، وإما حفظ شيء من التحسينات التي ترجع إلى مكارم الأخلاق، وإما تكميل نوع من هذه الأنواع بما يعين على تحققه"[١] .

وحفظ هذه الأنواع المشار إليها يعني حمايتها من أي اعتداء عليها، وهذه الحماية حق لكل فرد فهي إذن تمثل حقوقا للإنسان بكل ما تحمله الكلمة من معنى[٢].

فالإنسان محور أساسي في أي فلسفة حقيقية قديمة، أو حديثة، أو معاصرة؛ لكونه المخلوق الوحيد المميز بنعمة العقل والفكر.

وفلسفة (كولن) محورها ومركزها هو الإنسان؛ ولذا اعتبر أحد رواد الفلسفة الإنسانية في هذا العصر فقد أولى جميع جوانب الإنسان عنايته ومنها حقوقه المدنية، والاجتماعية، والسياسية.

١- الدكتور/ محمود حمدي زقزوق : الإنسان والقيم في التصور الإسلامي ص ٧٧ هدية مجلة الأزهر لشهر رمضان ١٤٣٦هـ.

٢- الإنسان والقيم في التصور الإسلامي ص ٧٧.

فالإنسان عند (كولن) وارث الأرض، ومهندس الروح، وهو المنوط به بناء الحضارة، واسترجاع قوة الملة وعزتها، وهو الخليفة المنوط به عمارة الأرض؛ ولذا فإن له ما لا يحصى من المقالات عن هذا الإنسان وصفاته، فهو يجمع بين القلب المتصل بالسماء، والعقل الباحث عن معارف الكون وأسراره: "إن من نبحث عنه يجب أن يكون إنسان قلب في المرتبة الأولى... بطل القلب هذا متعلق دائما بالسماء يبحث عن الحقيقة وكأنه يبحث عن مادة الحياة، ثم يعب منه بعد العثور عليه؛ لكي يترقى إلى مراتب الخلود، ومن ثم يؤسس عالم الإيمان والحب في خلايا المعرفة والعرفان التي أنشأها في عالمه الداخلي إنه رجل سماوي نحو الخارج فاتح للآفاق، ولدني نحو الداخل مكتشف للأنفس"[١].

ويركز كثيرا في بناء الإنسان على العمق الروحي، والفاعلية في الحياة والمجتمع[٢] إلى جانب الجوانب الأخرى[٣].

وكثيرا ما يتكلم عن الإنسان، ويقارن وضعه في الإسلام - وكيف راعى الإسلام جميع جوانبه - ووضعه في الأنظمة الأخرى التي نظرت لجانب واحد، وأهملت جوانبَ عدة.

يقول فتح الله: "إن الإسلام هو النظام الأمثل والأنسب مع سجية الإنسان وطبيعته، سواء من وجهة عالمه الداخلي الضيق، أو من وجهة علاقته بالعالم الكبير الشامل، ولا يوجد مثيل ولا شبيه له في الاستجابة لحاجات الإنسان ولن يوجد، وهذا الحال طبيعي للغاية؛ لأن مصدره هو الوحي الصافي النقي، وتفسيره الأول هو السنة"[٤].

ويقول: "إن الإسلام إذ يحاور مخاطبيه يأخذ بنظر الاعتبار كل مشاعرهم الظاهرة والباطنة، وكل أعماقهم من أمثال: الفكر، والحس، والشعور، والمنطق، والإدراك إنه يعتبر الإنسان كلا جامعا مع لطائفه وأحاسيسه، ويخاطبه في هذا الإطار فيستجيب لرغباته، ويسد احتياجاته الطبيعية والبشرية، ويمهد له البيئة

١- فتح الله كولن: مقال الإنسان الذي نتوق إليه ،مجلة حراء السنة التاسعة العدد ٤١ لعام ٢٠١٤م.

٢- فتح الله كولن : مقال الروح الباعثة مجلة حراء السنة الحادية عشر العدد ٥٢ لعام ٢٠١٦م.

٣- سأتحدث عنها بالتفصيل في مبحث الحضارة.

٤- فتح الله كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١١٠.ترجمة: عوني عمر لطفي أوغلو دار النيل ط الثانية ٢٠١٢م.

الصالحة؛ لانفساحه بيسر في كل زمان، وفي كل مكان"[١].

وهو في هذا يتميز عن سائر الأنظمة الأخرى، التي ترعى - مثلا- الجوانب المادية، وتهمل الروح، أو تراعي العقل فقط، وتهمل باقي الجوانب، يقول كولن: "الإسلام يختلف عن النظم السماوية وغير السماوية كافة بأسلوبه الخاص ومناهجه، وما اقترحه، وقدمه من حلول للمعضلات البشرية، وهو من كل وجه أنموذج الكمال بكل معنى الكلمة، فهو يضع الإنسان في إطار واسع، آخذا بنظر الاعتبار خصوصياته الأساسية بتمامها وملكاته الذهنية، والفكرية، والروحية بمجموعها، ثم يشحنه بطاقات متنوعة، فلا يحصر توجهه في العقل والفكر، ولا يقومه كوجود عقلي ومنطقي بحت، ولا يهمل أحاسيسه، ولا يغض البصر عن آليات وجدانه كما يفعل قسم من المدارس الفلسفية، بل الإسلام ينظر إلى الإنسان بعين الخالق تعالى، فيضعه في قالب متين بكله الذي لا يقبل التجزؤ والانقسام، ويستجيب لمطالب أحاسيسه الداخلية، والخارجية، ويمده بعناصر وجوده المادية، والمعنوية كلها "[٢].

وإذا أردنا أن نصنف (كولن) فيمكن أن نقول أنه أحد رواد الفلسفة الإنسانية الحديثة تلك الفلسفة التي " تضع الإنسان- كفرد وكمجموع وكنوع وكشكل للوجود- في مركز اهتمامها؛ ولذلك كان أكثر ما تنادي به الفلسفة الإنسانية هو أن الحياة الإنسانية بشكل عام - وحياة كل إنسان بشكل خاص- تتضمن شكلا من أشكال القيمة الإنسانية المتأصلة، واحترام هذه القيمة الإنسانية المتأصلة - في العديد من النظم الإنسانية- يشكل المنطلق أو الأساس للمبادئ الأخلاقية الأساسية"[٣].

ويراها (كولن) باختصار- أي الفلسفة الإنسانية- عقيدة تدعو إلى المحبة والإنسانية"[٤].

١- السابق ص ١١٠.

٢- السابق ص ١١١.

٣- الدكتورة. جيل كارول : محاورات حضارية حوارات بين فتح الله كولن وفلاسفة الفكر الإنساني ص ٢٧ تقديم البروفيسور أكبر أحمد، ترجمة: إلهام فتحي ، أحمد سعيد، دار النيل، ط: الأولى ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٤- نحو حضارة عالمية من المحبة والتسامح ص ٨ نقلا عن محاورات حضارية ص ٣٩.

ونظرا لاهتمام (كولن) البالغ بالإنسان جعلته الدكتورة (كارول) بقامة الفلاسفة الإنسانيين قديما وحديثا، وقارنت أراءه بآرائهم، فوجدت أنه لا يقل فكرا، وانتصارا للإنسان عنهم رغم اختلاف الزمان والمكان والأيديولوجية التي ينطلق منها كل منهم [١].

فكما تحدث (كانط) عن القيمة المتأصلة للإنسان، وجعل تلك القيمة - متمثلة في الشعور بالواجب والعقل والإرادة- هي أساس الأخلاق مبتعدا عن أي بعد أو أساس ديني لها نجد (كولن) في مختلف أعماله متحدثا عن القيمة السامية للبشر أيضا، وإن ربط كل كلامه بمصادر الإسلام الحنيف عكس ما فعل (كانط)[٢] .

وهناك نصوص كثيرة [٣] تدل على تقدير (كولن) للإنسان، وقد ذكر (كولن) عددا من السمات تدل على هذا التقدير في كثير من كتبه منها:

١- أنه مركز الكون وخليفة الله:

فالإنسان مركز الوجود وأسمى المخلوقات؛ لأنه تتجلى فيه أسماء الله الحسنى يقول كولن: "إن البشر – وهم أعظم مرآة تعكس أسماء الله وصفاته وأعماله- يمثلون مرآة لامعة وهم إحدى ثمار الحياة الرائعة، ومصدر للكون بأكمله وبحر يبدو كقطرة صغيرة، وشمس تشكلت كبذرة ضئيلة، ولحن عظيم رغم مكانتهم المادية المتدنية، وهم سر الوجود كله مجموعا في جسم صغير إن البشر يحملون سرا مقدسا يجعلهم يساوون الكون بكامله بما يمتلكونه من ثراء في شخصيتهم "[٤].

ويقول أيضا: "عندما يتصل هذا الكون غير المحدود - بكل ما فيه من ثروات ومقومات وتاريخ- مع الإنسانية يتضح لماذا تتجاوز قيمة البشرية قيمة أي شيء آخر، فالبشر - في الإسلام- لهم السيادة ببساطة؛ لأنهم بشر"[٥].

١- جيل كارول: محاورات حضارية ص ٢٧.

٢- محاورات حضارية ص ٣١- ٣٦

٣- سأقتبس هذه النصوص من كتاب محاورات حضارية لجيل كارول؛ لأنها رجعت فيها إلى كتاب كولن(نحو حضارة عالمية من المحبة والتسامح) وهو لم يترجم إلى العربية بعد.

٤- كولن: نحو حضارة عالمية من المحبة والتسامح ص ١١٢ نقلا عن محاورات حضارية ص ٣٦.

٥-كولن: نحو حضارة عالمية من المحبة والتسامح ص ١١٣نقلا عن محاورات حضارية ٣٦.

ويرى كذلك أن قيمة البشر تعلو فوق كل المخلوقات، فهم مركز الكون؛ ولذا كانوا خلفاء الله على تلك الأرض، يفسرون، ويحللون الكون، ويربطون تلك الأشياء والأحداث بخالقها تعالى، يقول (كولن): "الإنسان هو جوهر الوجود والعنصر الحيوي فيه، وهو المؤشر والمقوم الأساسي للكون، فالبشر هم مركز الخلق، وكل ما عداهم - سواء كان حيا أو غير حي- يشكل دوائر متمحورة حولهم...وبالنظر إلى كل ذلك التكريم الممنوح للإنسانية مقارنة بكل ما عداها من مخلوقات يجب أن ينظر إلى الإنسانية باعتبارها الصوت الذي يعبر عن طبيعة الأشياء وطبيعة الأحداث، وبالطبع طبيعة تلك الذات العلية التي تقف وراء كل شيء وفهمها باعتبارها القلب الذي يسع كل الأكوان، فبوجود البشر عثرت الخليقة على من يفسرها، وتم تحليل المادة من خلال معارف البشر وصولا إلى مضمونها ومغزاها الروحي، فمراقبة الأشياء قدرة يتميز بها البشر وحدهم، وقدرتهم على قراءة كتاب الكون وتفسيره امتياز ينفردون به، ونسبتهم كل شيء إلى الخالق نعمة عظيمة يتمتعون بها "[١].

٢- أنه يتميز بالعقل:

فلقد ميز الإنسان بالعقل وفضل على سائر المخلوقات بهذه الملكة.

٣- أنه يتميز بالفكر:

فالإنسان مرتبط بالعقل؛ لكونه أهم وظائفه، وهو أهم سمات الإنسانية[٢].

٤- يتسم بالحرية:

والحرية إحدى السمات التي تشكل كيان الإنسان وتعني: اختياره حركاته، وأفعاله، وامتلاكه استقلالية عبر عقل مفكر فعال[٣].

٥- يتوق إلى الدين والأخلاق:

يرى (كولن) أن كل مخلوق يركض وراء مصلحته الخاصة ومنفعته الذاتية إلا الإنسان فينشد معنى وروحا تتجاوز الوجود كله، فهو ولد توأما للدين،

١- نحو حضارة عالمية من المحبة والتسامح ص ١١٦ نقلا عن محاورات حضارية ص ٣٧.

٢- كولن: سلسلة العصر والجيل ٣ ص ٣٢ نقلا عن فتح الله كولن ومشروعه الحضاري ٣٠٩.

٣- سلسلة العصر والجيل ١ ص ٥٠ نقلا عن فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري ص ٣٠١.

وحوط بالأخلاق، ووقف على تتبع الفضيلة، عاشقا للخلود والأبدية[١].

ويؤكد (كولن) فوق ذلك أن الإسلام يمتلك التصور الأمثل لحقوق الإنسان، ولا يفوقه في ذلك ديانة، أو نظام، أو هيئة، فيعتبر الإسلام أن قتل نفس واحدة كقتل الناس جميعا [٢]، ويقول أيضا مفصلا :"كل إنسان - سواء رجلا أم امرأة، صغيرا أم كبيرا، أبيض أم أسود- له حرمته ويحظى بالاحترام والحماية، ولا يستحل ماله أو عرضه، ولا يجوز طرده من أرضه أو سلب حريته، ولا يجوز منعه من أن يعيش وفق مبادئه ومعتقداته، وما يحرم على غيره يحرم عليه أيضا ارتكابه بحق الآخرين، فلا يحق له إيذاء تلك الهبة(أي الإنسانية)التي وهبها الله له؛ لأن هذه النعمة ما هي إلا أمانة أودعها لديه الله وحده الذي يملك كل شيء، ويجب على الإنسان أن يدافع عن تلك الهبة وأن يحافظ على سلامتها فهي مقدسة بالنسبة له، فلا يحق له الإضرار بها أو السماح بأن تتعرض للضرر، وعليه أن يقاتل، وأن يموت من أجلها إذا لزم الأمر"[٣].

ولذا هاجم (كولن) الإرهاب والعنف بشدة، ودعا إلى السلام والحوار بديلا عن العنف - كما سنذكر-، وأيضا رأى أن الديمقراطية لا تعارض أحكام الإسلام المبنية على العدل والشورى والحرية كما سنرى .

ودعا إلى مراعاة حقوق الإنسان - كل الإنسان- الطفل، والرجل، والمرأة، وإتاحة الحريات، والأمن للجميع، وكل ذلك سيكون فيه تفصيل إن شاء الله لاحقا.

ومن هنا تناولت في هذا الفصل بعض القضايا التي كانت محط اهتمام (فتح الله كولن) والتي انتشرت في هذا العصر بصورة كبيرة في جميع وسائل التواصل والاتصال بين الشعوب والأمم؛ لكونها قضايا عالمية تهم المسلمين وغيرهم من أهل الديانات الأخرى .

ومن ثم جاء هذا الفصل في عدة مباحث: السلام في فكر كولن- قضية الإرهاب- الحوار مع الآخر- الحرية- الشورى والديمقراطية- حق المرأة.

١- ينظر: علي أونال: فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري ص ٣١٠.ترجمة: عبد الرازق أحمد محمد ، دار النيل، ط الأولى ٢٠١٥م.

٢- ينظر: جيل كارول: محاورات حضارية ص .٣٨

٣- نحو حضارة عالمية من المحبة والتسامح ص ١١٤ نقلا عن محاورات حضارية ص ٣٩.

المبحث الأول
السلام[١] في فكر كولن

والمقصود بالسلام هو المعنى الوارد في اللغة من تحقيق السلامة، والمسالمة، والصلح وعدم الحرب- إلا بحقها- بين الشعوب والأمم؛ لكوننا شركاء في الإنسانية.

وقد انتشر الإسلام في العالم كله بسماحته، وسيرة رسوله، وصحابته، وأتباعهم، وبمثله العليا، وتشريعاته، ومبادئه السامية الداعية إلى العدل والحرية والمساواة، فالدعوة الإسلامية لم تكن تحتاج إلى القوة أو السيف كما يقول المغرضون، "لم تكن تحتاج إلا لوجود جو من الحرية إذ أن عناصر الإقناع متوفرة فيها بما تقدمه من الأدلة المنطقية، ومن أجل ذلك لم يكن نشر الدعوة الإسلامية بحاجة إلى قوة سلاح إلا عند غياب الحرية، فتتدخل القوة لتوفير الحرية فقط لا غير"،[٢]وجميع الفتوحات الإسلامية قد دارت معاركها ضد جيوش القوى الباغية والغازية التي استعمرت الشرق لعدة قرون لا بين جيوش الفتح وأهل تلك البلاد، بل إن أهل تلك البلاد ساعدوا الفاتحين ماديا ومعنويا، وتركت لهم الحرية كاملة في أمر أديانهم ومعتقداتهم[٣].

بل إن السلام والأمن هو الأصل في مبادئ الإسلام: "إن الحرب ليست هي القاعدة إنما هي استثناء من القاعدة، وأنها لا يخلقها الإسلام، ولكن يخلقها أعداؤه بعدوانهم المسلح على دعوته السلمية إنها ضرورة تقدر بقدر أسبابها، وعقوبة

١- تعريف السلام:(سَلِمَ) السِّينُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ مُعْظَمُ بَابِهِ مِنَ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ. والسِّلْم: ضد الْحَرْب، وبمعنى الصلح. والسلام: المسالمة، والسلامة، والاستسلام، البراءة من العيوب، اسم من أسماء الله تعالى؛ لِسَلَامَتِهِ مِمَّا يَلْحَقُ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْعَيْبِ وَالنَّقْصِ وَالْفَنَاءِ، الجنة، الاسم من التسليم. ينظر: الخليل بن أحمد: العين باب (السين واللام ومعهم س ل م ، س م) ص ٧/ ٢٦٥، ابن دريد الأزدي: جمهرة اللغة باب (سلم) ص ٢/ ٨٥٨، ابن فارس: مجمل اللغة باب (السين واللام وما يثلثهما) ص ٤٦٩/١، مقاييس اللغة باب (سلم) ص ٩٠/٣، محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح باب (س ل م) ص ١٥٣/١.

٢- د/ عبد الباسط محمد أمين سليمان: المسلمون والآخر حوار تفاهم وتبادل حضاري ص ٩١ تقديم: أ د محمد إبراهيم الفيومي، الأزهر الشريف سلسلة البحوث الإسلامية، السنة التاسعة والثلاثون- الكتاب السابع عشر ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٣- المسلمون والآخر ص ٩١.

تزول بزوال الجريمة التي استوجبتها، وبالجملة أنها محدودة بحدود الدفاع المشروع لا تستقدم عنه خطوة ولا تستأخر خطوة﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [١].

وكانت معاملة المسلمين مع غيرهم أعدل ما رأت الإنسانية من المسالمة، وحفظ العهود، و(قانون لهم ما لنا، وعليهم ما علينا)، كان يرفرف عاليا بين المسلمين وأهل الذمة المقيمين معهم في نفس الوطن، أو قانون: ﴿ **فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ** ﴾[٢] بين المسلمين وغيرهم من البلاد الأخرى المختلفين معهم دينيا وحضاريا، أما المعتدون فلهم قانون الدفع دفاعا عن النفس، والدين، والوطن دون المساس بحقوق الضعفاء من العجائز، والنساء، والعباد، ودور العبادة حتى أثناء الحروب .

فالإسلام كرم الإنسان كل الإنسان، وليس هذا حكرا على شعب من الشعوب أو أمة من الأمم، أو لأبناء دين من الأديان، ونفى العنصرية والعنف، وسفك الدماء، واعتبر القتال استثناء، وسن العدل حتى مع المعتدين، وامتد التسامح الإسلامي وقت الفتوحات من أهل الكتاب إلى جميع أهل الديانات الوضعية، وفتح الإسلام أبوابه أمام الآخر الديني للإسهام في بناء الحضارة الإسلامية الجديدة، وترك هذا الآخر ليدير دولاب الدولة ودواوينها،[٣]وأفسح الطريق لمعاشرتهم والعيش معه، ومتى ما كانوا أهل ذمة تولى حمايتهم، وتركوا أحرارا في كسب معيشتهم، وأداء عبادتهم، وإقامة بيعهم وكنائسهم[٤].

وقد تحدث (كولن) حول هذه الفكرة كثيرا، وكان له إنتاج غزير من المقالات والدروس واللقاءات .

١- ا د/ محمد عبد الله دراز: نظرات في الإسلام ص ١٢٨ إصدار هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف لشهر ذي القعد ١٤٣٦هـ ، مطابع دار الجمهورية للصحافة . والآية في سورة البقرة الآية: ١٩٠ .

٢- سورة التوبة الآية: ٧.

٣- ينظر: د محمد عمارة الغرب والإسلام أين الخطأ؟ وأين الصواب؟ ص ٣٦- ٣٧ دار السلام للطباعة والنشر، ط: الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٤- ينظر: د إبراهيم مدكور : في الفكر الإسلامي ص ١٨٨- ١٨٩ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وسأتعرض في هذا المبحث لعدة أمور وهي: مصدر فكرة السلام عند كولن، ومفهوم السلام، والتطبيق العملي لدعوته إلى السلام.

أولا: مصدر فكرة السلام عند كولن:

مصدر هذه الفكرة عند (كولن) تتمثل في عدة منابع:

١- القرآن الكريم والسنة النبوية:

فتعاليم القرآن التي تدعو إلى التسامح والسلام مع الآخرين حتى من غير المسلمين وأقوال، وأفعال النبي - صلى الله عليه وسلم- التي تتسم بالتسامح مع الأعداء قبل الأصدقاء أكثر من أن تحصى، كل تلك النصوص والمواقف كانت نبراسا لفتح الله كولن في تبني هذه الفكرة والدعوة إليها، والعمل في سبيلها.

٢- تعاليم الصوفية:

يرى بعض من كتب عن (كولن) أن فكرته للسلام ونبذ العنف متأثرة بالتعاليم الصوفية، وبعض السادة الصوفية، والزعماء الروحانيين في تركيا أمثال: (سليمان حلمي طونا خان)، و(سعيد النورسي)[١].

٣- التجربة الشخصية:

حيث لعبت تجربته الشخصية ومعاناته دورا حيويا في فهمه لمنهج اللاعنف، حيث شهد بنفسه الصراع العنيف بين اليساريين والقوميين الذي تسبب في فقدان أرواح كان معظمها من الشباب، وشهد حرب العصابات الكردية ضد الحكومة التركية التي تسبب في موت ثلاثين ألفا على مدى خمسة عشر عاما، ثم إنه هو شخصيا قد قضى في السجن عدة أشهر بتهمة ممارسة النشاط الديني[٢].

ولذا كانت دعوته للسلام في أرجاء تركيا وخارجها؛ إيمانا بحق الأفراد والأمم في حياة آمنة مستقرة.

ثانيا: مفهوم السلام لدى كولن:

مفهوم (كولن) للسلام مرده إلى تعاليم الإسلام التي تدعو إلى الحب والرحمة حتي بالحيوانات، والأمن، والتضحية، والتسامح .

١- زكي ساري توبراك : السلام ونبذ العنف من منظور إسلامي التجربة التركية نموذجا من كتاب السلام والتسامح ص ٩٧- ١٠٨.

٢- السلام والتسامح ص ١٠٩.

في شرحه للحديث الشريف: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"[١] يقول: "المسلم هو إنسان السلام والأمن إلى درجة أن المسلمين الآخرين يستطيعون أن يديروا له ظهورهم بكل أمن؛ لأنهم يعلمون بأنه لن يؤذي أي أحد، وعندما يضطرون إلى إيداع أهلهم أمانة عنده يستطيعون ذلك دون أن يخالجهم أي خوف؛ لأنهم يعلمون عدم صدور أي أذى منه لا من لسانه ولا من يده، وهو يراعي كرامة الآخرين وشرفهم كما يراعي كرامته وشرفه تماما قد لا يأكل، ولكنه يطعم، وقد لا يشرب، ولكنه يسقي، وقد يفتدي الآخرين بروحه"[٢].

ويقول أيضا: "إن عظمة طارق بن زياد المسلم الذي فتح الأندلس لا تكمن في غلبته على جيوش الإسبان، ولكن في تضحيته بنفسه عندما وقف أمام الثروة وقال: احذر يا طارق فقد كنت عبدا بالأمس واليوم أنت قائدٌ منتصرٌ وغدا ستكون تحت الثرى"[٣] إذن النصر الحقيقي هو النصر الروحي لا النصر الحربي كما يرى (كولن).

وهناك عبارات كثيرة في كتاباته تصب في معاني الفداء والتضحية من أجل الآخرين .

إذن السلام عند (كولن) هو تحقيق الأمن، وعدم إيذاء الآخرين، بل والتضحية، وذلك هو النصر الحقيقي لا النصر الحربي.

ثالثا: التطبيق العملي لدعوة كولن إلى السلام:

١- من أجل تدعيم السلام شجع (كولن) محبيه إلى إنشاء المؤسسات التعليمية في تركيا وخارجها، وأعطى اهتماما خاصا بالمناطق التي تشتعل فيها الصراعات العرقية والدينية مثل: ألبانيا، ومقدونيا، والفلبين، وشمال العراق،

١- أخرجه البخاري ومسلم، ينظر: صحيح البخاري، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، كتاب الإيمان ج ١ ص ١١ رقم: ٩. وصحيح مسلم، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، كتاب الإيمان(ج ١ ص ٦٥ رقم: ٤١).

٢- كولن: النور الخالد ص ١٩٨.

٣- كولن: العصر والجيل ٢ص ٥٤ نقلا عن السلام والتسامح ص ١١٤. ولم أجد لطارق هذا النص في كتب التراجم والتاريخ وإن ما وجدته هو خطبته الشهيرة للجنود عند التقدم لدخول الأندلس، وحثهم على الصبر، وترغيبهم في ثواب الله، ثم في خيرات هذه البلاد غنيمة لهم، وتضحيته بنفسه أولا قبل جنده .ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان ص ٥/ ٣٢٠.

وجنوب تركيا، وقد لعبت هذه المدارس أدوارا مهمة في تقليل مستويات الصراع في هذه المناطق حيث جمعت وخدمت جميع الأطفال المنتمين من جميع الخلفيات المختلفة والأطراف المتحاربة، وأيضا كانت مأوى آمنا لهم وقت الحروب والنزاعات[١].

٢- وإلى جانب المؤسسات التعليمية أعمال الإغاثة للمنكوبين وضحايا الحروب في القارات كلها مثل (جمعية هل من أحد)[٢].

وكذا المؤسسات الإعلامية[٣]من صحف، ومجلات، وإذاعة، وفضائيات تبث بعدة لغات، وهي قنوات إخبارية ثقافية اجتماعية،

وكذا مؤسسات العلاج والمشافي الصحية،[٤] وعدد من أكبر دور النشر[٥] في تركيا وخارجها، ومنتديات لرجال الأعمال والتجار، وعشرات المواقع الإلكترونية على شبكة الإنترنت تبث ب٢٢لغة حول العالم إلى جانب آلاف المحاضرات العلمية، والدينية، والاجتماعية في المنتديات العامة، وحلقات

١- ساري توبراك: السلام ونبذ العنف ص ١١١.

٢- جمعية خيرية غير ربحية لها حوالي ٨١ فرعا في تركيا، وفي خارج تركيا لها تواجد في البلدان الأوربية التي بها جالية تركية كبيرة مثل: ألمانيا وهولندا وفرنسا، وأنشئت عام٢٠٠٤م وتقدم المساعدات للأسر المحتاجة والإغاثة وقت الكوارث، والرعاية الصحية. ينظر: أيمن عبد الله شحاتة وعبد الله محمد عرفان: برامج ومشروعات مكافحة الفقر في الداخل والخارج نماذج مختارة ضمن أبحاث مؤتمر مستقبل الاصلاح في العالم الإسلامي خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية عام ٢٠٠م. ص ٤٧٩ .

٣- مجموعة قنوات(STV) تضم عدة قنوات وتغطي ١٥٠ دولة، وهي من أكبر القنوات من حيث المشاهدة والصحف تشمل مجموعة زمان التركية التي تضم عدة صحف، ووكالة جيهان وهي إخبارية دولية وهي أكبر وكالة أنباء في تركيا. ينظر : ا.د/ عمار جيدل : محاربة الفقر ص ٤٧٠.

٤- مثل: (مستشفى السماء) في تركيا، والمستشفيات التي أنشأتها حركة الخدمة في مختلف أنحاء العالم في الدول التي بها توترات سياسية أو اقتصادية. ينظر: ا د/ عمار جيدل: محاربة الفقر المنطلقات والغايات حركة فتح الله كولن أنموذجا ضمن أبحاث مؤتمر الاصلاح ص ٤٦٨ .

٥- مثل دار النيل(تسمى منذ (عام ٢٠١٨م) دار الانبعاث) لها فروع في تركيا، ومقرها الرئيسي في مصر، ومجلة حراء التي تصدر بالعربية في مصر، ومجلة أكسيون إخبارية سياسية، وعدد من المجلات العلمية والأدبية . ينظر: ا د/ عمار جيدل: مقاومة الفقر ص ٤٧٠.

الدرس الخاصة بكولن[١].

قد تميزت جميع المشاريع التي حث عليها وشجعها (كولن) ببعدها الإنساني الشامل؛ إذ حرصت على خدمة الإنسان من حيث هو إنسان، دون تمييز بين عرق، أو لغة، أو دين، أو ثقافة[٢].

٣-جهوده في نبذ العنف والإرهاب عن طريق المقالات واللقاءات الصحفية، وشجب الحوادث التي وقعت للمسلمين وغيرهم كأحداث ١١سبتمبر، وأحداث باريس، وغيرها كما سنذكر .

وقد كرمته عدة جهات لجهوده في مجال السلام مثل مؤسسة قيرغيزستان الروحية فقد منحته جائزة لإسهاماته في تحقيق السلام العالمي من خلال جهوده التعليمية عام ٢٠٠٤م[٣].

إذن، فقد دعا (كولن) إلى السلام في العالم بين الشعوب والأمم من مختلف الديانات والأجناس تحت لواء الإنسانية امتدادا لدعوة الإسلام نفسه، وأقر ذلك واقعا عبر منتديات الحوار العالمية، وعبر المؤسسات التعليمية والإغاثية حول العالم.

١- ينظر: أرطغرل حكمة: فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر ص ١٢٤- ١٢٦.

٢- ينظر: فتح الله كولن قصة حياة مسيرة فكر ص ١٢٤.

٣- زكي ساري توبراك: السلام ونبذ العنف ص ١١٣.

المبحث الثاني
قضية الإرهاب[١]

القوة والعنف والإرهاب مصطلحات قد تكون مترادفة، ولكن بينها اختلاف طفيف، فالقوة قد تكون ايجابية أو سلبية، فالإيجابية كالقوة الفكرية والمعنوية والمادية، والجانب السلبي منها يسمى: عنفا، فالعنف إذن: هو الاستخدام غير الصحيح للقوة، وعندما تتم ممارسة العنف، ويصل الأمر إلى مأسسة هذه الممارسة، وإلى الوصول بها إلى ذروتها تصبح إرهابا[٢].

إذن الإرهاب: هو استخدام العنف المفرط المنظم على نطاق واسع.

أو "استخدام العنف غير القانوني (أو التهديد به) بأشكاله المختلفة كالاغتيال والتشويه، والتعذيب، والتخريب، والنسف؛ بغية تحقيق هدف سياسي معين مثل: كسر روح المقاومة والالتزام عند الأفراد، وهدم المعنويات عند الهيئات والمؤسسات، أو كوسيلة من وسائل الحصول على معلومات أو مال، وبشكل عام استخدام الإكراه؛ لإخضاع طرف مناوئ لمشيئة الجهة الإرهابية"[٣].

و من الأمور المثارة حول المسلمين هو اتهام الإسلام وأتباعه بالإرهاب، وقد سارع الغرب إلى وسم الإسلام بالإرهاب استنادا إلى ورود اللفظ في القرآن الكريم: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ**

١- معنى الإرهاب في اللغة: رهب: رَهِبْتُ الشَّيءَ أَرْهَبُهُ رَهَباً ورَهْبةً، أي: خفته. إرهاب: مصدر أرهبَ، مجموع أعمال العنف التي تقوم بها منظّمة أو أفراد قصد الإخلال بأمن الدَّولة وتحقيق أهداف سياسيَّة، أو خاصَّة، أو محاولة قلب نظام الحكم. إرهاب دوليّ: أعمال ووسائل وممارسات غير مُبرَّرة، تمارسها منظمات أو دول، تستثير رعب الجمهور أو مجموعة من الناس لأسباب سياسيّة بصرف النظر عن بواعثه المختلفة. ينظر: الخليل بن أحمد: العين باب(الهاء والراء والباء ومعها هـ ر ب، هـ) ص ٤٧/٤، ابن فارس: مجمل اللغة، باب الراء والهاء وما يثلثهما ص ١/ ٤٠١. مقاييس اللغة، باب(ر هـ ب) ص ٢/ ٤٤٧، مختار الصحاح: (ر هـ ب) ص ١/ ١٣٠ معجم اللغة العربية المعاصرة باب(ر هـ ب) ص ٩٤٩/٢.

٢- ينظر: ا.د/ أبو زيد المقرئ الإدريسي: معضلة العنف رؤية إسلامية ص٧- ١٤ سلسلة قضايا إسلامية يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة العدد ٢١٨ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ - مارس ٢٠١٣م.

٣- د/ عبد الوهاب الكيالي :موسوعة السياسة، ج ١ ص ١٥٣ .

اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [١] مع أن المقصود هو الردع عن ممارسة العنف، فالآية تطالب المسلمين بإعداد القوة حتى لا يستهين العدو بهم، فيعتدي عليهم، ويضطرهم أن يواجهوه بلغة العنف المضاد[٢].

وهناك أسس قوية وضعها الإسلام لنبذ العنف منها:

أ- قبول الآخر:

بقبوله عمليا وواقعيا ورفض كل أشكال العنصرية؛ ولذا لا يسوغ العنف ضده لسبب لوني، أو عرقي، أو ديني .

ب- قبول الاختلاف:

فالإسلام ينظر إلى الاختلاف كطبيعة وجبلة بشرية، فلا يعتبره انحرافا ولا منكرا ولا استثناء، بل هو الأصل ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** ﴾ [٣] والاختلاف يؤسس للاجتهاد في الرأي، وإخصاب الفكر والواقع الإنساني.

ج- عدم القهر والإكراه :

فالإنسان كائن مكون من الروح والجسد، والجسد بنية خارجية للجوهر الحقيقي للإنسان، وهذا الجوهر يستعصي على القهر والإجبار؛ ولذا يلغي الإسلام أية وسيلة لإكراه الآخر[٤].

وقد اختلط مفهوم الجهاد الإسلامي بالإرهاب مع ما بينهما من فارق عظيم، ولكنها شبهة قديمة حديثة تبغي تشويه صورة الإسلام الناصعة.

وكانت لفتح الله كولن جهود في الرد على الغرب فيما يتصل بالجهاد؛ فبين حقيقته في المفهوم الإسلامي، وبين حقيقة الإرهاب، وأسبابه، وطرق علاجه، وسيكون لهذا الإجمال تفصيل فيما يأتي من صفحات على النحو التالي:

١- سورة الأنفال الآية: ٦٠.

٢- ينظر: أ.د/ أبو زيد المقرئ الإدريسي: معضلة العنف رؤية إسلامية ص ١٤.

٣- سورة هود الآية: ١١٨.

٤- ينظر: أ.د/ أبو زيد المقرئ الإدريسي: معضلة العنف رؤية اسلامية ص ٤١.

حقيقة الجهاد في الإسلام.- رؤية كولن في قضية الإرهاب- أسباب وعلاج ظاهرة الإرهاب.

أولا: حقيقة الجهاد في الإسلام:

الجهاد في الإسلام أعم من كونه قتالا أو حربا، والجزء الخاص بالحرب ما هو إلا دفاع عن الأرض، والأرواح، والأعراض، ودفعا للباغي لا كما ينشر المرجفون والمستشرقون من مزاعم واهية شوهت صورة الإسلام النقية من أنه دين عنف، وأنه انتشر بحد السيف .

وقد دفع هذه الشبهة عدد من العلماء، وبينو أن الإسلام لم ينتشر بالسيف، بل بسيطرته على القلوب والعقول بقوة سلطانه وحجته[١] ، وبينوا الأهداف الحقيقية للحرب في الإسلام[٢] .

وكان (فتح الله كولن) من هؤلاء المفكرين الذين اهتموا بتقديم صورة الإسلام الصحيحة ودفع الشبهات عنه، وهي وظيفة كل فيلسوف مسلم، وخاصة في هذا العصر الذي تتداعى فيه الأمم على المسلمين .

فقد اهتم (كولن) بهذه المسألة ضمن كتابه (الرد على شبهات العصر)، وكتابه (الاستقامة في العمل والدعوة)، وأفرد لها كتابا تحت اسم: (روح الجهاد وحقيقته في الإسلام)[٣]، وذلك؛ لأن الغرب يتخوف من مسمى الجهاد، ويسمُ المسلمين بالإرهاب، وقد ناقش (كولن) مسالة الجهاد والشبهات عليه كالتالي:

١- منهم: (محمد حسين هيكل) إذ قرر أن الإسلام لم يؤخذ بالسيف كما يقول المستشرقون، وفرق بين الإسلام وبين المسيحية والغرب وإعمالهم السيف في رقاب المسلمين في الحروب الصليبية وغيرها وبين تعامل المسلمين، وأكد أن الإسلام لم ينتشر بالقوة، بل استولى على العقول والقلوب والضمائر بقوة سلطانه. ينظر الدكتور هيكل: حياة محمد ص ٥٧٤- ٥٧٦.

٢- دفع (محمد رشيد رضا) هذه الشبهة وأوضح أن الغاية من القتال والحرب في الإسلام تكمن في عدة أهداف: كف عدوان المعتدين وظلمهم- حماية الأديان كلها من الاضطهاد فيها أو الإكراه عليها - عبادة المسلمين لله وحده، وإعلاؤهم كلمته، وتأمين دعوته وتنفيذ شريعته، وهي في مصلحة البشر كلهم وإسداء الخير إليهم لا الاستعلاء عليهم والظلم لهم. ينظر رشيد رضا: الوحي المحمدي ص ٢١٠- ٢١١.

٣- محمد فتح الله كولن: روح الجهاد وحقيقته في الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل، الطبعة السابعة ٢٠١٢م .

أ-: مفهوم الجهاد عند كولن:

يقول كولن: "الجهاد يعني السعي، وبذل الجهد، وتحمل شتى أنواع المشاق والصعوبات، إلا أن الجهاد قد تطور معناه مع مجيء الإسلام، وصار علما على مجاهدة النفس، والشيطان، والتصدي للأخلاق السيئة، والسلوكيات الذميمة، ومحاربة الأعداء عندما تقتضي الضرورة ذلك، فضلا عن الحذر، والتنبه، والوقوف دائما على أهبة الاستعداد"[١].

فالجهاد يجري في جبهتين كما يقول (كولن): "الأولى موجهة إلى الداخل، والأخرى موجهة إلى الخارج ..إن بذل الجهد إلى الداخل عبارة عن عملية إيصال الإنسان إلى ذاته وإلى ربه، أما الجهاد الآخر الموجه إلى الخارج فهو عملية ايصال الآخرين إلى ذواتهم وإلى ربهم، ويطلق على الأول (الجهاد الأكبر)، وعلى الثاني (الجهاد الأصغر)"[٢].

إذن الجهاد نوعان: جهاد النفس: وهو الجهاد الأكبر بتقويمها، وتهذيبها من الرذائل، وتحليتها بالفضائل.

وجهاد الأعداء: وهو الجهاد الأصغر عندما تقتضي الضرورة ذلك- وفيما يلي سيكون لكولن حديث في بيانه- إن شاء الله-.

ب-: الرد على شبهة المستشرقين:

هل الإسلام انتشر بحد السيف كما يقول المستشرقون ومن تابعهم؟.

يقرر (كولن) بعض الحقائق تجلية لهذه الشبهة ومنها:

١- أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ظل قرابة ثلاث عشرة سنة في مكة يدعو الناس سرا وجهرا إلى التوحيد، وواصل دعوته خارج مكة فكان أول جمع يتبعه هم أهل المدينة فأصبحت مهد حضارته[٣].

٢- خلت الدعوة حتى ذلك الوقت من أي نوع من أنواع الإكراه أو حمل الناس على الإيمان واتجهت الجزيرة إلى الإسلام، فاشتعلت قريش

١- كولن : الاستقامة في العمل والدعوة ص ١٧٥ ترجمة: أورخان محمد علي- د/ عبدالله محمد عنتر، دار النيل، ط: الأولى ٢٠١٥م.

٢- كولن: روح الجهاد وحقيقته في الإسلام ص ٢١، وينظر: خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ٧٨-٧٩.

٣- كولن: الرد على شبهات العصر ص ١٠١.

حقدا، فأغارت على الإسلام وأهله؛ لتنال من الدين الجديد، واشترك معهم في العداوة اليهود، والساسانيون والرومان[١] من هنا نشبت الحرب بين المسلمين وهذه الطوائف الثلاث.

٣- أما مشركو مكة فقام المسلمون ضدهم بسلسلة من الغزوات كان لكل منها سبب، وقد ذكرها (كولن) باختصار حتى فتحت مكة ولم تسفر هذه الغزوات طيلة ثلاثة وعشرين عاما سوى عن (٣٧٥ قتيلا) أفيعدل هذا الرقم اليوم ضحايا حوادث الطرق شهريا؟[٢].

٤- أما اليهود فكادوا وغدروا بالمسلمين، فجابههم النبي في بني النضير، وبني قينقاع، وبني قريظة، وخيبر، وتوفي الرسول ومازال الغدر ديدنهم، وآخرها محاولة اغتيال (عبد الله بن عمر)، فأجلاهم عمر عن المدينة، فنزلوا أرضا قصية وأُعْطوا أراضي وممتلكات بها[٣].

٥- ما فعله الرسول بالرومان ونصارى العرب كانت البداية منهم، فقد قتلوا رسول رسول الله إليهم غدرا، فأخرج لهم الرسول جيش مؤتة[٤].

١- ينظر: كولن: الرد على شبهات العصر ص١٠٢ .

٢- الرد على شبهات العصر ص١٠٧.

٣- ينظر: الرد على شبهات العصر ص١٠٨. والحادثة ذكرها ابن هشام عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَالزُّبَيْرُ وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ إِلَى أَمْوَالِنَا بِخَيْبَرَ نَتَعَاهَدُهَا، فَلَمَّا قَدِمْنَا تَفَرَّقْنَا فِي أَمْوَالِنَا، قَالَ: فَعُدِيَ عَلَيَّ تَحْتَ اللَّيْلِ، وَأَنَا نَائِمٌ عَلَى فِرَاشِي، فَفُدِعَتْ يَدَايَ(أي أزيلت مفاصلها عن أماكنها) مِنْ مِرْفَقَيَّ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ اسْتَصْرَخَ عَلَيَّ صَاحِبَايَ، فَأَتَيَانِي فَسَأَلَانِي: مَنْ صَنَعَ هَذَا بِكَ؟ فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي، قَالَ: فَأَصْلَحَا مِنْ يدىّ، ثمَّ قد مَا بِي عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: هَذَا عَمَلُ يَهُودَ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَامَلَ يَهُودَ خَيْبَرَ عَلَى أَنَّا نُخْرِجُهُمْ إِذَا شِئْنَا، وَقَدْ عَدَوْا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، فَفَدَعُوا يَدَيْهِ، كَمَا قَدْ بَلَغَكُمْ، مَعَ عَدْوِهِمْ عَلَى الْأَنْصَارِيِّ قَبْلَهُ، لَا نَشُكُّ أَنَّهُمْ أَصْحَابُهُ، لَيْسَ لَنَا هُنَاكَ عَدُوٌّ غَيْرُهُمْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ بِخَيْبَرِ فَلْيَلْحَقْ بِهِ، فَإِنِّي مُخْرِجٌ يَهُودَ، فَأَخْرَجَهُمْ". ابن هشام: السيرة النبوية باب إجلاء اليهود عن خيبر أيام عمر ص ١/ ٣٥٧. والحديث أخرجه أحمد في مسنده، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير معدان بن أبي طلحة فهو من رجال مسلم، ينظر: مسند أحمد بن حنبل، باب مسند عمر بن الخطاب، ص ١/ ٢٥١ رقم ٩٠.

٤- والرواية ذكرها الواقدي في المغازي ، قَالَ: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن عمير الأزديّ ثم أحد بنى لَهَبٍ، إِلَى مَلِكِ بُصْرَى بِكِتَابٍ، فَلَمّا نَزَلَ مُؤْتَةَ عَرَضَ لَهُ شُرَحْبِيلُ بْنُ عَمْرٍو الْغَسّانِيّ فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الشّامَ. قَالَ: لعلّك مِنْ رُسُلِ مُحَمّدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَنَا رَسُولُ

ج-: الحكمة من الجهاد:

ومن الحكم التي ذكرها (كولن) لقتال تلك الطوائف:

- **تأمين الدعوة:**

يقول كولن: " لما كان الهدف هو سلام العالم وصلاحه دعت الحاجة إلى القضاء على من يحولون دون بلوغ نور الحق إلى أرجاء العالم، ودحر من يعتدي على الإسلام، ومعاقبة من يريد إطفاء نوره، وهذا لا يعني أبدا أن الإسلام انتشر بالسيف"[١].

- **حماية المظلومين والمضطهدين:**

يقول كولن: "لم يلجا المسلمون إلى السيف - إلا استثناءات قليلة- إلا لحفظ التوازن العالمي، وحماية المظلومين والمضطهدين، فأدبوا أهل الظلم والغدر، ومع ذلك لزموا نهج العدل والاستقامة "[٢].

- **دستور الحرب في الإسلام:**

يقرر (كولن) أن المسلمين وضعوا دستورا ساروا عليه منذ عهد الخليفة الأول حتى يومنا هذا:

١- لا تخونوا وتغلوا.

٢- ولا تغدروا ولا تمثلوا.

٣- ولا تقتلوا طفلا صغيرا، ولا شيخا، ولا امرأة.

٤- ولا تغرقوا نخلا، وتحرقوه، ولا تقطعوا شجرة، ولا تذبحوا شاة، ولا بقرة، ولا بعيرا إلا لمأكلة.

٥- وإذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له.

رَسُولِ اللهِ. فَأَمَرَ بِهِ فَأُوثِقَ رِبَاطًا، ثُمّ قَدّمَهُ فَضَرَبَ عُنُقَهُ صَبْرًا. وَلَمْ يُقْتَلْ لِرَسُولِ الله صلّى الله عليه وَسَلَّمَ رَسُولٌ غَيْرَهُ، فَبَلَغَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرُ فَاشْتَدّ عَلَيْهِ، وَنَدَبَ النّاسَ وَأَخْبَرَهُمْ بِمَقْتَلِ الْحَارِثِ وَمَنْ قَتَلَهُ، فَأَسْرَعَ النّاسُ وَخَرَجُوا فَعَسْكَرُوا بِالْجَرْفِ"، ذكره الواقدي في المغازي باب غزوة مؤتة ص ٢/ ٧٥٥.

١- ينظر: كولن: الرد على شبهات العصر ص١١٢.

٢- الرد على شبهات العصر ص ١١٣.

وقد سبق المسلمون العالم بهذه الدساتير التي تحرم الغدر حتى بالعدو، وبفضل هذا الإخلاص من المسلمين الأوائل دخل الناس في دين الله أفواجا، فكثير من الإمبراطوريات على مر التاريخ قامت بالسلاح والحروب، ولكنها انهارت أما الإسلام فلا زالت الإنسانية تشعر بوزنه منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، يقول كولن معللا ذلك: "فسر هذا يكمن في الصلح، والصلاح، والأمن، والأمان، والرحمة الشاملة التي تسري في روحه، ليس السلاح والقوة أصلا وغاية في الإسلام، بل كلاهما حارس لرسالة القرآن، وحافظ لنور الإسلام، استخدمهما الإسلام في إحياء الحق، وإقامة حرية الفكر، وتهدئة روع المظلومين والمضطهدين، ونصرة الضعفاء والبائسين، وواجه بهما أصحاب القلوب المغلقة، والأفكار المسبقة الذين يرون الحق في القوة، ويتخذون الحياة البهيمية هدفا، ويستمتعون بالظلم والغدر، ويعتدون بأنفسهم شبه آلهة، فبهذه القوة ضمن الإسلام للناس جميعا حرية الاختيار والاعتقاد"[١].

وعلى العكس نجد تعامل أهل الديانات الأخرى، فمثلا: (قسطنطين) الذي أرغم الناس على اعتناق النصرانية بالإكراه ،وغيره .

وهناك كتاب غربيون منصفون أكدوا أن المسلمين لم يسفكوا الدماء في البلاد التي فتحوها أمثال (توماس أرنولد)[٢]، ومن الأمثلة على ذلك أيضا:

١- إن المسلمين لما فتحوا دمشق اعتنق معظم الناس الإسلام، والآخرون دخلوا في ذمة المسلمين وعهدهم، ثم دخلوا باختيارهم في الإسلام شيئا

١- الرد على شبهات العصر ص ١١٤.

٢- توماس أرنولد(١٨٦٤- ١٩٣٠م): مستشرق انجليزي، تعلم في كمبريدج، متعاطف مع الإسلام لم تعد عليه هفوة واحدة في كل ما كتبه عن الإسلام، ونظرا لاهتمامه بالدراسات الإسلامية، فقد اختير لتدريس الفلسفة في كلية (عليكره) بالهند، وأمضى فيها عشر سنوات كانت ذات تأثير بالغ في نظرته إلى الإسلام، ولما عاد إلى لندن كان أول من شغل كرسي اللغة العربية والدراسات الإسلامية، انتخب عضوا في الأكاديمية البريطانية في أوائل ١٩٣٠م، دعته الجامعة المصرية أستاذا زائرا بقسم التاريخ، ثم عاد في يونيو من نفس العام إلى لندن وما لبث إلا قليلا حتى توفي إثر نوبة قلبية في منزله، وهو في السادسة والستين، من كتبه: المعتزلة- الخلافة- الدين الإسلامي- وما كتبه في دائرة المعارف الإسلامية- الرسم في الإسلام- التالد والطريف في الفن الإسلامي. ينظر: الدكتور/ عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ص ٩ ،١٠، مكتبة دار العلم للملايين بيروت- لبنان ١٩٩٣م.د/ نجيب العقيقي: المستشرقون ج ٢ ص ٥٠٤.

فشيئا، ومن ظل على النصرانية هرعوا إلى الكنائس يدعون الله أن ينصر المسلمين عندما حاول الرومان المسيحيون الاستيلاء على دمشق مرة أخرى.

٢- وذكر (توماس أرنولد) في كتابه(تاريخ انتشار الإسلام)أن كل الدول الإفريقية التي دخلها الرومان، وفي مقدمتها مصر عانت كثيرا تحت نير الحكام المسيحين، إلى أن بزغ نور الإسلام في تلك الأماكن.

٣- وعندما اعتنق أهل الأندلس الإسلام تحولت (إسبانيا) إلى مركز ثقافي علمي مهم على مدى ثمانية قرون.

٤- فتح العثمانيون (إسطنبول)، و(البلقان)، و(أوروبا الشرقية)، فاعتنق أهل هذه البلاد الإسلام بإرادتهم، وكذا بلاد ما وراء النهر والسلاجقة.

٥- دخل الإسلام (أوغندا)، و(الصومال)، و(سومطرة)، و(جاوا)، و(الفلبين) على يد دعاة ربانيين لما رأوا من حسن سلوكياتهم، وأخلاقهم، واعترف بذلك بعض الغربيين من أمثال: توماس كارليل[١]، وتوينبي[٢].

يقول كولن: "إن الإسلام هو النظام الوحيد الذي جاء بمبادئ السلام العالمية، وناشد العقل، والروح، والوجدان معا، وغلب خصومه بالحجة

١- توماس كارليل: (١٧٩٥- ١٨٨١م)فيلسوف انجليزي حائز على جائزة نوبل، خصص في كتابه (الأبطال وعبادة البطولة) ١٨٤٠م فصلا لنبي الإسلام بعنوان البطل في صورة محمد رسول الإسلام، نقله إلى العربية (علي أدهم) عد فيه النبي واحد ا من العظماء السبعة الذين أنجبهم التاريخ، ودفع الشبهات عن الدين الإسلامي وعن رسوله- صلى الله عليه وسلم-، واستفاض في ذكر صفات النبي، وزهده، وعظمته، ومن كتبه أيضا: الثورة الفرنسية. ينظر: .د/ عزالدين فراج: نبي الإسلام في مرآة الفكر الغربي ص٢٣،٣٠تقديم: د/ محمد عمارة هدية مجلة الأزهر لشهر ربيع الأول ١٤٣٤هـ.وينظر: الإسلام في عيون المنصفين نماذج لفكر يحمل مشاعر التنوير ج ١ ص ١٢٣،١٤٠ سلسلة قضايا إسلامية العدد ١٦٦ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – وزارة الأوقاف القاهرة ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.نجيب العقيقي: المستشرقون ج ٢ ص ٤٨١.

٢- أرنولد توينبي: مؤرخ بريطاني معاصر، له مؤلف شهير في اثنى عشر جزءا وهو(دراسة التاريخ) ألفه من عام ١٩٢١حتى عام ١٩٦١م تحدث فيه سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم- بإنصاف. ينظر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: الإسلام في عيون المنصفين نماذج لفكر يحمل مشاعر التنوير ج١ ص ١٤٩.

والمنطق، ولا نظير له في ذلك"[١].

ويقرر(كولن) أن الأساس في تعامل الإسلام مع الأمم الأخرى هو المروءة والتسامح مستدلا بعدة أدلة منها: ﴿ **لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوَهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ**﴾[٢].

وأوصاهم باللين عند مجادلة أهل الكتاب:﴿ **وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[٣].

وقال صلى الله عليه وسلم :"**من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما**"[٤].

هذه كانت حقيقة الجهاد الإسلامي، وأنواعه، والحكمة من الحرب في الإسلام.

وتبين أن ما يدعيه المستشرقون وغيرهم من أن الإسلام انتشر بحد السيف شبهة واهية، وأن الإسلام دين الرحمة والسلام والحرص على تأمين المسلمين وغيرهم من الديانات والأمم الأخرى.

بقى أن نعرف مفهوم الإرهاب وموقف الإسلام منه، وأسبابه، وعلاجه، وهذا ما سيكون محور الحديث القادم – إن شاء الله-.

ثانيا: رؤية كولن في قضية الإرهاب:

من منطلق إيمانه بالسلام وحق الإنسان في الأمن نبذ (كولن) الإرهاب في كتاباته، ولقاءاته الصحفية المكتوبة والمرئية، وأكد على خطورته، وعلى نبذ الإسلام لجميع صوره وأشكاله؛ إضافة إلى ذلك أكد على معنى الجهاد في الإسلام- كما سبقت الإشارة- الذي كثيرا ما يختلط في فكر الناس في الغرب عند الحديث عن الإرهاب.

فمفهوم الجهاد واسع وحصره في قتال الأعداء تقليص لهذا المعنى الواسع،

١- الرد على شبهات العصر ص ١١٨.

٢- سورة الممتحنة الآية:٨.

٣- سورة العنكبوت: ٤٦

٤- الرد على شبهات العصر ص ١١٩والحديث أخرجه البخاري، ينظر: صحيح البخاري باب (إثم من قتل معاهدا بغير جرم) كتاب الجزية ج ٤ ص ٩٩ رقم ٣١٦٦ .

فكل جهد يبذل لإصلاح المجتمع في أي ميدان من ميادين الحياة هو مضمون الجهاد الإسلامي.

وقد جاهد المسلمون وفتحوا البلاد في الشرق والغرب بإزالة الطواغيت التي تقيد حرية الناس، وتحول بينهم وبين الإيمان، وبعدما صاروا أحرارا منهم من دخل الإسلام باختياره، ومنهم من ظل على ديانته فعومل بمقتضى العدل، وكفلت له حرية العبادة، والحماية من قبل المسلمين .

وفي ظل موجات الإرهاب المتتالية في العالم طفت على السطح ظاهرة قديمة حديثة مرتبطة بالإرهاب هي ظاهرة (الخوف من الإسلام) أو ما يسمى(اسلاموفوبيا)، وقد أصبح مرضا نفسيا يجتاح العالم في ظل الحوادث الإرهابية، وما هو إلا من صنع القوى الحاقدة على الإسلام، يقول كولن: "فهذا المرض الذي كان يسود قديما في المنطقة الواقعة شمال العالم الإسلامي، أو كان يراد له أن يسود حول إلى (جنون العظمة العالمي) من الشرق إلى الغرب، والأغرب من هذا أيضا أن هناك بعضا من حكام العالم الإسلامي بدوا في الوقت الراهن، وكأنهم يصدقون هذه الكذبة العظمى، والواقع أن هذا الأمر ليس إلا من صنع عالم حاقد على الإسلام، يقوم بتقديم آرائه واعتباراته القديمة في إطار جديد"[١].

وبالنسبة للإرهاب صرح (كولن) برفضه في وقائع إرهابية عدة، وببيان حقيقة الإسلام وموقفه من الإرهاب والعنف.

ويرى أيضا أن وظيفتنا كمسلمين هي العمل جنبا إلى جنب مع الجميع من أجل إنقاذ الإنسانية من ويلات هذا الإرهاب من ناحية، والسعي لإزالة الوصمة السوداء التي لطخت وجه ديننا الناصع من ناحية أخرى، ويضيف: "ويجب علينا - نحن المسلمين- أن نرفض بلا قيد أو شرط الأيديولوجية القمعية التي يحاول الإرهابيون نشرها، وأن نشجع العقلية الشمولية لتي تحتضن الجميع، وترى في التنوع ثراء. لا شك في أن إنسانيتنا تتقدم على هويتنا العرقية أو القومية أو الدينية"[٢].

١- من حوار كولن في كتاب السلام والتسامح ص ١٥٧.

٢- مقال الأستاذ فتح لله كولن في صحيفة لوموند الفرنسية ١٧/ ٢٠١٥/١٢م ترجمة جريدة حراء.

أ- : أسباب ظاهرة الإرهاب:

يعزو (كولن) ظاهرة الإرهاب التي تنسب إلى المسلمين اليوم إلى عدة أسباب:

١- استغلال قوى الشر الشباب الفاقدين للقيم الروحية الإسلامية وإعطاؤهم حفنة من الدولارات، أو تزييف وعيهم، وتخدير عقولهم، وذلك لتحقيق أهداف معينة، وقد نفذ هذا الإرهاب بزعامة بعض الأنفس الغرة وعددهم قليل جدا ممن لم يهضم الإسلام وأحيانا بواسطة إثارة مشاعر الشباب، وأحيانا بواسطة رجال وعناصر القوى العظمى الذين يظهرون بمظهر المسلمين، وأحيانا بواسطة الجموع الدموية التي تعرضت مشاعرها للكبت والضغط باستخدام الأدوية والمخدرات.

٢- وهناك الكثير من الادعاءات الملفقة ضد المسلمين، ولكنها كما يرى (كولن) لعبة كبيرة من جهات كبرى لإظهار الإسلام والمسلمين بذلك الشكل.

٣- المصالح والمنافع الدنيوية، واستخدام الدين الإسلامي للتخفي وراءه، حتى يتم تجاهل تلك الأسباب.

٤- المنظمات فوق الدول السرية منها والعلنية التي تثير الاضطرابات في العالم؛ لأنها بنت خططها على التخريب، فتشغل الجميع بشيء ما، وبهذا تتمكن من توسيع مجالات تحركاتها وفعالياتها.

٥- تأثير الكيل بمكيالين الذي تمارسه بعض القوى العالمية تجاه الإرهاب، عندما يتعلق بمصالحها تسكت عنه، وعندما يعارضها ترفض، ومواقف السياسيين العالميين التي لا تأبه بشيء تجاه قضايا المسلمين، والتي تعتبر جرحا داميا كل يوم كقضية فلسطين وكشمير -على سبيل المثال- دليل واضح على ذلك[١].

إذن من أسباب ظاهرة الإرهاب:

١- الشباب الجاهل المغرر به بالمال، أو المخدرات، أو عبر تزييف وعيه وفهمه للإسلام.

١- ينظر توبراك: السلام والتسامح في فكر كولن ص١٥٤- ١٥٦.

٢- القوى المعادية للإسلام بغية تشويهه.

٣- المنظمات السرية التي تثير النزعات؛ لتكتسب منافع معينة كبيع السلاح مثلا.

٤- عدم اهتمام الغرب بقضايا المسلمين كما هو الحال في فلسطين وغيرها.

ب- : علاج ظاهرة الإرهاب:

أما عن الإجراءات التي ينبغي على المسلمين أن يسلكوها تجاه الإرهاب فيمكن إجمال رأي (كولن) في عدة نقاط:

١- بيان موقف الإسلام:

فينبغي على المسلمين وفقا لكولن أن يصرحوا "لا ارهاب في الإسلام" ؛لأن الإسلام اليوم لا يعرف على الوجه الصحيح، فلا يجوز لأحد أن يكون انتحاريا يندفع وسط الحشود ويفجر نفسه، فالإسلام لا يسمح بذلك حتى في الحرب، فيقول" لا تقتلوا الولدان ولا الشيوخ ولا النساء وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له"[١].

وتردد هذا الكلام في تاريخ الإسلام مرارا منذ عهد النبي- صلى الله عليه وسلم-، وصحابته، وبعده بقرون على يد (صلاح الدين)، و(محمد الفاتح)، وغيرهما[٢].

٢- استخدام الوسائل المشروعة :

يقول كولن: "إن الإسلام دين حق ينبغي أن يمارس بصدق، ولا يجوز استخدام طرق باطلة فكما يجب أن تكون الغاية شرعية يجب كذلك أن تكون

١- أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- من نهيه عن قتل أصحاب الصوامع ٤٣٦/١٥حديث رقم٦١٣٥، والحديث صحيح، ينظر: أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي: مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.وكان من وصية أبي بكر الصديق للجنود اللذين بعثهم نحو الشام ، ينظر: الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي: السنن الكبرى، باب: (من اختار الكف عن القطع والتحريق إذا كان الأغلب أنها ستصير دار إسلام أو دار عهد) كتاب: (جماع أبواب السير) ج ٩ ص ١٤٥رقم: ١٨١٢٥، .

٢- من حوار مع كولن منشور في كتاب السلام والتسامح ص ١٥٢.

جميع الوسائل المستخدمة للوصول إليها أيضا شرعية، فلا يستطيع الإنسان الوصول للجنة عن طريق قتل إنسان...رضا الله لا ينال بقتل الناس إن الهدف الرئيسي للمسلم هو الفوز برضا الله سبحانه وتعالى، وتبليغ دين الله إلى جميع أنحاء العالم"[١] .

والقتل عندنا في الإسلام حرام ﴿ **مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً** ﴾ [٢].

٣- تعليم النشء في المدارس مبادئ الإسلام، ومنها حرمة النفس، وتحريم القتل والعنف.

٤- تحرك الأجهزة الإدارية والمخابراتية، ولا بد من تحديد المتتسببن فيه والنضال ضده بواسطة استراتيجيات عالمية.

فيرى (كولن) أن مقاومة الإرهاب تفتقد الإخلاص من القوى العالمية، فلو كان هناك إخلاص لوضع تشخيص له تحت مظلة حلف الناتو والأمم المتحدة، ولكن الأمر لا يتم على هذا النحو؛ ليظهر المسلمين جميعا إرهابيين[٣].

٤- النقد الذاتي :

يرى (كولن) أن علينا محاسبة أنفسنا، وأن نتحاشى نظريات المؤامرة التي تمنعنا من مواجهة مشكلاتنا الذاتية، فعندنا من المشكلات ما يتيح تجنيد الشباب لتلك الأعمال كالاستبداد، والعنف الجسدي، وإهمال الشباب، ونقص التعليم المتوازن[٤].

٥- إعادة النظر في فهمنا للإسلام، وممارستنا لعقائده ومعاملاته وأخلاقه في ضوء ظروف العصر، وهذا ليس معناه القطيعة مع الماضي، بل إدراك انحرافاتنا والانسلاخ منها والعودة إلى روح الإسلام، ولا بد كذلك كما يقول كولن: "لا بد من عزل واعتزال التفسيرات والتأويلات المتشددة للمصادر

١- السابق ص ١٥٣.

٢- سورة المائدة الآية: ٣٢.

٣- من حوار كولن في السلام والتسامح ص ١٥٥ .

٤- مقال كولن في جريدة (لوموند)الفرنسية ١٢/١٧/ ٢٠١٥م.

الدينية، والتي اجتزأت من سياقها لتحقيق أهداف وأغراض معينة"[١].

وعلى العلماء كذلك اتباع منهج شمولي ونظرة تكاملية في التعامل مع المصادر الدينية، وإعادة إحياء الحرية الفكرية في مواجهة الجمود الفكري[٢].

وهذه النقطة تحديدا تعنى بموضوع التجديد بإعادة فهم الأصول وتقديمها وفق ظروف العصر مع الاحتفاظ بالثوابت- وسيكون هناك حديث مفصل عن التجديد لاحقا-.

ومن هنا فعلاج الإرهاب متوقف على جانبين:

الأول: القوى العالمية:

فعليها التحرك وفق خطة منظمة للقضاء على الإرهاب عبر **المنظمات** الدولية كالأمم المتحدة.

الثاني: المسلمون:

فعليهم تعليم النشء الفهم الصحيح للإسلام، وحمايته من الأفكار الضالة، والنقد الذاتي، فننظر في مشاكلنا التي تجعل الشباب يلتجأ إلى العنف ونسارع في حلها، والنظر في تراثنا ونبذ التفسيرات والتأويلات المتشددة، وتجديد حياتنا الفكرية حتى تلائم مستجدات العصر.

وبناء على ما سبق يتبين الآتي:

١- مفهوم الجهاد في الإسلام ليس معناه الإرهاب كما يشيع في الغرب بل الجهاد مفهوم واسع فأي جهد يبذله المرء داخليا كان: كتقويم النفس وإصلاحها أو خارجيا كإصلاح مجتمعه وتقويمه فهو جهاد، وما القتال إلا جزء منه يستدعى وقت الضرورة؛ لدفع المعتدي، وتأمين الأرض، وحفظ الأنفس، وليس اعتداء على ذمي أو معاهد.

٢- الإرهاب ليس من الإسلام في شيء، فالإسلام يقر السلام والتعايش مع

١- مقال فتح الله كولن في جريدة لوموند الفرنسية .

٢- السابق .

الآخر، ولا يرتضي سفك الدماء وترويع الآمنين؛ ولذا وضع من الضوابط ما يصون الأنفس ويحقق الأمن في المجتمعات.

٣- علاج الإرهاب أيضا مرهون بعزيمة المجتمع الدولي، فعليه التعاون في وقف الإرهاب والكف عن اتخاذه مطية لتشويه الإسلام.

٣- الإسلاموفوبيا ظاهرة اخترعها الغرب والقوى المعادية عامة، وليس هناك أسباب تدعو للخوف من الإسلام مطلقا، بل الإسلام أكبر رادع للخوف والإرهاب، وأكبر محفز على الأمن والاستقرار.

٤- محاولة تقديم الإسلام إلى الآخر بصورته النقية، والرد على الشبهات المثارة والتي ترغب به عن الإسلام ينبغي أن تكون مسؤولية جميع المسلمين أفرادا ومؤسسات.

المبحث الثالث
الحوار مع الآخر

من أكثر القضايا طرحا على مستوى العالم، فالجميع من علماء، ومفكرين، وساسة يدعون إلى الحوار مع الآخر المختلف معك في الدين والنسق الحضاري، وبعضهم يسميه حوار الحضارات في مقابل صراع الحضارات، وبعضهم الآخر يطلق عليه حوار الأديان، وذلك لتحقيق السلام في العالم، وإقرار العقلانية مرجعا وأساسا للتفاهم بين المختلفين، لا التعصب و العنف والإرهاب .

وهناك طرف آخر يقرر أن مصطلحات الحوار بين الأديان والحضارات مسميات وهمية لا وجود لها في الواقع؛ لأنها تتطلب نوعا من الندية؛ حتى لا تنقلب إلى سيطرة القوي على الضعيف، كما أنها تستدعي أسسا واضحة لتحقيق المصلحة بين المجتمعات الراغبة في هذا التعاون، وما لم يحدث ذلك سيكون مثل هذا الحوار قليل الجدوى والثمرة[١] .

وكان (فتح الله كولن) ممن اختار الطرح الأول، واعتقد إيجابية وجدوى هذا الطريق ولذا كان له باع كبير في أمر الحوار داخليا وخارجيا، بل كانت تلك نقطة معرفة العالم به كداعية للحوار، أقام حوارا مع رجال الدين اليهودي، والمسيحي، وتواصل في الغرب مع كبار المنتديات والجامعات، وأنشأ المدارس، والجامعات، والصحف والمجلات؛ لتدعيم تلك الفكرة، ولولا إيمانه بها لما انتشر نشاطه في مجال التعليم كل هذا الانتشار، ولما فتحت له القنوات والإعلام الغربي، ولما سمح له بالإقامة في أمريكا، واستمرار حلقاته العلمية والكراسي الأكاديمية التي أنشأها في أكبر جامعاتها.

بل إن دعوته الواسعة للحوار جرت عليه اللوم والانتقاد من مخالفيه؛ إذ ظنوها إذابة للذات، ورضا عن الغرب، بل واتهمه البعض بالولاء للغرب، ولإسرائيل برغم العداوة القديمة الحديثة بينها وبين المسلمين.

وأساس الحوار هو وجود قضية محددة بين فريقين، أو إدارة فكرة بين

١- ينظر: د/ حامد طاهر: الفلسفة الإسلامية في العصر الحديث ص ٢٠٧.

طرفين مختلفين، تقوم على أساس من تبادل الحجج والبراهين[١].

وينتشر في عصرنا الحالي نوعان من الحوار مع الآخر:

الأول: الحوار بين الأديان:

وهدفه هو بيان الاشتراك بين الأديان السماوية في المبادئ والقيم الإيمانية والأخلاقية التي تدعو إلى عبادة الله وحده، وعمارة الأرض، وصنع الحضارة والهدف من هذا الحوار:

١- الوصول إلى التفاهم بين الأديان المختلفة، ومحاولة حل المعضلات بين المذاهب والفرق الدينية داخل الدين الواحد.

٢- مواجهة الاتجاهات والمذاهب غير الدينية مثل: الشيوعية، والعلمانية، والإلحاد وغيرها من المفاهيم المعادية للدين على مستوى الأديان كلها.

٣- حل المشكلات البيئية والاجتماعية مثل: الجهل، والفقر، والمرض تحت مظلة المبادئ الأخلاقية الدينية التي تتضمنها الأديان.

٤- الإسهام في مواجهة التطرف الديني، وهي مشكلة تواجه كل الأديان[٢].

وهناك عدة أنوع من الحوار مرتبطة بالحوار بين الأديان، ولكنها خرجت عن المفهوم الشرعي الذي حدده لنا الإسلام، وأصبحت مختلطة بالأفكار الباطلة منها:

١- وحدة الأديان:

وهو الجنوح إلى صحة جميع المعتقدات الدينية وجميع العبادات، وتوحدها تحت غطاء دين الإبراهيمية، وهو يدعو إلى وحدة الأديان السماوية الثلاثة باعتبار أن إبراهيم - عليه السلام- هو جد الأنبياء جميعا، وهناك رأي آخر ينطلق من فكرة صوفية تتحدث عن الوحدة والاتحاد باعتبار أن العالم كله متحد مع الإله وأن الأديان كلها صحيحة ؛ لأنها صادرة عنه.

وهؤلاء ينادون بطباعة الكتب الثلاثة (التوراة، والإنجيل، والقرآن الكريم) وضمهم في كتاب واحد بين دفتين، وبناء مجمع لأماكن العبادة يضم مسجدا،

١- ينظر: د/ هدى درويش: تقارب الشعوب موعد الحضارات دعوة المفكر الإسلامي التركي فتح الله جولن نموذجا ص ٢٣، دار السلام-القاهرة ٢٠١٠م.

٢- ينظر: الدكتورة هدى درويش: تقارب الشعوب ص – ٢٦-٢٤.

وكنيسة، ومعبدا، وتبادل الزيارات، وإقامة الصلوات المشتركة في أماكن العبادة لمختلف الأديان سواء بابتداع صلاة موحدة، أو أن يصلي كل واحد صلاة الآخر[١].

٢- حوار توحيد الأديان:

والمقصود به: "دمج جملة من الأديان والملل في دين واحد مستمد منها جميعا"، وهذا بالتأكيد خروج عن الدين الأصلي وتعاليمه[٢].

الثاني: حوار الحضارات:

والمقصود به: "التفاعل الثقافي الخلاق للجنس البشري في مجالات الإبداع المختلفة، والحضارة على تعددها لا يمكن أن تتوحد وتتطابق؛ لأن كل حضارة تطبع ما تأخذه بطابعها الخاص"[٣].

ومثله ما يسمى حوار التعايش أو التسامح ويهدف إلى تحسين العلاقة بين الشعوب والطوائف في نواحي الإنماء، والاقتصاد، والسلام، وغيرها [٤].

وهذ الحوار مع الحضارات نشأ كرد فعل لصراع الحضارات الذي ساد في الغرب ردحا من الزمن.

وفي المقابل هناك ثلاثة مواقف في التعامل مع الآخر حضاريا وثقافيا يتبناها المسلمون:

أولها: موقف الانغلاق دون الثقافات العالمية جميعها، وتحريم الاستفادة من تجارب الأمم.

ثانيها: موقف المثقف خالي الفكر من الذاتية الحضارية، والذي تنطبع فيه كل ألوان الوافد والمستورد.

والثالث: موقف التفاعل مع الحضارات والثقافات العالمية من موقع الراشد المستقل، دونما إفراط في الخصوصية يؤدي إلى الانغلاق، أو تفريط

١- السابق ص٤١، ٤٢.
٢- السابق ص ٤٣.
٣- السابق ص ٢٧.
٤- السابق ص ٣٨.

يؤدي إلى التبعية والتقليد والذوبان[١].

ويرى الدكتور (محمد عمارة) أن هذا التفاعل المتوازن هو الوسط العدل، وكولن مع هذا الطرح الأخير أيضا كما سيتبين لاحقا.

أولا: مفهوم كولن للحوار مع الآخر:

يؤيد (كولن) فكرة الحوار مع الآخر دينيا وحضاريا، ويرفض فكرة صراع الحضارات التي سادت في الغرب، فمثل هذه النظريات تروج للعنف والإرهاب، وإن كان من ثم صراع نواجهه، فينبغي أن يكون (صراع الحضارة الإنسانية مع الوحشية" المتمثلة في الإرهاب كما يرى كولن[٢].

ومن ثم اتخذ (كولن) الحوار سبيلا أساسيا؛ لتدعيم منهج السلام ونبذ العنف، يقول كولن: "إن الحوار من وجهة نظرنا هو وسيلة من وسائل تلاقي واجتماع النسيج الإنساني على مائدة واحدة، وهو البداية الصحيحة لإزالة القناعات والظنون الخاطئة لدى كل فرقة تجاه الأخرى"[٣].

ومنذ السبعينيات و(فتح الله كولن) يدعو إلى الحوار والتسامح بين المختلفين من أبناء وطنه مؤكدا أن الوحدة والاتفاق أصبحا ضرورة في هذا الزمن؛ لأن الأمة قد دفعت ثمنا باهظا بسبب تفرقها، وأصبحت الفرقة خطرا داهما أمام نهضتها من جديد.

ولكن أي وحدة يريدها كولن؟

إنه يريد التفاهم والتوافق المبني على أسس عقلية ومنطقية، لا على أساس الأحاسيس والمشاعر، حتى يضمن لها البقاء والاستمرار؛ لأن المبنية على العواطف ضعيفة، وناقصة، وقصيرة العمر، وهي عبارة عَادة عن تجمعات ضد مجموعة معينة، أو هجوم ضد مجموعة ما، وضرب مثلا بالاتحاد (الأنكلو سكسوني الغال) ارتبطوا رغم ما بينهم من عداوة؛ لتأمين وحدة البلاد ورعاية مصالحهم[٤].

١- ينظر: د/ محمد عمارة: روح الحضارة الإسلامية ص ٦٩- ٧٠ دار النيل- القاهرة، ط: الأولى ٢٠١٢م.

٢- ينظر مقال كولن في جريدة لوموند الفرنسية ٢٠١٥م .

٣- حوار مع جريدة (لاريبوبليكا)الإيطالية ٢٨ مارس٢٠١٤م من كتاب كلمات شاهدة ص ١٣٥دار النيل ٢٠١٥م.

٤- ينظر: الموازين ص ٦١- ٦٣.

يقول كولن: "والاختلاف في الفكر والفهم نتيجة طبيعية لاختلاف التكوين والخلق فهذه إرادة الله تعالى، وله فيها رحمة وحكمة، ولكن الإنسان مكلف أيضا بتأمين النظام والتلاؤم الموجود في الشريعة الفطرية بإرادته"[١].

ومن أسباب وعوامل الانقسام كما يرى كولن:

١- قيام كل جماعة، وكل حزب، وكل مجموعة بالانتصار لنفسها، كما يحدث أن تعد كل جماعة مرشديها وزعمائها مجددين دون سواهم، مع أن مفهوم المجدد موجود في كل زمن وعصر.

٢- القوى الخارجية تبذل جهودها أيضا لإذكاء نار الفرقة بيننا فهو عداء قديم لأمتنا[٢].

ويرى (كولن) أن الصراع في عهدنا الحالي أصبح بين المعسكرات والأيدولوجيات وتحولت الدنيا إلى قرية كبيرة، وتكونت اتحادات وتجمعات معينة تضم أمما شتى؛ ولذا من الغريب أن نفترق ونحن أبناء منطقة واحدة تحت مسميات وعرقيات ويحدث الشقاق والفوضى، فوطننا تمازجت فيه الأقوام المختلفة نتيجة عيشها معا عصورا عدة، ولم يعد ثمة ما يدعى "بالدم الصافي النقي"، ويجب أن نصغي لصوت الوحي: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾[٣] وكذا صوت النبوة[٤].

فالقرآن والسنة يدعوان إلى الوحدة والاعتصام بحبل الله، وينبهان على خطورة الفرقة.

ثانيا: أسس الحوار عند كولن[٥] :

١- الموازين ص ٦٣.

٢- ينظر: الموازين ص ٧١- ٧٢.

٣- سورة آل عمران الآية :١٠٣.

٤- ينظر: الموازين ص ٧١-٧٢.

٥- رجعت في هذا المبحث بشكل أساسي إلى بحث فتح الله كولن وأهل الكتاب صوت من تركيا للحوار بين الأديان بقلم ساري توبراك، سيدني جريفيث؛ لكون هذا البحث اعتمد على كتابين لكولن هما نحو الفردوس المفقود، والعصر والجيل، وكلاهما لم يترجما بعد إلى العربية هذا إلى جانب بعض المراجع الأخرى المتوافرة بالعربية.

من خلال كتابات (كولن) ومواقفه يمكن لي حصر الأسس التي قام عليها حوار الأديان لديه في عدة أمور:

١- الحب والرحمة والتسامح:

يرى بعض الباحثين في فكر (كولن) حول حوار الأديان أنه يؤصل لفكرة التسامح في المبادئ الإسلامية متخذا البسملة نقطة انطلاق لما فيها من تكرار اسمي الله الرحمن الرحيم، فالله يريد أن يعلم المسلمين أن يكونوا رحماء في علاقاتهم مع الآخرين من الناس وحتى مع الطبيعة؛ لذا فالأساس الأول لمبدأ التسامح عند (كولن) هو الرحمة، ويقصد بها كولن الرحمة مع الإنسانية كلها، وحتى مع كل الطبيعة حتى الحشرات الضئيلة، وإلى جانب الرحمة نجد الأساس الثاني الحب، وهو متأثر بتعاليم الصوفية كثيرا في هذا الجانب إذ يركز كولن في حديثه عن الحب على أحد أسماء الله الحسنى وهو(الودود)، ويتوقع من المسلمين وفق هذا الاسم أن يعكسوا هذه الصفة في حياتهم، وأن يصبحوا أمة محبة [١].

ويدعو (كولن) أيضا إلى التسامح والصفح والتواضع، وهي قيم إسلامية أساسية يقول كولن: "إن هؤلاء الذين يغلقون طريق التسامح ليسوا سوى أشخاص وحشيين فقدوا آدميتهم ونعتقد أن العفو والصفح والتسامح ستضمد الجراح وترأب الصدع طالما هذا السلاح السماوي في أيدي من يفهمون لغته، وإلا فمعالجتنا الخاطئة ستنتج العديد من التعقيدات الجديدة وتربكنا "[٢].

٢- عدم الإكراه:

أكد (كولن) على أساس مهم في التعامل مع الآخر غير المسلم، وهو عدم الإكراه فيكفي المسلم أن يمارس معتقداته، ويمثلها تمثيلا لائقا في تلك المجتمعات غير الإسلامية لا إجبار الآخرين على قبول دينه أو أفكاره.

فعندما تكلم (كولن) عن المؤمن وصفه بالقول: "لا يعتريه قط استعلاء، أو كبر، ولا يفكر في إكراه غيره على قبول فهمه وفلسفته في الحياة، فهو يتقبل الآخر كما هو بملاحظة أن النظام الذي آمن به يقطع سبيل الإكراه في الدين فيعيش بمحبة مسلكه ومشربه بدلا من إجبار الآخرين على معتقداته، ويشهر

١- ساري توبراك: فتح الله كولن وأهل الكتاب ص ٢٢-٢٣.

٢- كولن: العصر والجيل-١ ص ٧١ نقلا عن السلام والتسامح ص ٢٤.

أفكاره ومعتقداته ويمثلها تمثيلا سليما"[١].

ثم يتحدث (كولن) على أن الحرية قاعدة أصيلة في الإسلام، والإسلام جاء لتحقيقها وإنقاذ البشر من القهر والإكراه، فيقول: "فالأصل أن الإسلام جاء لإنقاذ البشر من الإكراه وتحفيزهم لاختيار جديد بإرادتهم الحرة مخاطبا عقولهم ومنطقهم، وليس لدفع أتباعه إلى الضغط على هذا وذاك للقبول بنظام معتقداتهم أو إكراههم عليه"[٢].

وأبان (كولن) أن الإسلام انتشر بالمنطق وبقوته المعنوية لا بالجبر والإكراه، فقال: "ففي الأيام التي طبق الدين بلا نقص ولا فتور، فإن جاذبيته المعنوية لم تدع حاجة إلى ألاعيب المنطق الملتوية، أو القوة الطائشة، أو القهر الصريح، أو الخفي، أو الجبر والإكراه، فلقد نطقت الحال وأبانت ووضح اللسان المبهمات فإذا خلا الميدان للقول خوطب الوجدان وبشر البيان وأنذر متحليا بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم يضغط على أحد لا قولا ولا فعلا ناهيك عن الإكراه والجبر"[٣].

ثم بين (كولن) حكم إيمان المكره فقال: " الإسلام لا يقبل إيمان المكره والمقهور ؛ولأن الأعمال القائمة على الجبر والقوة القاهرة تناقض جوهره وروحه، بل لا يحتسب الدين الحق من العبادات عملا ليس في أصله الإخلاص أو رضا الله تعالى فلا يرى في إيمان المكره والمقهور إيمانا، بل نفاقا، ولا الأعمال أعمالا، بل رياء بشعبها كافة؛ لذلك لا يجيز الإسلام الإكراه في الدين ويمنعه بنص القرآن: ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾[٤] فيقطع دابر القهر؛ لأنه يعتبر الرياء عين النفاق، ويعتبر النفاق كفرا مستورا"[٥].

١- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١٧٩.
٢- السابق ص ١٨٠.
٣- السابق ص ١٨٠.
٤- سورة البقرة: الآية: ٢٥٦.
٥- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١٨٠.

٣- احترام الأديان:

يضع (كولن) فكرته عن حوار الأديان في محور هذه الآية: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[١].

فهو يرى أن الإسلام يفرض على المسلمين احترام أتباع الأديان السماوية إلى جانب الإيمان بأصول أديانهم وأنبيائهم، فالمسلم يؤمن بمحمد (صلى الله عليه وسلم)، وفي الوقت ذاته يؤمن بإبراهيم، وموسى، وعيسى، والأنبياء الآخرين فإن عدم الإيمان بهم يكفي لجعل الشخص خارج دائرة الإسلام[٢].

٤- الحاجة إلى الحوار:

يرى (كولن) أن هناك ضرورة في هذا العصر لإقامة مثل هذا الحوار، وخاصة في الأمور المشتركة فيمكن أن يقام حوار إسلامي مسيحي؛ لإظهار العلاقة بين العلم والدين في الكتب السماوية، فقد ظل العلم عدوا للدين في الغرب لقرون عدة، ومن خلال الحوار الإسلامي المسيحي يكون بإمكان كلتا الملتين إظهار حقيقة العلاقة بين الدين والعلم، يقول كولن: "إذا لم يكن هناك سبب آخر لتعزيز الحوار الإسلامي المسيحي، فإن هذا السبب يعد كافيا لإقامة هذا الحوار؛ وذلك لما ينطوي عليه من أهمية كبرى"[٣].

٥- الحفاظ على الأصول والأسلوب على حدٍّ سواء:

يقول كولن "كما يجب ألا نخالف المبادئ الأساسية حين ننقلُ إلى مختلف أنحاء العالم تلك القيمَ الخالصة النقيَّة النابعة من جذورنا الروحية والمعنوية؛ كذلك بالضبط يجب علينا حينما ننهل نحنُ من تلك البلاد ما هو مفيد لنا، فإن لم نراعِ الدقة البالغة تجاه هذا الأمر فلربما نقع في بعض الأخطاء، فمثلًا ربما ننزلق دون داعٍ إلى نوع من المداراة والمماشاة ؛ بغيةَ توضيح حقائق معينة إلى

١- سورة الحجرات الآية: ١٣.

٢- ساري توبراك: مقال فتح الله كولن وأهل الكتاب صوت من تركيا للحوار بين الأديان من كتاب السلام والتسامح ص ٢٩.

٣- ساري توبراك: فتح الله كولن وأهل الكتاب ص ٢٨.

مخاطبينا من غير المسلمين، سعيًا وراء إرضائِهم فقط، وقد نُخطئ في مسألة تفضيل الناس في عالمنا القلبيّ، وهذا كلُّه يعني الانحراف عن مبادئ أصول الدين وأسسِه؛ لأن القرآن الكريم يأمرُ المؤمنين بألا يتّخذوا أولياء لهم من دون المؤمنين"[١].

غير أنَّ هذا الأمر لا يعني أنْ يقطع المؤمنُ علاقاته بغير المؤمنين وأنْ يُعرض عنهم تمامًا؛ ففعلُ هذا مخالفٌ للمبادئ الأساسية في نفس الوقت؛ إذ يُبيّن القرآن الكريم أنَّهم ليسوا سواء: ﴿ **لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ**﴾[٢]، ومنهم من يدعو إلى الحقِّ والحقيقة، فيقول: ﴿ **وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ** ﴾[٣]، ومنهم من إذا سمعوا القرآن يُتلى فاضت أعينهم من الدمع؛ لأنهم يعرفون الحقّ، فيقول تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** ﴾[٤]؛ ولذلك ينبغي ألا ننظر إلى أهلِ الكتاب كلّهم نظرة واحدة، فنُعرضَ عنهم أجمعين؛ حيث يبين الله تعالى بقوله: ﴿ **لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوَهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ**﴾[٥]، أي لا بأس ولا حرجَ في التقرّب منهم بالإحسان إليهم؛ وعليه يتحتّم إيجاد سبيلٍ يناسب كلّ إنسان حسب موضعه ومكانه، وإقامةُ علاقةٍ وتواصلٍ مع الجميع[٦]؛ لذا وجب - كما يقول كولن- على من يلتقي أناسا من مختلف الثقافات، ويتواصل معهم: "أن يَخبُروا مخاطبيهم الذين يتواصلون معهم، ويتعرفوا إليهم جيّدًا، وذلك بأن يحصلوا مسبقًا على معلومات بشأن فلسفتهم في الحياة وعقيدتهم وشخصيتهم،

١- كولن: مقال محور أصول الدين على موقع herkul بتاريخ ٤/ ٢٠١٦م.
٢- سورة آل عمران الآية ١١٣.
٣- سورة الأعراف الآية:١٥٩.
٤- سورة المائدة الآية : ٨٣.
٥- سورة الممتحنة الآية ٨.
٦- كولن: مقال محور أصول الدين.

ويحسبوا جيّدًا ردَّ فعلهم إزاء ما قد يُقال لهم، ثم يبدؤوا في الاتصال بهم ومخاطبتهم"[١].

غير أنَّه في سبيل النفوذ إلى روح المخاطب واللطف معه أيضًا يرى (كولن) أنه يجب ألَّا نتحرك على نحوٍ يخالفُ أصول الدين، فمثلًا يلزمنا عندما نخاطب إنسانًا ينتسب إلى دينٍ آخر أو نظامٍ عقديٍّ آخر أن نتحرى الأسلوب الأصح معه، كأن نفسح المجال للتعبير عن إلهامات روحنا عن طريق نقل نظرة القرآن الكريم بشأن بعضِ الرسل كسيدنا (موسى)، وسيدنا (داود)، وسيدنا (سليمان)، وسيدنا (إبراهيم)، وسيدنا (يحيى)، وسيدنا (عيسى) -عليهم السلام- أجمعين، أو ذكر بعض أقوال سيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم - فيما يتعلّق بالرسل -عليهم السلام-، من ذلك ما رُوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلاَنِ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، قَالَ المُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى العَالَمِينَ، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى العَالَمِينَ، فَرَفَعَ المُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَطَمَ وَجْهَ اليَهُودِيِّ، فَذَهَبَ اليَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، وَأَمْرِ المُسْلِمِ، فَدَعَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المُسْلِمَ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ"[٢]، وبهذا يمكننا التعبير عن مدى تواضع وكمال المرشد الأكمل سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم-.

وثمة أمر آخر ينوه إليه (كولن)، وهو ضرورة ألا نُؤذِي الآخرين، ونثير حفيظتهم فنضع أنفسنا في مرمى سبابهم وشتائمهم، وينبغي لنا أن ننأى عن كلّ تصرف وسلوك قد يُسيء إلى الإسلام ويُقلّلُ من شأنه؛ وهذا أمرٌ يدعونا إلى التمسك بأصول الدين، من أجل ذلك لا بد من التعرف جيدًا على فقه السيرة النبوية، والمنهج والسبيل الذي اقتفاه الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين[٣].

١- كولن: مقال محور أصول الدين.

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، باب من انتظر حتى تدفن، كتاب الجمعة (ج ٣ ص ١٢١رقم: ٢٤١٢).

٣- كولن: مقال محور أصول الدين.

ويستشهد بحال السلف وحرصهم على التمثيل الجيد للإسلام، فيقول: "ولقد كان السابقون الساعون إلى تمثيل الحق والحقيقة يسأل بعضهم بعضًا حين يلتقون، ويجتمعون سويًّا رغبةً منهم في الحفاظ على مبدأ محاسبة النفس ومشاعر اليقظة الكامنة بداخلهم: (كم إنسانًا قتلتَ؟)؛ أي كم إنسانًا دخلَ في محيطك فابتعد عن الدين بسبب عدم تمثيلك له كما ينبغي؟"؛ ولذا انتهى إلى أنه:" يلزمنا نحن أيضًا - كي لا نقتلَ أحدًا- أن ننبذَ رأيَنا الشخصي، ونحدّد المنهج والسبيل المناسب وألا نخطِئَ في الأصول ولا في الأسلوب أبدًا، وأن نسعى من أجل تقديم الحقائق إلى مخاطبينا على نحوٍ محمودٍ ومقبول"[١].

كانت هذه أسس بناء الحوار بين المسلمين وغيرهم ، وهي كما هو واضح قائمة على قيم الإسلام التي تدعو إلى الرحمة، والتسامح، والحرية، وعدم الإكراه، وبشرط الحفاظ على الأصول والأسلوب على السواء.

ثالثا: التطبيق العملي لدعوة كولن إلى الحوار:

ظهر التطبيق العملي في دعوة (كولن) للحوار في عدة خطوات اتخذها وهي:

١- إقامات علاقات جيدة مع الأقليات الموجودة في تركيا مثل اليونانيين على إثر نشاطاته الحوارية أواخر الثمانينات[٢]، وكذا زيارته لممثلي الجماعات الأرثوذكسية واليهودية التي تقيم في تركيا عام ١٩٩٠م[٣] .

٢- دعوته عام ١٩٩٥ لمشروع (المسجد وبيت الجمع جنبا إلى جنب) للتقريب بين السنة والعلويين[٤] في تركيا، وعندما نفذ المشروع لاقى

١- مقال محور أصول الدين.

٢- ساري توبراك: السلام والتسامح في فكر كولن ص ٣٠.

٣- ينظر: دكتورة/ هدى درويش: تقارب الشعوب ص ١٤٧.

٤- العلويون: نسبة إلى الإمام علي بن أبي طالب وهم فرقة خرجت من الشيعة الإمامية؛ ولذا فنشأتهم هي نفس نشأة الإمامية غير أنها اتخذت سبيلا آخر بعد الإمام محمد الثاني عشر، وبيان ذلك أن لكل إمام باب، وآخر باب هو أبو شعيب محمد بن نصير النميري، وكان بابا للإمام الحادي عشر، فلما اختفى الإمام الثاني عشر، ولم يتخذ بابا شغل النميري وظيفة الباب، وتزعم فرقة من العلويين وإطلاق اسم(النصيرية) على هذه الفرقة في سوريا وتركيا نسبة إليه، فهو رئيسهم بعد انقضاء دور الأئمة، وتجمع هذه الفرقة بين ثلاث عقائد، وهي: التشيع والاعتزال والتصوف، ويستقرون في شمال وغرب سوريا وجنوب تركيا، ويحيطون أنفسهم بسرية تامة؛ ولذا اختلف

هجوما خوفا من ذوبان الهوية، وكان موقف (كولن) أن هذا المشروع سيربط ويوطد أخوة أهل السنة والعلويين، فيقول في حوار صحفي مع قناة بي بي سي: "إن هذا المشروع يعني أن من أراد أن يذهب إلى المسجد ليصلي يفعل، ومن أراد أن يذهب إلى بيت الجمع ليقيم مرسم "السَّمَاح" يفعل كذلك، وعندما يخرجون سيلتقون في مكان مشترك، ويأكلون الطعام معا، ويشربون الشاي، ويجلسون معا ...وينبغي أن لا ننظر إلى هذه الفروق كأنها أسباب للنزاع، بل ينبغي احترامها، أما الأوهام والهواجس المثارة، فالزمان سيثبت لنا مدى صحتها الزمان سيثبت لنا أنه لا أحد منا يهدف قطعا إلى محو هوية الآخر"[١].

٣- ولمقاومة الفرقة وتعزيز بواعث الاجتماع على كلمة سواء داخل تركيا بين المتخالفين من أهل الديانات الأخرى، وأصحاب التيارات الفكرية الحداثية، والليبرالية، والقومية كان (كولن) أحد القوى المحركة وراء إنشاء منظمة تركية غير حكومية باسم (وقف الصحفيين والكتاب)، وقد نجحت هذه المنظمة في تجميع أفراد من خلفيات اجتماعية مختلفة مع بعضهم البعض من أجل تحقيق التصالح الاجتماعي تحت اسم (منصة أبانت)[٢] .وقد توسع هذا الحوار وامتد خارج تركيا ليشمل الحوار مع الآخر دينيا وحضاريا.

٤- لا يعارض (كولن) إقامة علاقات وحوار بين السنة والشيعة، بل يرى عدم تمييز الناس إلى سنة وشيعة، بل يجب أن يعامل الأفراد على كونهم بشرا رغم اختلاف ديانتهم، ومعتقداتهم، ومذاهبهم، لهم جميع

الباحثين في بيان عقائدهم. الغلاة منهم (النصيرية) يؤلهون آل البيت ويقدسون عليا ويقولون بالحلول، أما المعتدلون فعقيدتهم كالشيعة الإمامية يعتقدون بتوحيد الله. ينظر: الشهرستاني: الملل والنحل ص ٢٢٠. د/ مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب ص ٣٠٥-٣٢٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠١٧م.

١- حوار مع قناة بي بي سي الفضائية يناير ٢٠١٤م من كتاب حوارات مع الأستاذ فتح الله كولن كلمات شاهدة حول الدين والمجتمع والدولة بأفق إنساني، ص ١١٣دار النيل٢٠١٥م.

٢- توبراك: السلام ونبذ العنف من منظور إسلامي التجربة التركية نموذجا . بحث في كتاب السلام والتسامح في فكر كولن ص ١١٠ وينظر: أرطغرول حكمة: فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر ص ١٢٧- ١٢٨ .

الحقوق الديمقراطية، ومع كونه مع التقريب بين السنة والشيعة إلا أنه يؤكد أن قادة الشيعة يميلون إلى توظيف جهود التقارب لأغراض توسعية خاصة بهم مثل: الهيمنة على المنطقة، وتوسيع نفوذهم، كما تفعل إيران التي تسعى إلى تحقيق غايات قومية فارسية تحت ستار التشيع، ويرى أن يكون السبيل هو الحوار بطريقة حضارية قوامها الرحمة والتلطف والحكمة لحل جميع المشكلات بين الطرفين[١].

٥- ثم الخطوة الأكبر وهي زيارته للبابا يوحنا بولس الثاني عام ١٩٩٧م؛ لتدعيم الحوار بين المسلمين والمسيحيين، وقد قوبل هذا اللقاء بهجوم من العلمانيين، ومن بعض الإسلاميين على السواء، وقد تركز نقد العلمانيين بضرورة التفويض المطلق من الدولة، أما الإسلاميين فقد اعتبروا الزيارة نوعا من التذلل الذي لا يليق بالمسلمين، واعتقد البعض أن زيارة عالم مسلم للبابا قد يتسبب في تنصير بعض المسلمين[٢].

ويرى (كولن) أن هذا الخوف من حوار الأديان غير مبرر، فالإسلام منذ بداية ظهوره ساند الحوار بين الأديان، وادعاء أن هذا قد يتسبب في اعتناق المسلمين للأديان الأخرى ادعاء غير صحيح، وينبع من ضعف الثقة بالإسلام، يقول كولن: "إن الإنسانية تمر الآن بعصر المعرفة والعلوم وإن العلوم سوف تحكم العالم على نطاق أوسع في المستقبل؛ ولذلك فإن معتنقي الدين الإسلامي - بمبادئه التي يدعمها العقل والعلم- ينبغي ألا يتشككوا أو يجدوا صعوبة في محاورة معتنقي الأديان الأخرى"[٣].

وأرى أن الأفضل أن تتم هذه اللقاءات في شكل مؤسسي وتتبع مؤسسات معتبرة في هذا الشأن، ولا تتم بشكل شخصي ينم عن المودة والعلاقات الحميمية كما فعل (كولن) فلا بد أن تكون في إطار مؤتمر أو عمل مؤسسي، وتستهدف قضايا محددة ذات اهتمام مشترك بين الجانبين.

٦- وتوالت الخطوات فقابل البطريرك (بارثولوميوث الأول)وهو الزعيم

١- ينظر: حوار كولن مع جريدة الشرق الأوسط مارس ٢٠١٤م، المنشور في كتاب كلمات شاهدة ص ٤١.

٢- فتح الله كولن وأهل الكتاب ص ٢٥- ٢٦ .

٣- فتح الله كولن وأهل الكتاب ص ٢٧.

الروحي لأكثر من ٣٠٠مليون مسيحي أرثوذكسي، والتقى كذلك بالحاخام الإسرائيلي الأكبر، وعقدت كثير من المؤتمرات في تركيا وخارجها لتدعيم هذا الأمر[١].

٧- وعندما أدلى البابا بنديكت السادس عشر عام ٢٠٠٣م بتصريحات معادية للإسلام قام (كولن) بإصدار بيان قوي للرد عليه ببيان منهج الإسلام في الرحمة والتسامح، وأن هذه التصريحات غير المقبولة وغيرالمسؤولة والتي جرحت مشاعر المسلمين، واستخفت بعقيدة الألوهية، ونالت من النبي (صلى الله عليه وسلم) ستكون مبررا لحوادث وأعمال عنف ومؤامرات، وطالب (كولن) برد إيجابي من الفاتيكان، فيقول: "نحن نتمنى صدور ردود فعل حضارية من الفاتيكان، فهذا حق مشروع للمسلمين الذي جاء رسولهم بأسس أخلاقية من الرحمة والشفقة. وعدم الانزلاق إلى الألاعيب وسوء التصرفات"[٢].ويختتم كولن بيانه هذا ببيان الحاجة الملحة إلى الحوار والتعايش بين الأديان[٣].

٨- يؤيد (فتح الله كولن) الجهود التركية للانضمام للاتحاد الأوروبي، ويرى أن الطرفين سيفيدان ويستفيدان من عضوية تركيا بالاتحاد الأوروبي[٤].

إذن لا يمانع (كولن) في إجراء أي تعاون مع الآخر في أي مجال من مجالات التعاون، أو الاشتراك في الكيانات الدولية، فهو مع أي صورة من صور الحوار البناء الذي يفضى إلى تحقيق الأمن والسلام، وحل المشكلات العالمية المشتركة.

١- ينظر: السلام ونبذ العنف ص ١١٠- ١١١.

٢- ينظر: د/ هدى درويش: تقارب الشعوب ص ١٥٦.

٣- السابق ص ١٥٧.

٤- حوار كولن مع جريدة(لاريبوبليكا) الإيطالية ٢٨مارس ٢٠١٤م من كتاب كلمات شاهدة ص ١٣٥.دار النيل ٢٠١٥م.

المبحث الرابع
الحرية

تُعد الفلسفة الإنسانية حرية الفكر والتعبير عن الرأي ركنا أساسيا سواء من الناحية الفلسفية، أو الناحية الاجتماعية والسياسية، فحرية الصحافة، وحرية الاحتجاج السلمي، وحرية الدين، وحق التجمع، وغير ذلك من الأعراف الراسخة في الغرب كلها تنبع من الحرية كأحد المثل العليا التي تنادي بها جميع الحركات الإنسانية الحديثة [١].

بينما تنبع تلك الحريات عند الفلاسفة والمفكرين المسلمين من مصادر الإسلام نفسه فمن الحقوق الأساسية التي منحها الإسلام للإنسان الحريات الخمس التي تباهي الحضارة الغربية بالكشف عنها متجاهلة أن الإسلام قد وجه إليها ورعاها من قديم؛ وهي حرية الاعتقاد، وحرية الرأي والتعبير، وحرية العمل، وحرية التعلم، وحرية التملك والتصرف [٢]، ويقول د/ زقزوق: "الحرية حق من حقوق الإنسان التي لا جدال فيها والتي لا يجوز المساس بها أو مصادرتها دون وجه حق، ونقيض الحرية هو العبودية وليس من حق أحد أن يستعبد الناس، ويسخرهم لأغراضه، ويسلبهم حقهم المشروع في الحرية، وفي اختيار ما يريدون"[٣]، بل ذهب الدكتور (عمارة) إلى اعتبار الحرية من أهم الضرورات اللازمة لتحقيق إنسانية الإنسان، وليس فقط من الحقوق[٤].

أولا: الحرية وضوابطها عند كولن:

يرى (كولن) أن الحرية - أو الفردية- في الإسلام ركن رئيس، وليست وليدة المجتمعات والأنظمة الحديثة، وذكر عدة معان للحرية طبقا لذلك منها:

أ- "الحرية هي تحرر الفكر الإنساني من كل قيد يمنعه من الرقي المادي والمعنوي بشرط عدم السقوط في وهدة اللامبالاة أو الانفلات من

١- ينظر: جيل كارول: مقال الحرية لدى كولن وميل من كتاب حوارات حضارية ص ٤٧.

٢- د/ إبراهيم مدكور : في الفكر الإسلامي ص ١٨٦ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٨م.

٣- د/محمود حمدي زقزوق : الإنسان والقيم في التصور الإسلامي ص ١٨٨.

٤- ينظر: الدكتور/ محمد عمارة :الإسلام وحقوق الإنسان ضرورات لا حقوق ص ١٨ دار الشروق ط الثانية ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.وينظر: د محمد عمارة: روح الحضارة الإسلامية ص ٨١ دار النيل ١٤٣٢هـ- ٢٠١٢م.

الشعور بالمسؤولية"[١].

ب- "الحرية بالنسبة للإنسان هي الارتباط بالفكر الحق وعمل ما يرغب فيه، بشرط عدم إيذاء الآخرين"[٢].

ج- "الحرية المعقولة؛ هي الحرية المدنية، وهي الحرية المربوطة بالسلسلة الماسية للأخلاق والدين وبالطوق الذهبي للتفكير السليم"[٣].

د- " الحرية هي عدم قبول الروح سوى المشاعر العلوية، والأفكار السامية، ولا تعني الإسار لأي مبدأ سوى مبدأ الخير والفضيلة"[٤].

إذن - من خلال تلك الحقائق- الحرية وإن كانت تعني التحرر من الإسَار والقيود إلا أنها تبقى ضمن إطار العبودية لله وضمن إطار أحكامه وهو ما يؤكد عليه كولن كثيرا، ومن ثم يرى أن الحرية التي لا تعطي أهمية للشعور الديني وتشجب الفكر الديني، ولا تعطي قيمة للأخلاق، ولا تكون مشتلا للفضيلة مثل هذه الحرية داء وبيل تنفر منه الأمة وتهرب منه هربها من الطاعون وكل أمة تبتلى بمثل هذه الحرية ستفقد أمنها عاجلا أم آجلا، وتفقد أصدقاءها، ومحيطها، ومن حواليها.

ويفرق (كولن) بين نوعين من الحرية:

١- حرية حيوانية: تبغي الشهوة ومتعة الجسد.

٢- حرية إنسانية: تسعى لإزالة العوائق أمام الروح، فيقول: "الذين ينظرون إلى الحرية وكأنها تعني الانطلاق دون أي ضوابط لا يدرون بأنهم يخلطون بين الحرية الحيوانية وبين الحرية الإنسانية، وبينما شعار الحرية الذي يرفعه الذين يتهالكون لتحقيق الشهوات الجسدية ليس إلا شعارا حيوانيا نرى أن الحرية التي تسعى لإزالة العوائق أمام الروح لكي تسمو وتحلق في الأعالي مثل هذه الحرية شعار إنساني، وعلامة على الماهية الإنسانية"[٥].

والحرية فوق ذلك شعور وليس حالة للجسد، يقول كولن: "كم من إنسان

---

١ - كولن: الموازين ص ٩٦.

٢ - السابق ص ٩٦.

٣ - السابق ص ٩٦.

٤ - الموازين ص ٩٦.

٥ - كولن: الموازين ص ٩٧.

مغلول بالقيود والسلاسل ولكنه يستطيع الطيران حرا في سماء قلبه وضميره، ولا يحس لحظة واحدة بأنه في الحبس وفي السجن، وكم من إنسان يعيش في قصور فخمة ولكنه لم يعرف الحقيقة ولم يذق طعمها في أعماق نفسه"[١].

ومن خلال المعاني السابقة يمكن لنا تحديد ضوابط أساسية للحرية في مفهوم (كولن)، ومنها:

١- حرية مقيدة بضوابط:

يؤكد (كولن) كثيرا على مبدا الحرية، وكثيرا ما يتحدث عن ضوابطها التي تنتهي عند حرية الآخرين، وهذه رؤية عامة لجميع المفكرين والفلاسفة المسلمين تماشيا مع القاعدة العامة: "لا ضرر ولا ضرار"[٢].

ومن ثم نرى (كولن) دوما يربط الحرية بالدين و بالأخلاق، إشارة إلى أن الحرية ليست مطلقة، بل لها حدود يبينها الدين والأخلاق، يقول كولن: "من منظور التوحيد وهو الركن الرئيس من أركان الإسلام يستحيل الحصول على فردية غير مقيدة؛ لأن الإنسان إما متفلت متمرد على المعايير الأخلاقية لا يقبل شيئا منها، أو أنه عبد مستسلم لله وطائع لأوامره، وهذه العبودية تمنح الإنسان قوة لا ينحني معها أمام أي سلطة، أو يضحي بأي قدر- ولو ضئيلا- من حريته، فعبد الله لا يمكن أن يستعبده أي شيء سواه تعالى"[٣].

ومن ثم يجعل (كولن) الحرية الحقيقية ضرورة من ضرورات العبودية الكاملة لله، بل كأنهما مترادفتان، فيقول: "يمكن القول إن الإنسان حر بقدر عبوديته لله ومن حرموا العبودية لله لا يمكن أن يدركوا القيم الإنسانية الحقيقية

---

١ - الموازين ص ٩٧.

٢- ينظر: الدكتور زقزوق: الإنسان والقيم ص ١٨٨- ١٨٩.والحديث أخرجه ابن ماجه باب من بنى في حقه ما يضر جاره ابواب الأحكام ج ٣ ص ٤٣٢ رقم ٢٣٤١،.وأخرجه الدار قطني، ينظر: علي بن عمر ابو الحسن الدار قطني البغدادي: سنن الدار قطني، باب في المرأة تقتل إذا ارتدت، كتاب عمر - رضي الله عنه- إلى أبي موسى الأشعري (ج ٤ ص ٢٢٧ برقم ٨٣) ، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني دار المعرفة – بيروت ١٩٦٦م. وحكم الألباني بصحته، ينظر: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى :١٤٢٠هـ): إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ص ٦٣/٧ رقم ٢٠٠٣

٣- حوار مع فتح الله كولن من كتاب السلام والتسامح ص ١١٨.

مثلما يتعذر عليهم أن يكونوا أحرارا أبدا؛ لأنهم يشق عليهم أن يتخلصوا في أي وقت من الدوامات البدنية والجسدية، وأن يشعروا بجواهرهم وبما لها من أعماق خاصة بها وطالما أن القلب أسرته وكبلته مطالب وأحبة وأهداف مختلفة، فيستحيل أن يكون الإنسان حرا أبدا وأنى لشخص مدين للآخرين دائما أن يكون حرا"[١].

٢- تلبية حاجات الأفراد:

في الوقت الذي يطلب الإسلام من الأفراد العبودية لله فإنه يلبي جميع حاجاتهم بتوازنه وواقعيته، يقول كولن: "إن الإسلام في الوقت الذي يطلب من الأفراد أن يكونوا أحرارا غير معتمدين على أي شيء غير الله، فإنه أيضا يقبل الأفراد كأعضاء في الأسرة، والمجتمع، والأمة، وكل الإنسانية بناء على احتياجاتهم المتبادلة، فكل فرد يحتاج أن يعيش مع غيره من البشر، ولا يمكن أن يستغني عنهم، وبهذا المعنى فإن المجتمع يصبح مثل الكائن الحي، الأعضاء فيه مترابطة، وفي حاجة بعضها إلى بعض، ومن المهم للغاية أن يقوم هذا الترابط والتعاون الذي تحتمه الضروريات والحاجيات وحتى التحسينيات (التكميليات) بوظيفة الصوبة الزجاجية التي تحمي الأفراد داخلها من القوى الظالمة، وتساعدهم على الوفاء باحتياجاتهم"[٢].

وهنا نقطة فارقة بين الإسلام وبين أنصار الحرية المطلقة أبانها (كولن) في قوله: "فهؤلاء المؤيدون للحرية المطلقة يتركون الفرد وحيدا في صحراء الوجود دون أي دعم ضد تلك القوى التي تتخفى لأسرهم بحجة تحرير الفرد من روابط تقليدية معينة، وببقاء هذا الفرد خاضعا لظلم المستبدين أو خاضعا لظلم اجتماعي، فإنه بذلك يدفع ثمنا مؤلما بفقده لحريته وكرامته باسم الفردية"[٣].

إذن الإسلام لا يترك الفرد هملا ضائعا، بل يدعمه بالنظم والأحكام التي تمنحه الأمن والطمأنينة.

١- فتح الله كولن : سلسلة العصر والجيل ٦ ص ١٩٧ نقلا عن: علي أونال: فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري ص ٣٤٠، ترجمة: د عبد الرازق أحمد محمد، دار النيل، ط الأولى ٢٠١٥م.

٢- ا د/ ساري توبراك: حوار كولن في كتاب السلام والتسامح ص ١١٩.

٣- السابق.

٣- توازن بين الدنيا والآخرة:

وهذا ما يميز الإسلام عن غيره من الأنظمة الأخرى، فهو يرعى الروح والبدن، الدنيا والأخرى، ويضع الثواب لمن التزم قواعده والعقوبة لمن عصى وغير وبخاصة في الدار الآخرة ، يقول كولن عن الإسلام: "لا يقيد معتنقيه باعتبارات غيبية فقط ولا يكتفي بالكمال الروحي للفرد، والشعائر الدينية، والعبادات الفردية، فالإسلام بالإضافة إلى التركيز على الاعتبارات الغيبية يرسي القواعد التي تنظم حياة الإنسان الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والأخلاقية، والقانونية"[١].

٤- احترام حقوق الآخرين:

وهذا هو فارق جوهري في فلسفة الإسلام تجاه قضايا عديدة، ومنها الحرية فينبغي للمؤمن أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فيحترم حقوق أخيه كما يحب أن يحترم الآخرون حقوقه، يقول كولن: "كل مسلم ينبغي أن يحترم حقوق الآخرين احترامه لحقوق نفسه، وأن يكون حساسا وواعيا في الدفاع عن حقوق غيره، حساسيته في الدفاع عن حقوق نفسه"[٢].

ثانيا- الإسلام والرق:

هناك شبهة أشيعت حول الإسلام قديما وما تزال تتعلق بموضوعنا والشبهة هنا هي ادعاء أن الإسلام يقر الرق والعبودية للبشر، ولذا لم يسن قوانين تمنع هذه الجريمة وذلك الظلم البين في حق البشر.

وقد دفع هذه الشبهة عدد من العلماء المسلمين[٣] ومنهم (فتح الله كولن)

١- ا د/ زكي توبراك: حوار كولن من كتاب السلام والتسامح ص .١٢٠.

ا د/ زكي توبراك: حوار كولن من كتاب السلام والتسامح ص .٢١٢٠-.

٣- منهم الشيخ رشيد رضا فيقول: "إن استرقاق الأقوياء للضعفاء قديم في شعوب البشر ...فلما ظهر الإسلام وأشرق نوره الماحي لكل ظلام كان مما أصلحه من فساد الأمم إبطال ظلم الرقيق وإرهاقه ووضع الأحكام الممهدة لزوال الرق بالتدريج الممكن بغير ضرر ولا ضرار ولا بغي ولا استكبار؛ إذ كان إبطاله دفعة واحدة متعذرا في نظام الاجتماع البشري من الناحيتين: ناحية مصالح السادة المسترقين، وناحية معيشة الأرقاء المستعبدين"، وضرب مثلا على ذلك بالولايات المتحدة الأمريكية لما حررت الرقيق دفعة واحدة دون تدرج أدى إلى مفاسد فكان بعضهم يضرب في الأرض يلتمس وسيلة للرزق، فلا يجد ما يحسنه أو يقدر عليه فيحور إلى سادته يرجو منهم العود إلى خدمتهم كما كان؛ ولذا فطريقة الإسلام أسلم وأحكم: "قد شرع الله لإبطال

فقد تحدث كثيرا عن دفع هذه الشبهة محللا جميع جوانبها، وسأحاول أن أذكر ما جاء فيها باختصار حتى يتبين وجه الإسلام المشرق في هذا الصدد.

١- الرق واقع موجود قبل الإسلام:

إن ما حل بالعبيد من ظلم ووحشية قديما خاصة في تاريخ روما ومصر تشتعل له القلوب ألما فرغم مرور قرون ما زلنا نتذكر كم قاسى العبيد في بناء الأهرام، وكيف اختفى بعضهم تحت الصخور وكأنه قشة، ونتذكر عبيدا يرغمهم الحكام الظلمة على مصارعة الأسود للتسلية[١].

واليوم يراقب هذا الجيل معاملة الأسرى الوحشية في العصر الحديث لهذا مقت هذا الجيل الرق وهو محق، أما هجومه على الإسلام فبعيد عن الإنصاف فنشأة الرق لا تعود إلى الإسلام، ولم تستمد منه ماء حياتها، بل استمدت وجودها من قبل ومن بعد من أمم أخرى؛ لذا سنبدأ أولا بالأسباب التي أوجدته:

الرق من آثار الحروب واستمراره رهن برغبة الأمم، فروما مثلا دولة لهو ونزوات وحياة بهيمية، ومن أجل دوام هذه الحياة كان من الضروري استمرار ورود الثروات، والغنائم، والعبيد، والأسرى، فاحتلت البلاد وأقامت المستعمرات .

ولما فتح المسلمون مصر رأوا هذا الجو نفسه، يباع العبيد في الأغلال، وتعرض النساء شبه عرايا، وفي المساء يبيتون في أماكن قذرة ،فأحزنهم ذلك وراحوا يضمدون هذا الجرح بمبادئ الإسلام[٢] .

٢- تعامل الإسلام مع هذه الظاهرة:

نظر الإسلام إلى الرق أولا على أنه ظاهرة قائمة، ثم ذكر الناس جميعا أن العبيد ليسوا متاعا، أو مسلاة، وأنهم سواء في الإنسانية ﴿ **وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ المُؤْمِنَاتِ**

الرق طريقتين: تحديد تجديد الاسترقاق في المستقبل أو تقييده وتحرير الرقيق القديم بالتدريج الذي لا ضرر ولا ضرار فيه". محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ص ٢٢٤-٢٢٥ مؤسسة اقرأ ٢٠١٤م.

١- كولن: الرد على شبهات العصر ص ١٢٧ .

٢- الرد على شبهات العصر ص ١٢٨.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[١]، وقال -صلى الله عليه وسلم- :" من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه، ومن خصى عبده خصيناه"[٢]، وقال: "لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى"[٣].

فبمثل هذه المبادئ وضع الإسلام الطريق الصحيح وسد باب الانحراف، وكم من أشعث أغبر حظي بفضل هذه المبادئ بالمكانة يقول عمر: "أبوبكر سيدنا وأعتق سيدنا (يعني بلالا)[٤]".

إن الإسلام ينظر للعبد من منظور الأخوة الإسلامية: "إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم"[٥].

وهذا ما جعل (عمر) وخادمه يتناوبان الركوب يوم فتح القدس[٦]، وجعل

١- سورة النساءالآية:٢٥.

٢- والحديث (من قتل عبده قتلناه ومن جدعه جدعناه ومن أخصاه أخصيناه)، أخرجه النسائي، ينظر: سنن النسائي مذيلة بأحكام الألباني عليها باب القود من السيد للمولى كتاب القسامة ج ٨ ص ٢٠ برقم ٤٧٣٦، قال الألباني: ضعيف، تحقيق: عبد الفتاح ابو غدة مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، ط: الثانية ١٩٨٦م.

٣- أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ج ٣٨ ص ٤٧٤ رقم ٢٣٤٨٩. وقال الألباني: وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات. ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها رقم ٢٧٠٠ ص ٤٤٩/٦.

٤- أخرجه البخاري في صحيحه، باب مناقب بلال مولى أبي بكر، كتاب أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم- ج ٥ ص ٢٧ رقم ٣٧٥٤ .

٥- سبق تخريجه.

٦- والرواية: "وزاد من دهشة النصارى أن عمر بن الخطاب عندما اقترب من القدس كان يركب ركوبة غلامه، وكان غلامه يركب جمله الأخر ، فعندما رآه أهل القدس يركب حماراً صغيراً، وقيل كان ماشياً= والخادم يركب جملاً أحمر، أكبروه وسجدوا له، فقال: " لا تسجدوا للبشر واسجدوا لله ". فتعجب القسيسون والرهبان من ذلك وقالوا: " ما رأينا أحداً قط أشبه في وصف الحواريين من هذا الرجل". المؤرخ: شفيق جاسر أحمد محمود: الفتح العمري للقدس نموذج للدعوة بالعمل والقدوةجـ١ ص١٩١، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: السنة السادسة عشرة، العدد الواحد والستون محرم- صفر- ربيع الأول ١٤٠٤هـ

عثمان يقتص لخادمه من نفسه على الملأ ، وغيره الكثير.

إذن المرحلة الأولى: هي الإقرار بإنسانية العبيد، وقد تركت هذه المعاملة أثرا طيبا.

أما المرحلة الثانية: فالعتق والتحرير، فحرية الإنسان هي الأصل: " من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوا من أعضائه من النار"[١].

فتحرير الرقاب من الأمور التي رغب الإسلام وعمل على تحقيقها، وكلنا يعرف ما أنفق أبوبكر في شراء العبيد وتحريرهم، وما فعله الرسول يوم بدر من تحرير الأسرى رغم أن الدولة كانت في ضيق اقتصادي، واستمر الأمر بعده لاسيما في عهد (عمر بن عبد العزيز) فجعل تحرير الرقيق من أهم مصارف الزكاة[٢].

إلى جانب أن تحرير الرقاب شرعت في الكفارات، في القتل، والظهار، واليمين، إلى جانب طرق التحرير الأخرى كالمكاتبة والتدبير.

أما دائرة العتق لنيل الثواب فواسعة جدا فكانوا في عهود مضت يحررون المئات دفعة واحدة.

٣- شبهة قبول الإسلام الرق:

قد يقال أن اشتمال كتب الفقه على أحكام الرق معناه قبول الرق، وكذا كان في مقدوره تحريم الرق كما فعل مع غيره، ومع ذلك لم يفعل.

فكيف يقر الإسلام الرق وهو إهدار لكرامة الإنسان، وتبديل للفطرة، والإسلام دين الفطرة، إضافة إلى أن الاسترقاق كان موجودا قبل الإسلام فجاء الإسلام واقتلع جذوره وضيق منافذه[٣].

أما جواب الأستاذ على هذه الشبهة :

فأشار إلى أن الإسلام ليس بواضع نظام الرق، بل كان نظاما قائما أفرزته الأمم والدول من خلال الحروب، ومادامت الحروب قائمة، فالرق مستمر، وليس

١- أخرجه مسلم بزيادة "حتى فرجه بفرجه" ينظر: صحيح مسلم ج ٢ ص ١١٤٧ رقم ١٥٠٩ .

٢- كولن: الرد على شبهات العصر ص ١٣١.

٣ ينظر: محمد عبد الله دراز: نظرات في الإسلام ص ١١- ١١٨ إصدار لهيئة كبار العلماء بالأزهر لشهر ذي الحجة ١٤٣٦هـ، مطابع الجمهورية للصحافة، وينظر: محمد عمارة: روح الحضارة الإسلامية ص ٧٩.

في مقدور أمة وحدها الحيلولة دون وقوع الرق والأسر .

ثم افترض- كولن- أننا خضنا حربا، وأسرنا، وأسر منا ففي معاملة الأسرى عدة احتمالات:

١- قتلهم جميعا كما تفعل الأنظمة الظالمة.

٢- الإبقاء عليهم في معسكرات الأسر.

٣- إطلاق سراحهم.

٤- أن يلحقوا بالغنائم ويقسموا بين المسلمين .

أما الاحتمال الأول: فأي ضمير يرضى بقتل الجميع دون تمييز بين رجال، ونساء وأطفال، فمظالم روما للقرطاجيين وصمة عار على جبين أهل روما إلى الآن، ووحشية (بختنصر) والفراعنة شاهد على مدى الاضطهاد.

وفي عصرنا ما حدث في البلقان من وحشية، وكذا في روسيا فقد ذبح فيها ٣٠ مليونا، وكذلك ضحايا بمئات الآلاف في ألمانيا النازية .

الاحتمال الثاني: وحشية معسكرات الأسرى لا تقل عن سابقتها، فقد شهد القرن العشرين أشنع الصور وأكثرها وحشية كانت معسكرات البلقان لاسيما معسكر(سراي إيجي)في أدرنة، وكذا في أذربيجان، وروسيا الشيوعية، وقد شهدت أوروبا، وآسيا أفظع أشكال معسكرات الأسرى في الحرب العالمية الثانية.

الاحتمال الثالث: ربما نحبذ رد الأسرى إلى أوطانهم، ولكن إن كان العدو يقتل أسرانا ولا يردهم ألا يكون هذا خيانة لمواطنينا ؟، وثمة احتمال أن يفشي من نطلق سراحهم معلومات تضر بنا، إضافة إلى ذلك أنه يمكن أن نتبادل الأسرى بمعاهدات دولية، وهذا

الحل ربما يقضي على قسم من الرق[١].

الاحتمال الرابع: توزيع الأسرى على المجاهدين وهو حل مؤقت(لأن الأصل في الإسلام الحرية) لمشكلة الأسر، وقد فضله الإسلام، ولم يختر القتل، والإبادة الجماعية، ولا العنف في معسكرات الأسر، وهي فرصة ليعرف الأسير الإسلام عن كثب، إضافة إلى أن حسن معاملة المسلمين لهم تشجعهم على

١- ينظر: الرد على شبهات العصر ص١٣٣- ١٣٥.

الإسلام ،وقد نشأ على هذا النمط آلاف الكاملين الذين عرفوا بالموالي، كالإمام (نافع) شيخ مالك، و(طاووس بن كيسان) ، و(مسروق) ، وغيرهم.

يقول (كولن): "فالرق من الأمور التي عدل الإسلام مسارها وقومها فانتقل بها من الحيوانية والوحشية إلى طريق العدل والخير، وترك ما لا يمكن تحقيقه من طرف واحد إلى تعاون الدول في المستقبل"[١].

والمسلمون الأوائل سلكوا طريقين مع من تحت أيديهم من العبيد:

الأول: إقناع العبيد بإنسانيتهم، وتأليف الحرية إليهم، وتحفيزهم على بناء الأسرة والعمل.

الثاني: تحريرهم وعتقهم، وقد صاروا أهلا للعمل، وتحمل مشكلات الحياة حتى ينخرطوا في المجتمع وهذا مهم للغاية، فالرئيس (لينكولن)[٢] لما أمر بتحرير العبيد دفعة واحدة رغب معظمهم بالعودة إلى أسيادهم؛ لأنهم اعتادوا حياة الرق واحتاروا كيف يواجهون الحياة [٣].

إذن طريقة العتق ينبغي فيها التدرج؛ رعاية لحال الرقيق.

وفي النهاية يقول كولن: "باختصار لم يشرع الإسلام الرق، و ولم يسنه، بل عدله، وأشار إلى طرق استئصاله، ولولا الحروب، ثم حض مرضى القلوب وترويجهم للرق لما كان له وجود في التاريخ الإسلامي...الإسلام وجد الرق في طريقه فشرع من الأحكام ما يقضي عليه، ويقوم حالته البائسة، ويرفع عنها الظلم والغدر، ويوجهها نحو الخير والجمال المطلق"[٤].

حرص الإسلام على حرية الإنسان بكل أبعادها "لم يقف الإسلام عند تحرير الروح وحدها من عبودية الآصار والأغلال التي شدتها إلى الطواغيت رغم أنها الجوهر ونقطة البداية في طريق التحرير، وإنما شرع في تقويض نظم الاسترقاق التي جاء فوجدها سائدة في النظم الاجتماعية، والاقتصادية بكل

١- ينظر: الرد على شبهات العصر ص ١٣٦ .

٢- أبراهام لنكولن (١٨٠٩- ١٨٦٥) الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية (١٨٦١-١٨٦٥) أصدر قوانين إلغاء العبودية. ينظر: د/ مرفت عبد الناصر: موسوعة تاريخ الأفكار، ج ٣ ص ٧٠.

٣- ينظر: الرد على شبهات العصر ص ١٣٧.

٤- الرد على شبهات العصر ص ١٣٧.

الحضارات"[١].

إذن من خلال ما سبق:

١- الحرية حق من الحقوق الأساسية للإنسان في الإسلام، بل ضرورة تتطلبها التكاليف المنوطة به، والخلافة التي أسندت إليه.

٢- الحرية في الإسلام ليست مطلقة، بل لها مبادئ وضوابط، حتى لا تتعارض مع مبادئه أو مع حرية الآخرين.

٣- الاسترقاق وضع وحالة كانت قبل الإسلام لم يبتدعه ولم ينشئه الإسلام، بل شرع من الأسس والقواعد ما قوض بنيانه؛ لأن الحرية أصل في الإسلام .

٤-الحرية ترتبط بالمسؤولية، فقد منع الإسلام عن الناس الأغلال كالعبودية و القهر، وجعلهم أحرار يختارون ما يشاؤون، ومن ثم فهم مسؤولون عن اختياراتهم محاسبون على ما كسبت أيديهم.

١- د/ محمد عمارة : روح الحضارة الإسلامية ص ٧٩ .

المبحث الخامس
الشورى والديمقراطية

يرى فريق من المسلمين توافق الشورى مع الديمقراطية، وأن أوجه الشبه والتلاقي بينهما أكثر من أوجه الاختلاف، فالنظامان يعترفان بالمساواة أمام القانون في الحقوق والواجبات، واختيار الحاكم بالانتخاب، ومبدأ مسؤولية الحاكم أمام الشعب، ومبدأ سيادة الأمة والتعددية الحزبية، ولكنها في الإسلام منضبطة بمبادئ الكتاب والسنة، والاختلاف بينهما في المقاصد والغايات، فالنظام الغربي هدفه سعادة الفرد في الدنيا، ويترك تدبير شئون الدين للكنيسة، أما الإسلام فالخليفة يتولى أمور الدين والدنيا[١] ومن هنا يمكن التعايش بينهما في ظل العولمة.

وهناك من يرى أن الإسلام دين إلهي وهو آخر الأديان؛ ولذا فهو صالح لكل زمان ومكان، وإذا كانت محاسن أي نظام متحققة في الإسلام، فلا يمكن تسميته ديمقراطيا أو ثيوقراطيا أو غير ذلك من مسميات، فهو إسلام فقط، ومع كون محاسن الديمقراطية متحققة فيه فإن النظامين مختلفين في عدة أمور منها:

١- الديمقراطية تسعى لتحقيق أهداف دنيوية مادية لرفع مستوى الشعب، وليس من أغراضها تحقيق أغراض روحية عكس الإسلام.

٢- الشعب في النظام الديمقراطي له السيادة الكاملة، أما في النظام الإسلامي فالسيادة لأحكام الله، والمجال الذي تتحرك فيه الشورى هو ما لا نص فيه[٢].

وفريق يرفض الديمقراطية على أساس إن كانت خيرا ففي الشورى الإسلامية غنى وكفاية عنها.

وكولن من الفريق الأول القائل بالتشابه وإمكان الجمع بينهما؛ لإحداث التوازن المطلوب بين المادة والروح، وسأعرض رأيه بشيء من التفصيل في

١- أ د/ صوفي أبو طالب: بحث الشورى والديمقراطية في ظل العولمة من كتاب الشورى والديمقراطية لجنة الدراسات الفقهية المقارنة ص ٤٦- ٤٨ سلسلة قضايا إسلامية - وزارة الأوقاف العدد ١٤٩ رجب ١٤٢٨هـ - يوليو ٢٠٠٧م.

٢- ينظر: أ د/ محمد رأفت عثمان: الشورى والديمقراطية الغربية من كتاب الشورى والديمقراطية، لجنة الدراسات الفقهية المقارنة ص ٩١-٩٥.

بيان حقيقة الشورى والديمقراطية فيما يلي:

أولا: الشورى:

الشورى في النظام الإسلامي مبدأ للتعامل بين الحاكم والمحكوم، وإن تعددت صورها الآن إلا أنها تبقى من روح الإسلام .

لم يقف الإسلام من الشورى عند حد اعتبارها حقا من حقوق الإنسان، بل جعلها فريضة شرعية واجبة على كافة الأمة حكاما ومحكومين في الدولة، وفي المجتمع وفي الأسرة، وفي كل مناحي السلوك الإنساني[١].

ومن الحقائق أن:

"الإسلام لم يأت بنظام معين من أنظمة الحكم، وإنما وضع مبادئ عامة تصلح لكل زمان ومكان كالشورى، والعدالة، والمساواة وفي عمومها ما أكسبها مرونة تفسح المجال للتطور والتجديد ...ولم يقف التشريع الإسلامي عند النصوص، بل كان للرأي فيه مجال الأئمة والفقهاء على هديه، وأفتوا فيه، وبحثوا عن المصلحة وحكمة التشريع، ووضعوا في الاعتبار البيئة والظروف الاجتماعية" [٢] .

ولذلك كان نظام الحكم عند جمهور علماء السنة من الأمور الاجتهادية التي تتغير تبعا لظروف المجتمع[٣].

وقد تحدث (كولن) عن قيمتها وصورها منذ عهدها الأول، أما عن أهميتها فنستطيع حصر كلامه في عدة نقاط وهي:

١- الشورى تكسب القضايا عمقا أكبر وهي طريق مهمة لإكساب العقل المحدود والتفكير المحدود شمولية غير محدودة، فالشخص الأعقل هو الذي يعطي أهمية لأفكار الآخرين ووجهات نظرهم[٤].

٢- رفع مستوى الفكر والمشاركة في المجتمع وتشجيعه على توليد الأفكار

١- ينظر: د/ محمد عمارة: الإسلام وحقوق الإنسان ضرورات لا حقوق ص ٣٤، دار الشروق، ط الثانية ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢- د/ إبراهيم مدكور : في الفكر الإسلامي ص ١٩٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ٢٠٠٨م.

٣- أ د/ صوفي أبو طالب : الشورى والديمقراطية ص ٤٨.

٤- ينظر: كولن: الموازين ص ١٨٣- ١٨٤.

البديلة.

٣- مشاركة السواد الأعظم في الإدارة بقدر الإمكان في كل مناسبة.

٤- إدامة حياة الإحساس بمحاسبة الرؤساء متى ما اقتضت الحاجة، وإعاقة تصرف الرؤساء الاعتباطي وتحديد تصرفهم[١] .

- **الشورى في القرآن والسنة:**

استعرض (كولن) صورة الشورى من خلال القرآن والسنة كالتالي:

١- في القرآن الكريم:

جاءت الشورى في القرآن مرتين تصريحا، ومرات تلميحا، **أما التصريح** ففي الأمر بها في: ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** ﴾[٢].

والموضع الثاني: توضع الشورى في القرآن صفا واحدا مع الصلاة والإنفاق قال تعالى ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ** ﴾[٣].

ولذا، لا يعد المجتمع الذي يهمل الشورى مجتمعا متكامل الإيمان فالشورى في الإسلام: "أساس حياتي لا بد للرؤساء وللمرؤوسين من إجرائه فالرؤساء مكلفون بالاستشارة في السياسة، والإدارة، والتشريع، وأمور كثيرة تتعلق بالمجتمع، والمرؤوسون مكلفون ببيان

رأيهم وفكرهم فيها للرؤساء"[٤].

فالشورى شرط أساسي لإمكان إقرار الرأي الصائب؛ ولذا الانفراد بالرأي يجر عواقب وخيمة على الأفراد والمجتمعات: "والقاعدة في الإسلام كنظام أن الشورى من أهم القدرات الحركية لقيامه، ودوامه فهي أهم العناصر في حل المسائل المتعلقة بالفرد، والمجتمع، والشعب، والدولة، والعلم، والمعارف، والاقتصاديات، والاجتماعيات فيما لم يرد فيه نص صريح"[٥].

ولذا يرى (كولن) أن هيئة شورى الدولة في الإسلام تتقدم على السلطة

١- ينظر: كولن: ونحن نقيم صرح الروح ص ٥١.

٢- سورة آل عمران الآية: ١٥٩.

٣- سورة الشورى الآية: ٣٨.

٤- ونحن نقيم صرح الروح ص٤٥، ٤٦.

٥- كولن: ونحن نقيم صرح الروح ص ٤٦.

التنفيذية، وترشدها وأن رئيس الدولة ولي الأمر ملزم بأصل الشورى.

٢- في السنة النبوية:

كان النبي - صلى الله عليه وسلم- يستشير صحابته في كل مسألة لا نص فيها، ومن أقواله:

أ- "ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد"[١].

ب- قوله - صلى الله عليه وسلم- "إن المستشار مؤتمن"[٢].

ج- "ما شقي عبد بمشورة وما سعد باستغناء رأي"[٣].

د- "والله ما استشار قوم قط إلا هدوا لأفضل ما بحضرتهم"[٤].

أما المواقف التي تجلت فيها الشورى في السنة النبوية، فكثيرة منها:

أ- حادثة الأفك: استشار النبي - صلى الله عليه وسلم-عليا، وعمر، وزينب بنت جحش، وبريرة، وغيرهم من الصحابة - رضوان الله عليهم-[٥].

ب- في غزوة بدر: استشار المهاجرين والأنصار في أمر الخروج، واستشار (حباب بن المنذر) وأصحابه عن المنزل، واستشار في أمر الأسرى[٦].

١- أخرجه القضاعي في مسنده، ينظر: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمونا القضاعي المصري : مسند الشهاب، باب ما خاب من استخار (ج ٢ ص ٧ برقم ٧٧٤)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي مؤسسة الرسالة- بيروت، ط: الثانية ١٩٨٦م.وحكم الألباني عليه: موضوع، ينظر: الألباني: ضعيف الجامع الصغير وزيادته ص ٧٣١/١، رقم ٥٠٥٦.

٢- أخرجه البخاري، ينظر: الأدب المفرد، باب المستشار مؤتمن ج ١ ص ٩٩ رقم ٢٥٦ .

٣- أخرجه القضاعي في مسنده، باب ما خاب من استخار ج ٢ ص ٦ رقم ٧٧٣، والحديث: ضعيف فيه محمد بن حفص الطالقاني قال فيه ابن حجر في اللسان :ضعيف.

٤- ينظر: ونحن نقيم صرح الروح ص ٤٩والحديث صحيح كما قال الألباني، أخرجه البخاري في : الأدب المفرد، باب المشورة ج ١ ص ١٠٠ رقم ٢٥٨ .

٥- عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري المعافري : السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٠٠- ٣٠١، تحقيق: مصطفى السقا، وابراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الثانية ١٢٧٥هـ- ١٩٥٥م.

٦- ينظر: ابن هشام السيرة النبوية ج ١ ص ٦١٤- ٦٢٠ .

ج- وفي غزوة أحد: استشار أصحابه ونزل الأمر بالشورى بعد الغزوة بقوله ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** ﴾ [١].

د- في غزوة الأحزاب: استشار أصحابه، فأشار عليه (سلمان الفارسي) بحفر الخندق[٢].

ج- في صلح الحديبية استشار أم سلمة- رضي الله عنها-[٣].

- **تطبيق الشورى:**

يؤكد (كولن) على أمرين عند تطبيق الشورى :

الأول: يرى (كولن) - ومرده في ذلك اتفاق العلماء- أن الشورى أصل من أصول الإسلام وحكم يلزم العمل به، وقد نفذ هذا على مدى العهود المتعاقبة، وهي ليست مصدرا تشريعيا تسبق الأوامر الإلهية، بل هي أساس لقوانين ونظم محددة بمصادر التشريع الحقيقية، فالإسلام لا يسمح بالتدخل الإنساني في المسائل التي ورد فيها نص صريح، وما عدا ذلك، فهو مجال الشورى، وما تقرره الشورى من قرارات ونتائج ملزم كإلزام النص، ولا يجوز مخالفته[٤].

وتلك من ضوابط الشورى إذ أن المشاورة تكون في الأمور الاجتهادية التي لا نص فيها حيث إن مصدر التشريع هو الله، وهذا ما تختلف فيه الشورى الإسلامية عن الديمقراطية الغربية[٥].

الأمر الثاني: يؤكد (كولن) على أن المسائل التي تدخل في نطاق الشورى - وإن لم يرد فيها نص- ينبغي أن تظل داخل حدود الإسلام متوافقه مع الكتاب والسنة وغايات الإسلام وأهدافه مثل: تحقيق المساواة بين البشر- محاربة الجهل ونشر العلم- تحقيق العدالة الاجتماعية- نسج المسائل كلها حول الهوية الإسلامية- تنظيم السياسة الداخلية والخارجية- متابعة التطور في العالم، وتجهيز

١- السابق ج ٢ ص ٦٣ .

٢- السابق ج ٢ ص ٢٢٤ .

٣- ينظر: ونحن نقيم صرح الروح ص ٥٥- ٥٦.

٤- كولن: ونحن نقيم صرح الروح ص ٤٩- ٥٠.

٥- ينظر: د/ أسماء منصور: العالم الإسلامي وتيارات الفكر الإلحادي ج ٢ ص ٦٥ مركز الفجر للطباعة.

مصادر القوة وتحديثها[١].

وقد ذكر (كولن) عدة أسس للشورى وهي:

١- الشورى حق للرؤساء والمرؤوسين، ولا رجحان لطرف على الآخر في استخدام هذا الحق.

٢- لما كان الرئيس مكلفا بالشورى بموجب قوله: ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾، فإنه يقع تحت طائلة المسؤولية إن لم يعرض هذه الشؤون للتشاور، ومن جهة أخرى يتحمل المرؤوسون مسؤولية كتم آرائهم متى طلب منهم إبداؤها، ويكونون مقصرين في حقوق المواطنة.

٣- طلب رضا الله تعالى، وتحري مصلحة المسلمين في الشورى.

٤- إن لم يحصل إجماع في الشورى فيعمل برأي الأكثرين وقناعتهم، فإن صاحب الشريعة -عليه الصلاة والسلام- جعل الأكثرية في حكم الإجماع، فقال: "يد الله مع الجماعة"[٢]، وقال: "إن أمتي لا تجتمع على ضلالة"[٣].

٥- لا يجوز مخالفة رأي، أو اقتراح رأي بديل له بعد اقراره بالإجماع أو الأكثرية.

٦- تنشغل الشورى بحل المشكلات القائمة لا بمقررات لحوادث قد تحصل.

٧-تجتمع الهيئة المشكلة للشورى كلما دعت الحاجة، وليس هناك نص عن إجراء الشورى في دورات زمنية معينة، ولا إشارة إلى إجرائها بأجر أو راتب[٤].

١- ينظر: ونحن نقيم صرح الروح ص ٥٠.

٢- أخرجه الترمذي في سننه وقال: حسن غريب، وقال: الألباني: صحيح، ينظر: أبو عيسى الترمذي: سنن الترمذي، باب ما جاء في لزوم الجماعة (ج ٢ ص ٤٦٦ رقم ٢١٦٦).

٣- والحديث: "إن أمتي لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم "، والحديث أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: ضعيف جدا دون الجملة الأولى، ينظر: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني : سنن ابن ماجه باب السواد الأعظم (ج ٢ ص ١٣٠٣رقم ٣٩٥٠) .

٤- ينظر: كولن: ونحن نقيم صرح الروح ص ٥١-٥٣.

٨- أهل الحل والعقد أو المستشارون:

يرى (كولن) أن اجتماع الناس على صعيد واحد للتشاور محال فالضرورة الملزمة هو الاكتفاء بزمرة معينة منهم تمتاز بمؤهلات خاصة بناء على حاجة الشورى مثل: العلم، والممارسة، والاختصاص، والخبرة، وهم من نسميهم "أهل الحل والعقد"، وهم الكبار المقدمون المقتدرون على حل المشكلات.

وأكد (كولن) على وجوب توافر أهل الاختصاص والخبرة في المواضيع العلمية والفنية، والهندسية المتعددة التي هي من مصالح المسلمين، زيادة على توافر العلوم الإسلامية وذلك ضروري في هذه الأيام التي أصبحت الحياة متشابكة، وكل مشكلة تحولت إلى مشكلة عالمية، وينبغي أن تتوافق رؤاهم مع الدين، وكما أن الشورى منوطة بأهل الحل والعقد كذلك شكل إجرائها منوط بهم أيضا.

ويؤكد (كولن) أنه مهما تغيرت أشكال الشورى يبقى الأساس هو وجود أهل الحل والعقد المتصفين بالعدالة والعلم والحكمة.

- **أشكال الشورى:**

يؤكد (كولن) أن الشورى أساس، ولكن شكل إجرائها يتغير بتغير الزمان، والمكان والأحوال، يقول كولن: "إن أصل الشورى الذي تشرف بالتنزيل في هاتين الآيتين ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** ﴾ ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ** ﴾ - أصل متوسع ملب لاحتياجات العصور متخط لحدود الزمان"[١].

وقد عدد صورا من التاريخ لتطبيق هذا النظام الحيوي فيقول: "فنجد حينما نقرأ أوراق التاريخ تنوعا في تنفيذ الشورى على مر العصور، وتغير الأحوال، فهي تجري في دائرة ضيقة تارة، وفي دائرة أوسع تارة، ولا تتجاوز دائرة المدنيين مرة، وتفتح أبوابها لأرباب

السيف، وأرباب القلم مرة أخرى في أوضاع متنوعة بتقلب عصور التاريخ "[٢].

وقد علل هذا التغير بقوله: "وليس ذلك بسبب تعرض هذا الأصل إلى

١- السابق ص٥١..

٢- ونحن نقيم صرح الروح ص٥٤.

التغيير، بل بسبب المرونة والعالمية التي تجعل الشورى قابلة للتطبيق في كل عصر ومكان"[١].

ثانيا: الديمقراطية:

الديمقراطية كلمة قديمة كانت معروفة عند الإغريق ومعناها: "حكم الشعب"، وصار لها في العصر الحديث تعاريف متعددة أكثرها شيوعا أنها: "حكم الشعب بالشعب وللشعب"[٢].

وهي نظام سياسي اجتماعي يقيم العلاقة بين أفراد المجتمع والدولة وفق مبدأي المساواة بين المواطنين ومشاركتهم الحرة في صنع التشريعات التي تنظم الحياة العامة، أما أساس هذه النظرة فيعود إلى المبدأ بأن الشعب هو صاحب السيادة ومصدر الشرعية، وبالتالي فإن الحكومة مسؤولة أمام ممثلي المواطنين، وتتضمن مبادئ الديمقراطية ممارسة المواطنين لحقهم في مراقبة تنفيذ هذه القوانين بما يصون حقوقهم العامة وحرياتهم المدنية[٣].

وقد انقسمت الآراء حيالها بين التأييد والمعارضة، فمن فريق المؤيدين (جون ديوى) ، فيقول في شأنها: "الديمقراطية أعظم اتساعا من كونها مجرد شكل سياسي خاص، وطريقة في الإدارة الحكومية والتشريع، وتصريف الشئون الإدارية للدولة بالاعتماد على المشاركة الشعبية وبعض المختارين من الموظفين على أنها بطبيعة الحال كذلك، ولكنها أيضا شيء أكثر من ذلك من حيث العمق والاتساع؛ إذ تعد الناحية السياسية والحكومية من الديمقراطية وسيلة، ولعلها أفضل وسيلة اهتدي إليها حتى الآن لتحقيق الغايات الكامنة في الساحة الفسيحة للعلاقات البشرية والارتقاء بالشخصية الإنسانية ...إنها أسلوب اجتماعي وفردي في الحياة"[٤] تقود إلى الرفاهية للمجتمع والنهوض بكل فرد فيه، وأساسها

١- السابق ص ٥٤.

٢- ينظر: أ د/ محمد رأفت عثمان: الشورى والديمقراطية لجنة الدراسات الفقهية المقارنة ص ٨٧، وينظر: د/ عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة ص ٧٥١.

٣- ينظر: د/ عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة ص ٧٥١ .

٤- مقال دفاعا عن الديمقراطية من كتاب الفلسفة وقضايا العصر مقالات وأبحاث جمعها جون.ر.بورر- ميلتون جولدينجر، ترجمة: د/ أحمد حمدي محمود، ج ٢ ص ٢٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.

الإيمان بقدرات البشر، وذكائهم، ومن مكوناتها الإيمان بالمساواة بينهم كما يقول (ديوى) [١].

ومن الفريق الثاني من يرى الديمقراطية داء، وأن الذي يقود الجماهير أقلية تسعى لتحقيق مصالحها حتى في نوعي الديمقراطية التمثيلية[٢]، والمباشرة[٣] وأن هؤلاء عبارة عن وكلاء عن الشعب ينفذون مصالحهم الخاصة لا مصالح الشعب، وكذا يعتقد أصحاب هدا المنحى أن وهم الحرية المرتبطة بالديمقراطية سراب، فالشعب لا يشعر بسعادة ولا ارتياح عندما يكون حرا، بل يحن إلى حياة القطيع؛ لأنها تشعره بالدفء والسلام كما يقول أحد الناقدين[٤].

ونفس هذا الانقسام نجده في العالم الإسلامي تجاه الديمقراطية، فنجد المحافظين يرونها غير متماشية مع الإسلام، وهناك المجددون أو المجتهدون يرون فيها تدعيم للحريات، وحقوق الإنسان، ومتماشية مع روح الشورى الإسلامية.

ومن باب تأييده دائما لحقوق الإنسان، يؤيد (كولن) الديمقراطية، ويتبنى الدفاع عنها .

بداية يميز (كولن) بين الإسلام والديمقراطية فيرى أن الإسلام دين سماوي، بينما الديمقراطية هي شكل من أشكال الحكومة أسسها البشر.

ولكونها نظاما بشريا فهي غير واضحة تماما مثل الإسلام، فهي تحتاج لوصف يبينها لتنوعها حسب كل مجتمع وطائفة من البشر، يقول كولن: "فهي ليست نظاما واضحا من كل الزوايا مثل الإسلام، بل بإمكاننا أن نقول إنها مبهمة إلى حد كبير؛ إذ من النادر تقديمها دون وصفها بشيء ففي بعض الحالات توصف بمصطلح آخر مثل الاجتماعية، أو الليبيرالية، أو المسيحية، أو

١- السابق ص ٢٤.

٢- الديمقراطية التمثيلية: "ينتدب الشعب النواب لممارسة السلطة باسمه بدون تحفظ عدا احترام الدستور ودورية الانتخابات". د/ عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة ج ٢ ص ٧٥٢ .

٣- الديمقراطية المباشرة: "يمارس الشعب فيها مهام سن التشريعات والقيام بمهام السلطة التنفيذية من تعيين للموظفين المكلفين بتطبيق القرارات التشريعية، ومن إصدار للأحكام". الموسوعة السياسية ج ٢ ص ٧٥٢ .

٤- ينظر: (ه. ل. منكن): مقال داء الديمقراطية ضمن كتاب الفلسفة وقضايا العصر ج ٢ ص ٢٩.

الراديكالية، وقد لا يعتبر شكل من أشكال الديمقراطية الأشكال الأخرى ديمقراطية"[١].

وذلك يسبب اختلاف الآراء حول الديمقراطية، ومدى توافقها مع الإسلام، فهناك من يرى أن الإسلام دين ونظام سياسي في الوقت نفسه فهو ينظم جميع مناحي الحياة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية.

و(كولن) ممن يرفض هذا الاتجاه؛ لأنه يؤدي بالنظر إلى الإسلام كأنه أيديولوجية سياسية من بين عدة أيديولوجيات أخرى فيقول: "إن التعامل مع الدين على أنه أيديولوجية سياسية لهو أكبر خيانة تمارس بحق الدين؛ لأنه في هذه الحالة يختزل الإسلام في مجموعة من المبادئ البسيطة ويضيق مساحته الرحبة"[٢] .

وهذا الرأي من (كولن) أرى أنه ليس مبررا نهائيا، فليس من المعقول لكي ننفي عن الإسلام أن يتخذ أيديولوجية سياسية فيوضع مع غيره من التنظيمات البشرية أن نغفل - أولا نعترف- بكونه نظاما شاملا لجميع مناحي الحياة بما فيها السياسة، فقد نظم القرآن جميع مناحي الحياة، وقد جمع النبي بين السلطتين الدينية والسياسية، وكذا خلفاؤه من بعده.

ومن أجل تأكيده كثيرا على أنه لا ينظر للإسلام كأيديولوجية سياسية، و لا يمارس السياسية ولا يشكل حزبا أو غيره رغم مشروعية ذلك. فإنه يهاجم من يسمون جماعات الإسلام السياسي، ويبدو لي أنه يؤكد على هدا المنحى كثيرا حتى ينجو بمشروعه الإصلاحي من بطش السلطات، إضافة إلى عدم الاتهام بالطمع في السلطة.

ولكنه مؤخرا لم يلتزم بهذا المبدأ، وكانت له توجهاته السياسية التي خالف فيه النظام فكان في مرمى السهام.

ومن ناحية أخرى يرى (كولن) أن من الأفضل بدلا من مهاجمة الديمقراطية تنميتها بموازنة الإسلام بين المادة والروح، وبين الدنيا والعقبى،

١- حوار مع فتح الله كولن نشر في كتاب السلام والتسامح ص ١٢٥.

٢- ينظر: حوار كولن مع جريدة الشرق الأوسط مارس ٢٠١٤م المنشور في كتاب كلمات شاهدة ص ٤٣.

وإثراؤها بجعلها تقضي حاجات البشر الدنيوية والآخروية.

ولذا أخذ (كولن) على عاتقه الرد على الرافضين للديمقراطية بحجة أن الإسلام مبني على حكم الله، وأما الديمقراطية فمبنية على أحكام البشر، فيقول: "إن سيادة الأمة لا تعني إنكار أن الحكم لله، بل تعني أن السيادة التي ائتمن الله البشر عليها تنزع من الظلمة، والجبابرة، والمستبدين وتعطى للجمهور، وهذا ما شهدته الإنسانية في عهد الخلفاء الراشدين...فكما أن البشر أحرار مخيرون في حياتهم الشخصية فهم كذلك أحرار مخيرون في اختياراتهم الاجتماعية والسياسية من وجه"[١].

ويدلل على ذلك بأدلة منها:

أولا: أن طريقة اختيار الخلفاء لم تكن واحدة، فطريقة اختيار أبي بكر اختلفت عن عمر، وعثمان، عن علي (رضي الله عنهم).

ثانيا: أن الديمقراطية ليست نظاما ثابتا، بل هي منظومة بشرية معرضة للنقص والنقد والتقويم فيقول: "إن الديمقراطية ليست شكلا ثابتا للحكم ونظاما لا ينتقد وبالنظر إلى مراحل تطورها يمكن للمرء أن يلاحظ أخطاء لحقتها التغييرات والتصويبات، وهناك عدة أشكال وصور للديمقراطية"[٢].

ولعل هذا الاختلاف كما سبق جعل نظرة العالم الإسلامي لها بشيء من الريبة والتردد، وربما ينبع الخوف من الديمقراطية إلى نظرة بعض الحكام واجتنباهم لها لأسباب ما كما يقول كولن.

وذلك إشارة منه - فيما يبدو لي- إلى خوف بعض الحكام على عروشهم إذا ما طبقت الديمقراطية، واختار كل شعب من يمثله، وحاسب من يسرقه ويستعبده.

بل ويذهب (كولن) إلى أبعد من هذا فينظر إلى الديمقراطية على أنها الأنسب لنظام الحكم في الإسلام ، يقول كولن: "فمن الخطأ أن ننظر إلى الإسلام، وكأنه متعارض مع الديمقراطية والعكس صحيح، ويمكن القول إن الديمقراطية هي النظام الأنسب لمبادئ الحكم في الإسلام؛ لكونها تتيح الفرصة للناخبين أن

١- ينظر: حوار مع فتح الله كولن منشور في كتاب السلام والتسامح ص ١٢٦، ١٢٧.

٢- حوار مع فتح الله كولن منشور في كتاب السلام والتسامح ص ١٢٧.

يحاسبوا الحكام المنتخبين ويسائلوهم، ولكونها نقيضا للاستبداد الذي يعتبره الإسلام شرا وفسادا في الحكم، فليس للإسلام مشكلة مع الانتخابات الديمقراطية، والمساءلة، وسيادة القانون وغيرها من المبادئ الديمقراطية الأخرى"[١].

ويزيد (كولن) الأمر وضوحا بذكر خصائص المجتمع الديمقراطي ومدى ملائمته للإسلام فيقول: "إن البلد الذي يتم فيه حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، ولا تقيد فيه حقوق الأفراد وحرياتهم إلا في الحالات الاستثنائية القصوى كالحروب مثلا، وتعامل فيه الأقليات بالتساوي مع باقي المواطنين، ولا يتعرضون لأي تمييز، ويباح للجميع التعبير عن وجهات نظرهم الشخصية، والاجتماعية، والسياسية بكل حرية والعمل بها هو بلد مناسب للإسلام"[٢].

وينتهي (كولن) إلى القول بإمكان التعايش السلمي بين الإسلام والديمقراطية، ويضرب مثلا بالبلدان التي تتوافق مع معايير الاتحاد الأوروبي فيحق للمسلمين فيها ممارسة دينهم، وتطبيقه، وتمثيله، بل ونشره، وتعليمه أيضا، إضافة إلى أن الديمقراطية حاليا تتطور لتصبح عرفا وقيمة مشتركة للجنس البشري بأكمله كما يرى كولن[٣] .

ويرى (كولن) أنه إذا اكتمل تطور الديمقراطية، واستعانت بمبادئ الإسلام في سيرها كالمساواة، والحرية، والعدالة، وراعت جميع جوانب البشر المادية والروحية - وهو القصور الذي يراه كولن في الأنظمة الغربية بنظرتها المادية وإهمال الروح، والذي عالجه الإسلام بنظرته الشمولية- فستكون هي النظام الأمثل، فيقول: "لقد تطورت الديمقراطية مع الوقت، وكما مرت بالعديد من المراحل المختلفة في الماضي فإنها ستستمر في التطور والتحسن في المستقبل، وخلال مسيرتها هذه ستتشكل الديمقراطية لتصبح نظاما أكثر إنسانية وعدلا لتكون نظاما قائما على الصلاح والحق، فإذا نظرنا إلى البشر ككل من دون تجاهل البعد الروحي لوجودهم وحاجاتهم الروحية، ومن دون إغفال أن الحياة الإنسانية لا تقتصر على هذه الحياة الفانية، وأن كل الناس يتوقون بشدة إلى

١- حوار مع فتح كولن مجلة حراء ص ١١٧العدد ٤٢السنة التاسعة لعام ٢٠١٤م.ونفس الحوار منشور في كتاب كلمات شاهدة حول الدين والمجتمع والدولة بأفق إنساني ص ٣٦.

٢- السابق.

٣- دار النيل: كلمات شاهدة حول الدين والمجتمع والدولة بأفق إنساني ص ٣٦ .

الخلود - فإن الديمقراطية يمكنها أن تصل إلى ذروة الكمال، وأن تجلب المزيد من السعادة للإنسانية، وتستطيع المبادئ الإسلامية مثل المساواة، والتسامح، والعدالة أن تساعد الديمقراطية في تحقيق ذلك"[١].

ومن أنظمة الحكم الديمقراطي التي أيدها (كولن) ورآها متوافقة مع مبدأ الشورى (النظام الجمهوري).

فيرى (كولن) أن الجمهورية أو النظام الجمهوري شكل حديث من أشكال الشورى ورآها متوافقة مع الإسلام ومبدأ الشورى الإسلامية.

والجمهورية: نظام من أنظمة الحكم الديمقراطي يقوم على مبدأ حكم الشعب للشعب ويتميز بأن رئيس الدولة ينتخب في فترات دورية، ويطبق النظام الجمهوري، وهو أقرب النظم إلى المبادئ الديمقراطية من حيث إن الإرادة الشعبية تكون المرجع النهائي في اختيار رئيس الدولة بصورة مباشرة(انتخاب مباشر من الشعب)، أو غير مباشرة(عن طريق هيئة تمثيلية: برلمان أو مجلس أمة أو جمعية وطنية)، وتكون رئاسة الجمهورية إما فردية، أو ثنائية، أو جماعية، وأما سلطات رئيس الجمهورية فهناك نوعان من النظام الجمهوري:

الأول: النظام الجمهوري البرلماني:

ويتمثل في أن رئيس الدولة يتولى أعمال السلطة التنفيذية بواسطة وزارة مسؤولة أمام الهيئة التشريعية.

الثاني: النظام الجمهوري الرئاسي:

ويتمثل في أن رئيس الجمهورية يتولى أعمال السلطة التنفيذية بنفسه[٢].

وقد تحدث (كولن) عن الجمهوريات كشكل من أشكال الحكم التي تعتمد مبدأ الشورى يقول كولن: "الجمهورية تعني شكل الإدارة التي يملك فيها الشعب حق الانتخاب والشورى"[٣].

ويرى أن القرآن أول كتاب علم هذا المبدأ؛ ولذا فإن الادعاء بأن الجمهورية تخالف القرآن ادعاء باطل كما يرى.

١- كولن: نحو حضارة عالمية من المحبة والتسامح ص ٢٢٤ نقلا عن محاورات حضارية ص ٤٢.

٢- ينظر: دكتور/ عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة ص ٩٠ .

٣- كولن: الموازين ص ١٢٤.

ولهذا لم يدع النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه من بعده أنهم ملوك و سلاطين، ولم يظهر النظام الملكي إلا بعد الابتعاد عن روح الإسلام .

وقد عدد (كولن) محاسن الجمهورية فقد رآها أم للحرية أو مربيتها، ورأى أن النظام الجمهوري يستند إلى المفهوم الحقيقي للحرية والعدالة، إضافة إلى كونه شكل إدارة أمينة وجيدة، وأيضا من واجباته المحافظة على الشعور الديني ورعايته[١].

إذن من خلال ما سبق من حديث حول الشورى و الديمقراطية:

- ❖ يرى كولن أن الشورى قيمة إسلامية عليا تحقق العدالة والمساواة، وهي تعمل في المجالات التي لا نص فيها ، وهي حق من حقوق الرعية لا ينبغي التنازل عنه.
- ❖ الشورى مبدأ عام أقره الإسلام وترك كيفية تطبيقه وشكل تحقيقه طبقا لحاجة الناس في كل زمان ومكان؛ ولذا يمكن الأخذ بأي نظام يقررها كالديمقراطية .
- ❖ يرى (كولن) أن هناك بعض نقاط الضعف في الديمقراطية، كمراعاتها الجوانب المادية على حساب الروح والشعور، تلك التي عالجها الإسلام بنظرته الشمولية للإنسان.
- ❖ لا يرى (كولن) أي تعارض بين الإسلام والديمقراطية، فبإمكانهما أن يتعايشا في المشترك الإنساني من العدالة، والمساواة، والحريات.
- ❖ أنه مع تطور الديمقراطية بمرور الوقت وأخذها بمبادئ الإسلام بإمكانها أن تصبح نظاما أمثل في الحياة .
- ❖ يعارض كولن بشدة ارتباط أو ربط الإسلام بالسياسة حتى لا يصير أيديولوجية خاصة، وهو رأيه وقناعته، ولكنه ليس الرأي الوحيد في القضية.
- ❖ يشجع (كولن) النظام الجمهوري لقيامة على الديمقراطية، والحرية، والعدالة؛ ولذا لا يراه أيضا متعارضا مع روح الإسلام ومبادئه.

١- ينظر: كولن: الموازين ص ١٢٤- ١٢٥.

المبحث السادس
حقوق المرأة

المرأة في الإسلام قسيم الرجل في الإنسانية، وشريكه في صنع الأمة بنشاطها في بيتها ومجتمعها ؛ ولذا شرع لها الإسلام من الحقوق ما يكفل حريتها الشخصية والمالية، والاجتماعية، ومن الواجبات ما يحافظ عليها ويبقيها ضمن إطار فطرتها وطبيعتها التي جبلها الله عليها .

فما قرره الإسلام للمرأة من حقوق لم تسمُ إليه بعدُ القوانين المعاصرة، فخاطبها كالرجل، وسوى بينهما تسوية تكاد تكون تامة، لها ما له من حقوق، وعليها ما عليه من واجبات، تصلي، وتصوم، وتزكي، وتحج، وترث، وتورث، تثاب كما يثاب، وتعاقب كما يعاقب، لا تزوج إلا برضاها، لها حقوقها المالية مكتملة، وتتعلم، وتعلم وتفتي، وتساهم في الشؤون العامة [١].

وفي إطار حديث (كولن) عن قيمة الحق أبرز حق المرأة في الحرية، والتعليم، والزواج، وغيره، وفي نفس الوقت بين خطورة دعاوى تحرير المرأة. ويمكن إجمال حديثه على النحو التالي:

أولا: المرأة بين الإسلام وأدعياء حرية المرأة:

استفاض (كولن) في حديثه عن دور المرأة وقيمتها في مقابل أدعياء حرية المرأة، أو أنصار المرأة الذين لا يريدون لها إلا الشقاء، والخروج عن طبيعتها وفطرتها؛ لإرضاء هوى أنفسهم ورغباتهم .

فالمرأة في الإسلام: "هي المعلمة الأولى لمدرسة الإنسانية، فهي التي تقوم بتعليم الأطفال وتربيتهم، وبتأمين النظام والسعادة والتفاهم في البيت"[٢].

وإن الشيء الذي يرفع المرأة إلى مستوى أعلى من الملائكة، ويجعلها أثمن من الماس هو:" عمق عالمها الداخلي وعفتها ووقارها، فالمرأة غير العفيفة تشبه عملة زائفة، والخالية من الوقار لعبة وموضوع استهزاء، وفي الجو الخانق لأمثالهن لا يمكن الحديث عن عش صحي، ولا عن جيل صحي"[٣].

١- ينظر: د/ إبراهيم مدكور: في الفكر الإسلامي ص ١٨٨ الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ٢٠٠٨م.
٢- كولن: الموازين ص .١٣٧.
٣- السابق ص ١٣٨

فالمرأة في الإسلام من المجاهدين لإسهامها في تحقيق نصر الأمة يقول كولن: "المرأة عندنا أساس متين في شرف الأمة ونجابتها، وحصتها في إنشاء تاريخ أمتنا المجيدة لا تقل بحال عن حصة المجاهدين الذين قاتلوا الأعداء وفتحوا البلدان"[١].

وعلى الجانب الآخر نرى أنصار المرأة أو حواري المرأة - كما يسميهم كولن- يدفعون المرأة إلى كل شر، لا ينظرون إلى المرأة إلا كجسد أو متاع للشهوة والتسلية، ومادة للإعلان والدعاية .

يقول كولن: "معظم حواري حرية المرأة وحقوقها لا يفعلون شيئا سوى دفع المرأة إلى طريق الرغبات الجسدية، وطعن حياتها المعنوية والروحية"[٢].

ويقول: "جميع المقترحات التي يقدمها أنصار المرأة الآن لا تؤدي إلا إلى تهوين شأنها، ونزع برقع حيائها، وتشويه طبيعتها، مع العلم أن المرأة حلقة مهمة جدا في سلسلة الوجود، وأهم جانب عندها هو ضرورة احترامها لطبيعتها وفطرتها، والبقاء ضمن إطارها"[٣].

إذن الإسلام كرم المرأة وحافظ على عفتها وكرامتها وجعلها شريكا في الإنسانية تقتسم الأجر مع المجاهدين، أما أدعياء تحرير المرأة فلا يريدون إلا الحصول على الشهوة والرغبات الدنيوية عبر إطلاق العنان للمرأة، ولا يهتمون لعفتها ولا يحرصون على صيانتها.

ثانيا: المرأة بين الإسلام والديانات والأمم الأخرى:

استخدم (كولن) طريق المقارنة والمنهج التاريخي لبيان الحقوق التي كفلها الإسلام للمرأة في مقابل ما تعرضت له في الديانات والأمم المختلفة قديما وحديثا، فتعرض (كولن) لأمرين:

الأول: المرأة في الأمم السابق:

١- نظرة الديانات الهندية واحتقارها للمرأة، بل رفض بوذا نفسه أن يقبل النساء في دينه .

١- السابق ص١٤٠.

٢- الموازين ص ١٣٨.

٣- كولن: الموازين ص ١٤١.

٢- العرف العبراني الذي كان يبيح للأب أن يبيع ابنته ويحرمها من الميراث .

٣- وفي اليونان تنقل للغير كالأثاث .

٤- وفي الصين لم تعتبر إنسانا، ولم تمنح اسما تنادى به .

٥- وفي اليهودية والمسيحية اعتبروا المرأة مرتكب أول ذنب، فحواء عندهم أغوت (آدم)- عليه السلام- وتسببت في خروجه من الجنة .

٦- وفي دول غربية متحضرة لم يؤذن للمرأة أن تمس الإنجيل في القرن السادس الهجري.

٧- وفي الجزيرة العربية تعامل كالمتاع، وبعض القبائل كانت تأد البنات، وإن عاشت تتعرض لأنواع من التحقير كالزنا[١].

إذن كان هذا هو حال المرأة في الديانات والأمم قبل الإسلام، فيه ما فيه من صور التهوين والإذلال والتحقير، فلم ينصفها إلا الإسلام وما سنه لها من حقوق .

الثاني: حقوق المرأة في الإسلام:

أما الإسلام فقد قضى على هذه السلبيات التي كانت في الأمم السابقة جميعا، وأقام حقوقا متينة للمرأة، ويمكن تلخيص ما أورده (كولن) في هذا الجانب في عدة نقاط:

١- خاطب الإسلام الرجال والنساء على حد سواء، ورفع المرأة إلى منزلة مباركة جديدة، ليست مجرد أشياء يملكها الرجال، بل جعل الجنة تحت أقدامهن، فلم يكن أحد يستطيع اكراه هذا المخلوق الرقيق على الزنا، أو البغاء، أو الفحش، أو معاملتها أنها من متاعه، أو اتهامها في عرضها ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾[٢].

لم يعد يعاملن باحتقار كالسابق وأصبح قتلهن حراما: ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا**

١- من حوار مع فتح الله كولن كتاب السلام والتسامح ص ١٤٥.

٢- سورة النور الآية: ٤، من حوار فتح الله كولن كتاب السلام والتسامح ص ١٤٦.

حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[١].

٢- في قصة بدء الخلق ذكر القرآن أن الله خلق سيدنا (آدم) أولا ،ثم خلقت (حواء) زوجته من نفس واحدة: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا**﴾ [٢]، فكلاهما بشر يكمل بعضهما بعضا ويرجع الفرق بينهما لأهداف معينة، وليس لأسباب وجودية، فالآيات التي تشير إلى أفضلية الرجال إنما هي فروق في القابليات، أما العلاقة مع الله فلا فرق على الإطلاق ﴿**وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً**﴾[٣]. ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾ [٤].

ثالثا: المساواة في الحقوق :

فلها من الحقوق نفس ما للرجل سواء بسواء يقول كولن: "فالمرأة تتساوى مع الرجل في حقها في حرية الدين، وحرية التعبير، وحقها في حياة كريمة، وحريتها المالية، ومن حقوق المرأة أيضا: المساواة مع الرجل أمام القانون، والمعاملة العادلة، والزواج، وبناء الأسرة، والحياة الخاصة، والخصوصية، والحماية. والإسلام يضمن للمرأة ممتلكاتها، وحياتها، وكرامتها تماما مثل الرجل، ومن ينتهك أيا من هذه الحقوق فله عقوبة قاسية"[٥].

وقد أكد (كولن) على حرية المرأة وحقها في التعليم وتولي المناصب العامة فقال: "للمرأة الحق والحرية في المجتمع الإسلامي لتولي أي دور يناسبها

١- سورة الأنعام الآية: ١٥١، من حوار كولن السلام والتسامح ص ١٤٦.
٢- سورة الأعراف الآية: ١٨٩.
٣- سورة النساء الآية: ٣٢.
٤- سورة النساء الآية: ٣٤.
٥- من حوار كولن كتاب السلام والتسامح ص ١٤٨.

حتى كقاضية أو رئيسة جمهورية[١]. إن حرمان المرأة من حقها في التعليم، وعزلها عن الحياة الاجتماعية يشكل ضربة قوية لسلامة المجتمع الوظيفية وكمحاولة لإثبات وجهة نظري رأينا هنا أن صحابيات في صدر الإسلام يتولين تعليم رجال من الصحابة المسائل الشرعية، والتجارية، وكن مراجع في الفقه الإسلامي"[٢].

ويرى أن ما يحدث في مجتمعاتنا يناقض هذه النظرة إنما هو من بعض التأويلات الرجولية لبعض المصادر الإسلامية، فتلك الثقافات الرجولية ساهمت في تآكل مكانة المرأة العادلة التي منحها الإسلام، ويرى أن نفعل المنهج التقدمي في الرؤية الفقهية لوضع المرأة من دون أن يتعارض مع جوهر الإسلام ومبادئه.

وينتهي إلى القول: "الوسيلة الوحيدة لتجنب هذه التفاسير المتطرفة هي أن نأخذ عصر النبي والأجيال الثلاثة التي تبعته كأساس في عملية إعادة التفسير

١- في القضاء والولاية العظمى: الذكورة شرط عند غير الحنفية، فلا تولى المرأة القضاء؛ لقوله صلّى الله عليه وسلم: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» (والحديث رواه البخاري في صحيحه باب كتاب النبي إلى كسرى وقيصر كتاب المغازي ج ٦ ص ٨ برقم ٤٤٢٥) ؛ولأن القضاء يحتاج إلى كمال الرأي وتمام العقل والفطنة والخبرة بشؤون الحياة، والمرأة ناقصة العقل، قليلة الرأي، بسبب ضعف خبرتها واطلاعها على واقع الحياة، ولأنه لا بد للقاضي من= =مجالسة الرجال من الفقهاء، والشهود، والخصوم، والمرأة ممنوعة من مجالسة الرجال بعداً عن الفتنة، وقد نبه الله تعالى على نسيان المرأة، فقال: {أن تضل إحداهما فتذكِّر إحداهما الأخرى} [البقرة:٢٨٢]، ولا تصلح للإمامة العظمى ولا لتولية البلدان، ولهذا لم يولِّ النبي - صلّى الله عليه وسلم-، ولا أحد من خلفائه، ولا من بعدهم امرأة قضاء ولا ولاية بلد.

وقال الحنفية: يجوز أن تكون المرأة قاضياً في الأموال أي في القضاء المدني؛ لأنه تجوز شهادتها في المعاملات، ويأثم المولي لها للحديث السابق: «لن يفلح .. » ،أما في الحدود والقصاص أي في القضاء الجنائي، فلا تعين قاضياً؛ لأنه لا شهادة لها فيه، ومن المعلوم أن أهلية القضاء تلازم أهلية الشهادة.

وقال ابن جرير الطبري: يجوز أن تكون المرأة حاكماً على الإطلاق في كل شيء، لأنه يجوز أن تكون مفتية فيجوز أن تكون قاضية. أ. د. وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ :الفقه الإسلامي وأدلته ج ٨ ص ٥٩٣٧الناشر: دار الفكر - سورية– دمشق الطبعة: الرابعة.

٢- حوار مع جريدة الشرق الأوسط مارس ٢٠١٤م منشور في كتاب كلمات شاهدة حوارات مع الأستاذ فتح الله كولن حول الدين والمجتمع والدولة بأفق إنساني ص ٤٧ دار النيل- ٢٠١٥م.

والاجتهاد اليوم من أجل التخلص من الثقافة الرجولية، وتأمين تعليم أفضل للنساء، وتحسين واقع المرأة الاجتماعي، والاقتصادي، وتمكينها من أن تكون قادرة على الدفاع عن حقوقها"[١].

وبما أنه توجد بعض الصفات التي تميز كلا من الجنسين على حدة، شرع الإسلام بعض القوانين التي تناسب النساء، فهن يعفون من بعض المهام مثل: الخدمة العسكرية، والخروج للحرب، وأداء الواجبات المالية للأسرة ولنفسها.

رابعا: الزواج :

الزواج في الإسلام هو النواة الأولي لتكوين الفرد المسلم، والبيت المسلم، وهو السكن الذي يشيع المودة والرحمة بين الزوجين .

فقد نظر الإسلام للحياة الزوجية نظرة تقدير ورعاية، فأقامها على المودة والرحمة والوفاء، والمشاركة، وجعل رباط الزوجية ميثاقا غليظا، وراعى منذ البداية أن تكون قائمة على الرغبة والرضا والاختيار، وأمر الرجال بحسن معاشرة النساء في نصوص كثيرة، وكذا أكثر من وصية الزوجة بزوجها، وأبطل بعض النظم المجحفة بحق المرأة مثل: الظهار[٢] والإيلاء[٣]، وأقر بعض النظم مثل: الخلع[٤] رحمة وإنصافا للمرأة إذا كانت تضيق بزوجها، وكذا أباح

١- السابق.

٢- الظهار: هو أن يشبه الرجل زوجته بامرأة محرمة عليه على التأبيد، أو بجزء منها يحرم عليه النظر إليه كالظهر والبطن والفخذ، كأن يقول لها: أنت علي كظهر أمي أو أختي، أو بحذف كلمة (علي)، ويترتب عليه تحريم الوطء قبل الكفارة. أ. د. وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، الفقه الإسلامي وأدلته ،ص ٧١٢٤/٩.

٣- الإيلاء: الحلف على أن لا يقرب زوجته، سواء أطلق بأن قال: والله لا أطأ زوجتي، أو قيد بلفظ أبداً، بأن قال: والله لا أقربها أبداً، أو قيد بمدة أربعة أشهر فما فوق، بأن قال: والله لا أقرب زوجتي مدة خمسة أشهر، أو مدة سنة، أو طول عمرها، أو ما دامت السموات والأرض. أو نحو ذلك وللإيلاء حكمان: حكم أخروي وهو الإثم إن لم يفئ إليها، وحكم دنيوي، وهو طلاقها بعد أربعة أشهر. عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري (المتوفى: ١٣٦٠هـ :الفقه على المذاهب الأربعة ج ٤ ص ٤٠٧ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٤- الخلع: ويسمى الفداء؛ لأن المرأة تفتدي نفسها بما تبذله لزوجها، وقد عرفه الفقهاء بأنه: " فراق الرجل زوجته ببدل يحصل له ". الأستاذ/ سيد سابق (المتوفى: ١٤٢٠هـ):فقه السنة ج ٢ ص ٢٩٤، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان الطبعة: الثالثة، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م.

الطلاق كضرورة؛ رعاية لحق المرأة أو الرجل[١].

وقد تكلم (كولن) عن أهداف الزواج، فقال: "ليس الزواج من أجل الحصول على اللذة، بل هو لتشكيل أسرة، ولتأمين بقاء الأمة ودوامها، ولإنقاذ أحاسيس الفرد وأفكاره من التشتت، وللسيطرة على أهوائه، وغرائزه الجسدية"[٢].

ولذا دعا (كولن) إلى حسن اختيار كل شريك لصاحبه، والتدقيق قبل الزواج؛ حتى لا تصاب الأسرة بحريق وأضرار الطلاق.

خامسا: الطلاق:

هو انتهاء العلاقة الزوجية عندما يتعسر بقاؤها ودوامها، ومع أنه مطلب أحيانا ومرقى للإصلاح، فسيظل هو أبغض الحلال إلى الله تعالى .

إن الإسلام راعى في تشريعه ما قد يعتري الحياة الزوجية من أعاصير لا منجاة منها فلم يجبر الزوجين على رباط يتبرمان منه ويتوقان إلى التحلل من قيوده كما فعلت بعض الأديان، على أنه إذا أباح الطلاق بغضه إلى الرجل والمرأة، وضيق بواعثه، ودعاهما إلى إصلاح ما بينهما، وخفف من آثاره تخفيفا يمهد لمعاودة الحياة إذا أرادا، ولا تضار المرأة، وبذلك حفظ للمرأة شخصيتها إذ كفل لها أن تطلب الطلاق، وأن تختلع، وهذا كله امتاز به الإسلام عن غيره من الشرائع السابقة[٣].

يقول كولن: "الطلاق هو خروج المرأة من قيد النكاح، ومن النادر أن يكون سببا في الراحة والهدوء؛ إذ يجر الشقاء والسفالة في أعقابه"[٤].

ومع ذلك فهو ضروري أحيانا ومنعه اهدار لحقوق الزوج أو الزوجة ؛ولذا يقول كولن: "الطلاق في نظر الدين هو أبغض الحلال، ولكن بدرجة بغض وقوعه يكون منعه غير طبيعي وغير فطري. إن تجاهل ضرورات الطلاق هو عدم معرفة بماهية الإنسان وخواص هذه الماهية؛ لأن توقع امتزاج كل زوجين

١- د/ أحمد محمد الحوفي : سماحة الإسلام ص ٣٠- ٣٧ الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٧م.

٢- ينظر: كولن: الموازين ص ١٤٥.

٣- ينظر: د/ أحمد محمد الحوفي : سماحة الإسلام ص ٤٦- ٤٧.

٤- كولن: الموازين ص ١٤٧.

مع بعضهما توهم سطحي بأن الجميع على فطرة واحدة وطبع واحد ومزاج واحد وسلوك واحد وهذا سذاجة"[١].

ويرى عدم إجبار الزوجين أو أحدهما على استمرار الزواج ومنع الطلاق كما يحدث في بعض الأنظمة الأخرى لما له من ظلم للطرفين فيقول: "لقد جربت الدنيا طوال عصور عديدة إجبار الأزواج الذين لا يرضون باستمرار الزواج بالعيش معا وذلك بمنع الطلاق أو ربطه بشروط مستحيلة، وجربت دنيا أخرى استعمال المرأة كمتاع تؤخذ متى شاءوا وتطرح جانبا متى شاءوا والدنيا الأولى كانت عذابا للرجل والثانية لم تكن تنظر إلى المرأة كإنسان"[٢].

إذن الطلاق حق للمرأة كما الرجل إذا اقتضت الحياة الزوجية والضرورة ذلك، وهو قد يكون علاجا وإن كان صعبا، وليس فيه ما يضير الإسلام كما يحاول المغرضين من أعدائه، بل هو من مميزات هذا الدين الخالد الذي يراعي مصالح الإنسان وحاجياته في كل زمان ومكان.

سادسا: شبهات حول المرأة:

وقد دفع (كولن) - في حديثه عن حقوق المرأة- بعض الأمور أو الشبهات التي يستشعر فيها ظلم للمرأة أو انتقاص من حقها، وتلك من مهام الفيلسوف المسلم تجاه التيارات الغربية المشوهة لصورة الإسلام، ناهيك عن أن ذلك واجب كل مسلم يمتلك الآلية لدفع تلك الشبهات من ذلك :

١- الميراث:

والشبهة هنا هي: إن الإسلام ظلم المرأة فجعلها نصيبها في الميراث أقل من نصيب الرجل.

يرد (كولن) على ذلك:

أن سبب حصول المرأة على نصف نصيب الرجل؛ لأن المرأة أقل نفقة بالنسبة للرجل، فلا تتحمل أعباء الحياة المختلفة؛ ولذا فقد تساوى غنمها مع غرمها [٣].

١- السابق ص ١٤٨.

٢- الموازين ص ١٤٧، ١٤٨.

٣- من حوار كولن السلام والتسامح ص .١٤٨.

٢- الشهادة:

والشبهة هنا هي انتقاص الإسلام من شأن المرأة في أمر الشهادة فشهادة الرجل تعادل شهادة امرأتين.

يرد كولن على ذلك:

أن قضية أن شهادة الرجل تعادل شهادة امرأتين؛ فلحكمة أشار الله إليها في قوله تعالى: ﴿ **وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى**﴾[١]، فليس هناك أفضلية للرجال، وإنما القضية الأساسية هنا في تحقيق العدالة، والأمر يتعلق بأمور مثل: النسيان، والخطأ، والشفقة، والرحمة التي خلقت النساء عليها، وإن لم تراع هذه الجوانب بحجة المساواة، فلا يمكن تحقيق العدالة وإحقاق الحق[٢].

٣- الحجاب:

من الأمور التي زعم أدعياء حرية المرأة وأعداؤها أنها تقييد لحرية المرأة الحجاب.

والحجاب من الفروض الواجبة الخاصة بالمرأة المسلمة شرعه الله تعالى؛ حفظا لها وصيانة لعفتها: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً** ﴾[٣].

وقد روج بعض الناس أن (كولن) يعد حجاب المرأة من الفروع، والذي أدار هذه الحملة ضده استخدم مصطلح (تفرعات) بدل من كلمة (فروعات) التي استخدمها (كولن) وتفرعات في التركية تعني(التافه)، أما فروعات فتعني (الفروع)، وقد وجه له هذا الاتهام، فكان جوابه: "الحقائق المتعلقة بالعقيدة وأفعال المكلفين في الإسلام تصنف في قسمين اثنين: الأصول والفروع

١- سورة البقرة الآية: ٢٨٢.

٢- من حوار كولن كتاب السلام والتسامح ص ١٤٩.

٣- سورة الأحزاب: الآية ٥٩.

.الالتزامات المتعلقة بالعقيدة تصنف تحت قسم الأصول، أما المتعلقة بالأعمال والأفعال والمعاملات، فتصنف تحت قسم الفروع؛ ولأن الحجاب موضوع عملي فإنه من الفروع...ولا بد أن ألفت الانتباه إلى أن كون الحجاب من الفروعات لا يعني أنه ليس فرضا، إن الحجاب فرض، وهناك أحكام عملية كثيرة هي من الفروع وهي فرض وواجب شرعي"[١].

واستدل كولن في حديثه بخطابه الموجه إلى رئيس الوزراء عام ٢٠٠٦م يدعوه فيها إلى إقرار حرية ارتداء الحجاب في تركيا، حيث كان ممنوعا في المؤسسات الرسمية وكل المدارس[٢].

وبعد هذا التجوال في حق المرأة في الإسلام يتبين أن:

١- أعطى الإسلام المرأة كل الحقوق الإنسانية كالرجل مثل الحق في الحياة، والتعليم، والاعتقاد، والعمل، والميراث، والزواج، والطلاق سواء بسواء لا اختلاف إلا فيما تتطلبه طبيعة المرأة الفطرية، ودورها في الحياة كالحجاب، والميراث، والشهادة.

٢- أجاز (كولن) تولي المرأة المناصب العامة كالقضاء ورئاسة البلاد، مختلفا مع جمهور المسلمين في ذلك.

تعقيب:

من خلال هذا الفصل تتبدى عدة أمور:

١- الجهاد في الإسلام أوسع من مفهوم القتال، فالقتال لم يشرع إلا للضرورة كرد العدوان، وتأمين الدعوة، ونصرة الضعفاء والمضطهدين.

٢- الإسلام لم ينتشر بالسيف والقوة - كما يقول المغرضون-، بل انتشر بالحجة، وقوته الروحية، وتشريعاته، وأخلاقه السامية.

٣- الأصل في الإسلام السلام. والحرب استثناء لأسباب معينة كالدفاع عن النفس، وتأمين الضعفاء، والقضاء على الطواغيت.

٤- قضايا الحوار، والدعوة إلى السلام، ونبذ العنف من الأهمية بمكان في

١- حوار مع جريدة زمان التركية مارس ٢٠١٤م منشور في كلمات شاهدة ص ٩٤.

٢- السابق.

هذ العصر؛ لأنها إن التزم فيها جادة الطريق، ومبادئ الشريعة أصبحت عنوانا ودعوة للعالمين لتبين معالم ديننا الحنيف، وإظهار صفحته البيضاء التي لوثتها الأيادي الخبيثة، كما أنها مهمة للتشاور بين الشعوب؛ لإيجاد الحلول لكافة المشاكل الدينية، والبيئية، والاقتصادية المشتركة، والتباحث في مجالات العلوم والتكنولوجيا بين الشعوب والحضارات.

٥- تحدث (كولن) عن الحوار مع الأديان والحضارات، وأبدى تسامحا واسعا نحو أهل الأديان وغيرهم، ولكنه توسع كثيرا في هذا التقارب، ومن ذلك: لقاءاته مع كهنة اليهود وقساوسة النصارى بشكل شخصي، و مشروعه ببناء المسجد مع بيت الجمع للعلويين جنبا إلى جنب للتقارب والتفاهم والمجالسة والمؤاكلة، وأرى أن ذلك توسعا قد يفضي إلى المودة التي نهانا عنها القرآن في قوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الحَقِّ** ﴾[1].

٦- دعوات (كولن) النظرية والتأصيلية لإقرار الحوار والسلام، ونبذ العنف أتبعها خطوت عملية لتصبح واقعا معاشا عن طريق جهوده الفردية، وما شجع عليه من مشروعات تعليمية وتثقيفية تخدم هذا المجال، وهذا ما يميز منهج كولن في كل جوانبه، فدائما الفكر مع الحركية، والتأصيل مع العمل والإيجابية.

٧- برهن (كولن) على مراعاة الإسلام لكافة حقوق الإنسان - كل الإنسان-، بل هو شامة في جبين البشرية في هذا الأمر، فتحدث عن الحرية وتقدير الإسلام لها بكل أنواعها، وتحدث عن الشورى والديمقراطية كحقوق للأمة، وعن حق المرأة ومدى إنصافها وسموها في ظل حضارة وعدل الإسلام.

١- سورة الممتحنة من الآية : ١.

الفصل الثاني
الحضارة

تمهيد:

يمكن القول إن المحور الأساسي في فكر (كولن) هو الحديث الدائم عن كيفية النهوض وبناء حضارتنا من جديد، وارتبطت بذلك مصطلحات عدة منها: الإحياء، التجديد، الانبعاث الإصلاح، بعث ما بعد الموت، إعلان النفير العام، الولادة الجديدة، الترقب الفعال، النهضة .

وله عدة كتب حملت تلك الأفكار منها: ونحن نقيم صرح الروح، ونحن نبني حضارتنا، وأيضا عدد ضخم من المقالات حول نفس الفكرة منها: حتى نبعث من جديد، أجيال الأمل، رسالة الإحياء، وارثو الأرض، الأجيال المثالية، دنيا في رحم الولادة .

وله عدة أنماط فكرية ابتكرها للتعبير عن مشروعه الحضاري والإصلاحي منها ما هو خاص بالمنهج مثل: الحركية والفكر، الذاتية، المناسبة بين الكائنات والإنسان والله، الشريعة الفطرية، الوعي الجمعي، ومنها ما هو خاص بالجيل المنوط به تطبيق منهج الإصلاح مثل: وارثو الأرض، المجانين، مهندسو الروح، جند الإدراك، فرسان البعث، فرسان المستوى، أطباء الروح والمعنى، الإنسان الجديد.

ومفاهيم الحضارة، والنهضة، والإصلاح، والتجديد، والإحياء متشابكة جدا ومتكاملة فالتجديد والنهضة والإحياء هي مطالب المسلمين لاستعادة الحضارة وقيامها، ولذا كانت مطلبا لجميع حركات الإصلاح من (الأفغاني) حتى الآن.

بل كانت الدعوة للعودة إلى الأصالة أو إحياء التراث رد فعل إسلاميا ضد التهديد الخارجي الذي تمثله تحديات الغرب العسكرية، والصناعية، والعلمية، والمؤسساتية فأصبح التراث ليس مطلوبا فقط في حالة النهضة من أجل الارتكاز عليه، والقفز إلى المستقبل، بل أيضا من أجل تدعيم الحاضر، وتأكيد الوجود، وإثبات الذات[١] .

وسنتعرض لفكر (كولن) حول هذه المفاهيم - رغم صعوبة البحث-؛ لأن

١- ينظر: الدكتور: محمد عابد الجابري : التراث والحداثة ص ٢٥.

أفكاره متناثرة هنا وهناك ما بين مقالات، وكتب، ودروس، إضافة إلى كثرة الحديث حول هذا الموضوع وتكراره بألفاظ مختلفة من مكان لآخر، عكس كثير من المفكرين الذين سهل علي معرفة فكرتهم من خلال مطالعة ما يكتبون حول هذه الفكرة في أحد منتجاتهم تحديدا.

وسأخصص هذا الفصل للحديث عن رؤاه الحضارية خاصة، وسيكون للتجديد فصل مستقل - إن شاء الله-.

وفي الحقيقة بداية أي حديث عن النهضة والإصلاح لا بد أن يسبق بالحديث عن الحضارة، فإن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته، ولا يمكن لشعب أن يفهم، ويحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، ويتعمق في فهم عوامل قيام الحضارات وانهيارها، فالحضارات السابقة واللاحقة ما هي إلا سلسلة في الملحمة الإنسانية، تتمثل فيها جهود الأجيال المتعاقبة في خطواتها نحو النهضة والتقدم، كل منها يبعث ليكون حلقته في سلسلة الحضارات حينما تدق ساعة البعث معلنة قيام حضارة جديدة ومؤذنة بزوال أخرى[١].

ومن خلال فكر (كولن) سأعرض لمفهومه عن الحضارة، وأهمية التاريخ في بناء الحضارات، وسنرى من خلال إنتاجه الغزير في هذا الأمر تمجيده للحضارة الإسلامية إبان أوجها وصعودها، والأمل الواسع في عودتها لتسلم قيادة العالم من جديد، ونقده للحضارة الغربية المادية، ولن نعدم مقارنات بين الحضارتين، ثم المعادلة الحضارية التي تضمن تحقيق ما يصبو إليه العالم الإسلامي من نهضة وإصلاح.

وسيكون هذا الفصل مقسم إلى:

المبحث الأول: مفهوم الحضارة.

المبحث الثاني: موقف كولن من الحداثة.

المبحث الثالث: دور السنن الإلهية في قيام الحضارات.

المبحث الرابع: معادلة الحضارة عند فتح الله كولن.

١- ينظر: مالك بن نبي: شروط النهضة ص ١٩- ٢٠، ترجمة: عبد الصبور شاهين- عمر كامل مسقاوي، بإشراف: ندوة مالك بن نبي، دار الفكر- دمشق.

المبحث الأول
فهوم الحضارة

كان (ابن خلدون) من أوائل من قدم تعريفا للحضارة عندما قسم العمران البشري إلى بدو وحضر مبينا اقتصار البدو على الضروري في أحوالهم، بينما الحضر مفتنون بالترف والكمال في أحوالهم[١].

فيرى أن أحوال الدول في طورها الأول بداوة، وعندما يحصل لها الملك تنتقل إلى طور الحضارة، ويقصر (ابن خلدون) مفهوم الحضارة على معنى المدنية - أو ما يرادفها- من الترف والعمران، فيقول: "والحضارة إنما هي تفنن في الترف، وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ، والملابس، والمباني، والفرش والأبنية، وسائر عوائد المنزل، وأحواله، فلكل واحد منها صنائع في استجادته والتأنق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضا وتتكثر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعم بأحوال الترف وما تتلون به من العوائد"[٢].

وقد اقتصر ابن خلدون مع أن له السبق والفضل في تعريف الحضارة على الجانب المادي فقط، وقد اتسع مفهوم الحضارة بعد (ابن خلدون) بشكل كبير بحيث غدا أعم وأشمل من مظاهر الصناعة والتقدم العلمي فأصبح يعرف بعدة أمور كالتالي:

"الأفكار (والأيديولوجية)التي تشكل الحياة بما فيها من قوانين ونظم وعادات وسلوك"[٣] . وقيل: "الحضارة هي حصيلة الإنسان الشاملة للمدنية(التقدم المادي للأمة)، والثقافية وهي تشمل الجوانب الروحية والفكرية للأمة معا"[٤] .

وقيل: "هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود وسواء

١- عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ص ١٥٢. ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الأستاذ: خليل شحادة مراجعة الدكتور: سهيل زكار دار الفكر- بيروت- لبنان ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م

٢- عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ص ٢١٦.

٣- د/ عبد المنعم النمر : حضارتنا وحضارتهم ص ٢١ دار المعارف من سلسلة كتابك(٤٣).

٤- د/ محمد عبد المنعم خفاجي : حوار الحضارات بين الشرق والغرب ص ٩ سلسلة قضايا إسلامية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- مصر العدد٢٠٦ ط: الثانية ٢٠١٢م.

أكانت الثمرة مادية او معنوية"[١].

فالحضارة في التعريفات السابقة معنى شامل للحياة بطرفيها المادي والمعنوي.

وهناك من فصل بين الجانب المادي والمعنوي ، وهو (بيجوفيتش) ، فيقصر الحضارة على الجانب المادي فقط، بينما جوانب الدين، والفن، والأخلاق، فيطلق عليه مصطلح (الثقافة)، فالثقافة هي الخلق المستمر للذات، أما الحضارة فهي التغيير المستمر للعالم[٢].

وأما كولن فيتبني الرأي الثاني فيعرف الحضارة بأنها: "مجموع النشاطات المتعلقة بتنظيم الحياة الإنسانية، أو التصورات الفكرية، والاعتقادية، والفنية لأي أمة، أو كل الأوصاف الخاصة بوجودها المادي والمعنوي "[٣].

فكولن إذن يجمع في الحضارة بين الجانب المادي والمعنوي لكل أمة وبهذا أرى أن تعريفه جامع مانع .

ويرى (كولن) أنه قبل الانطلاق لبناء رؤانا الحضارية: "أن نحدد إطار الفهم لتلك الحضارة، ونعيد النظر في كنهها (بتعريف جامع مانع)، ونقف على المعنى والمحتوى لأمسنا، وفوضوية يومنا وغموضه، والمعالجات المتصورة لغدنا، ثم نتعرف على صوت العصر مع الحفاظ على الأصل والذات من جهة، وأخذ معالجات الزمان الحاضر وتفسيراته بنظر الاعتبار من جهة أخرى"[٤].

أي إدراك ذاتيتنا عبر النظر لماضينا، ومعرفة مشاكلنا المعاصرة، وتصور حلول لها، ثم التعرف على صوت العصر، أي هي بالنهاية الجمع بين الأصالة والمعاصرة لا ننسى الماضي ولا ننفصل عن العالم المعاصر .

ويرى كذلك في إطار البحث عن أسلوبنا الذاتي الحضاري أنه ينبغي التخلص من معوقات الحضارة.

١- دكتور/ حسين مؤنس: الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها .سلسلة عالم المعرفة - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت.

٢- ينظر: علي عزت بيجوفيتش: الإسلام بين الشرق والغرب ص ١٠٧- ١٠٨ .

٣- محمد فتح الله كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١٢.

٤- ونحن نبني حضارتنا ص ١٢.

❖ **معوقات الحضارة:**

ومن تتبعي لما كتبه (كولن) حصرت معوقات ثلاثة للحضارة في فكره استقاها من الواقع، وهي:

١- المفاهيم والأفكار المخربة:

يرى (كولن) ضرورة : "أن نتخلص من احتلال المفاهيم، والأفكار الغريبة في داخلنا والمبرمجة على تخريب جذور الروح والمعنى فينا، وأن نتبع سبيلا يمكننا من العمل على طبع فكرنا الذاتي، ونظامنا الاعتقادي الذاتي، وفلسفتنا الذاتية في الحياة على نسيجنا الحضاري الخاص"[١].

إذن من معوقات الحضارة وجود الأفكار والمفاهيم الغريبة عن البيئة الإسلامية، وتبنيها في حياتنا، فينبغي العمل على بناء نظامنا الخاص بنا نظاما ذاتيا ينبع من الإسلام وحضارته إذا أردنا النهوض من جديد، فلن تعيش حضارة على عقيدة، وقيم، وفلسفة حضارة غيرها.

ونفس فكرة تصفية المفاهيم، أو التخلص من المفاهيم المدمرة نادى بها (مالك بن نبي)[٢] سابقا (كولن) في ذلك، فيقول: "وإنه ليجب بادئ الأمر تصفية عاداتنا، وتقاليدنا، وإطارنا الخلقي، والاجتماعي مما فيه من عوامل قتالة ورمم لا فائدة منها؛ حتى يصفو الجو للعوامل الحية والداعية إلى الحياة، وإن هذه التصفية لا تتأتى إلا بفكر جديد يحطم ذلك الوضع الموروث عن فترة تدهور مجتمع أصبح يبحث عن وضع جديد هو وضع الحضارة"[٣].

ويخلص (مالك بن نبي) إلى أن تحديد الأوضاع يكون بطريقتين:

١- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١٣.

٢- مالك بن نبي(١٩٠٥-١٩٧٣م): أحد المفكرين المغاربة، ولد بالجزائر إبان احتلالها، وتعلم في المدارس الفرنسية حتى حصل على الثانوية، ثم شد الرحال إلى باريس، فالتحق بكلية الهندسة، وتخرج فيها مهندسا كهربائيا، وأكب على دراسة العلوم الاجتماعية، والتاريخية، والأنثروبولوجيا، وقام بمهمة الدفاع عن الإسلام فيما يؤلف ناله الاعتقال والسجن كغيره من المناضلين، من مؤلفاته: الظاهرة القرآنية- شروط النهضة- وجهة العالم الإسلامي. توفي ١٣ أكتوبر ١٩٧٣م. ينظر: أ د/ عبد الصبور شاهين: مالك بن نبي، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٢٠١٤م.

٣- مالك بن نبي: شروط النهضة ص ٨٠.

الأولى: سلبية، تفصلنا عن رواسب الماضي، والثانية: ايجابية، تصلنا بمقتضيات المستقبل وقد فعلت الحضارة الغربية ذلك في عهد من العهود، فصفت ثقافتها من أي فكر إسلامي أو ميراث للكنيسة البيزنطية، وأما الإيجاب فهو إقرار المنهج التجريبي الذي كان سببا في نهضتها، والحضارة الإسلامية فعلت ذلك، فقد نفى القرآن الأفكار الجاهلية البالية، ورسم طريق الفكرة الإسلامية الصافية التي تخطط للمستقبل بطريقة إيجابية، وكذا فعل كبار المصلحين مثل: (محمد عبده) و(ابن باديس)[١] فحطموا عوامل انحطاطنا وعللنا، أما التحديد الايجابي فما زال غامضا، وقد حدد (ابن نبي) العناصر الجوهرية لقيامه وهي: الدستور الخلقي، والذوق الجمالي، والمنطق العملي، والصناعة[٢].

ومن هنا يظهر تأثر (كولن) بمالك بن نبي في هذه الفكرة الحضارية.

٢- القابلية للاستعمار:

يرى (كولن) أنه كان عسيرا، - بل محالا- أن ينبعث المجتمع من جديد وأن يتوجه إلى قيمه الذاتية بعدما صار قابلا للاستعمار[٣]، ولكن بالرغم من ذلك، فالأمل معقود في النهوض.

وقد استعمل هذا المصطلح(القابلية للاستعمار) أكثر من مرة تعبيرا عن واقع الأمة وأكبر معوقات نهضتها، ولعله في ذلك متأثر بالمفكر الجزائري (مالك بن نبي) الذي بنى نظرية كاملة في القابلية للاستعمار.

١- ابن باديس(١٣٠٥ - ١٣٥٩ هـ = ١٨٨٧ - ١٩٤٠ م):عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي ابن باديس: رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، من بدء قيامها سنة ١٩٣١ م، إلى وفاته. ولد في قسنطينة، وأتم دراسته في الزيتونة بتونس. وأصدر مجلة (الشهاب) علمية دينية أدبية، صدر منها في حياته نحو ١٥ مجلدا. وكان شديد الحملات على الاستعمار، وحاولت الحكومة الفرنسية في الجزائر إغراءه بتوليته رياسة الأمور الدينية فامتنع واضطهد وأوذي. وقاطعه إخوة له كانوا من الموظفين، وقاومه أبوه، وهو مستمر في جهاده. وأنشأت جمعية العلماء في عهد رياسته كثيرا من المدارس، وتوفي بقسنطينة في حياة والده. له (تفسير القرآن الكريم) اشتغل به تدريسا زهاء ١٤ عاما، ونشرت نبذ منه ثم جمع تفسيره لآيات من القرآن، باسم (مجلس التذكير) ونشر في الجزائر (آثار ابن باديس) في ٤ مجلدات. الزركلي: الأعلام ص ٣/ ٢٨٩.

٢- ينظر: شروط النهضة ص ٨٠-٨١.

٣- ونحن نبني حضارتنا ص ١٠.

والقابلية للاستعمار تعني في فكر (مالك) أنه وإن كان الاستعمار له أثر في التخلف، وعدم نهوض العالم الإسلامي، فإنه يؤثر على الفرد من الخارج ولكن القابلية للاستعمار أخطر وأشد أثرا؛ لأنه ينبعث من باطن الفرد فإنه الذي يقبل على نفسه السير في تلك الحدود الضيقة التي رسمها الاستعمار وحدد له فيها حركاته وحياته وأفكاره، فالقضية هي أن نتخلص مما يستغله المستعمر في أنفسنا من استعداد لخدمته، وتوجيه طاقتنا فيما يريد، والخلاصة هي: "أخرجوا المستعمر من أنفسكم يخرج من أرضكم"[١]، ويقول (ابن نبي) أيضا: "إن الاستعمار ليس من عبث السياسيين، ولا من أفعالهم، بل هو من النفس ذاتها التي تقبل ذل الاستعمار، والتي تمكن له في أرضها، وليس ينجو شعب من الاستعمار وأجناده، إلا إذا نجت نفسه من أن تتسع لذل مستعمر، وتخلصت من تلك الروح التي تؤهله للاستعمار"[٢].

إذن من معوقات الحضارة - عند ابن نبي وكولن- هو القابلية للاستعمار، فمن أراد النهوض والبناء عليه أن ينبذ الاستعمار داخليا كما نبذه خارجيا.

٣- قصور العلم والعمل:

يرى (كولن) أن سبب تخلف عالمنا عن بلوغ النهضة المأمولة ليس بسبب الوضع الجغرافي، أو نقص الإمكانات، أو ضعف القدرات، والقابليات لإنساننا، بل لقصور عن فهم كنه التحديث، ونقص في الفكر، والاكتفاء بالقوالب الفكرية النمطية كبديل عن العلم والعمل.

يؤكد (كولن) مرارا على وحوب العمل بالأسباب والوسائل المشروعة للوصول إلى الهدف، وإيجاد حلول بديلة للتخلص من الفوضى التي نعيشها، والأخذ بعين الاعتبار حيثيات موقعنا الجغرافي والاجتماعي[٣].

وفي وضعنا الحالي- حسب كولن- لا ينبغي أن نقتدي بدول سبقتنا في الإمكانات الحضارية بأشواط بعيدة لئلا نصاب بصفعات الخيبة عند الفشل، فهذه المجتمعات المتقدمة كانت تعاني بالأمس مثلما نعاني اليوم، ولكن حققوا النجاح

١- ينظر: مالك بن نبي: شروط النهضة ص ١٥٢- ١٥٥ .

٢- شروط النهضة ص ٣١.

٣- ينظر: كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١٣.

بفضل شوق البحث، وعشق العلم، وحثيث العمل، ومكافأة من وفقوا، وصارت البيئة عندهم مشاتل تحتضن العبقرية، فتتابع الاختراع، وبلغوا عصر العلم والعقول الالكترونية وكما تعاقب العلماء في عالمنا الإسلامي من أمثال: ابن سينا، والرازي إبان تحقق الوسط والبيئة الشبيهة كذلك فعل الغرب، ولذلك من الغلط أن نحصر حاضر الغرب في جهود علماء عباقرة من أمثال غاليلو واينشتين فإن تلك النجاحات والنهضة العلمية إضافة إلى عبقرية الأفراد تنسب إلى الوسط المناسب والبناء الاجتماعي الحاضن لتلك القابليات.

إذن فعلينا الاستفادة من ذلك بتحقيق البيئة الصالحة، وعشق العلم والعمل، والبحث المنهجي لتحقيق رؤانا الذاتية؛ لأننا دائما كنا غرضا لما أنتجه غيرنا تحت اسم الحداثة أو النهضة الإسلامية، وإن كانت أكثر هذه المنتجات يناقض مرتكزاتنا الأساسية.

وقد ضرب مثالين من البلاد التي لحقت بركب الحضارة رغم عوائق كثيرة وهما: ألمانيا واليابان.

فالأولى (ألمانيا): خرجت من حربين عالميتين مثخنة بالجراح، ولكنها جمعت شتاتها في زمن قصير، وانتصبت بلدا عملاقا أمام العالم حينما كنا نحلم بأحلام التحديث في أوائل القرن التاسع عشر[١]، وهو نفس المثال الذي ضربه (مالك ابن نبي)، ورأى فيه أن ألمانيا استغلت عنصر الوقت، وهو معامل هام من معامل الحضارة ففرضت على شعبها العمل ساعتين زيادة على العمل الأصلي لكل منهم مجانا للصالح العام فنجحت في عشر سنوات في امتلاك التكنولوجيا والصناعات الحديثة[٢].

والثانية: (اليابان) سبقناها بنصف قرن من الزمان في طريق التحديث، ولكنها بدأت بالسعي الحثيث، واجتازت كل العوائق مع أنها أصيبت بنكبتين عظيمتين في تاريخها القريب، فأخذت موقعها بين العوائل الكبيرة التي تتولى شئون العالم، وقد ظلت اليابان حذرة وانتقائية ومخلصة لهويتها القومية، فلم

١- السابق ص ١٥، ١٦.

٢- مالك بن نبي: شروط النهضة ص ١٤١.

تستخف بتاريخها، ولم تنكر جذورها المعنوية والروحية[١].

ويرى (كولن) أن مشكلتنا عدم البناء الذاتي فنحن نريد أن نقفز فوق إنجازات الحضارة الموجودة وثمراتها "إن ما فعلناه في تاريخنا القريب هو الكدح في بناء الحضارة فوق إنجازاتها السابقة وأنعمها وثمراتها، أما اليابان وأمثالها من البلاد المتقدمة فقد أقامت كل شيء على أسس الفكر الحضاري، والمفاهيم والسلوكيات الحضارية...فبينما كنا نكافح نحن في استكشاف طرق سهلة ورخيصة للحصول على نعم الحضارة، ووسائل تقاسمها أقامت الشعوب المتقدمة بناء كل شيء على الإنسان والأخلاق والتعليم والثقافة واجتازت بسرعة الطير المهاوي التي سقطنا فيها فارتقت إلى القمم التي قصرنا عنها"[٢] .

وبعد أن تحدثنا عن مفهوم (كولن) للحضارة، وجمعها بين المادي والمعنوي، ومنادته بتصفية عقولنا من أي وارد غريب عن بيئتنا، فهل هو رافض للحضارة الغربية؟ أو بمعنى معاصر، ما موقف كولن من الحداثة؟ والإجابة ستكون محور الحديث القادم - إن شاء الله -.

١- ينظر: ونحن نبني حضارتنا ص ١٧- ١٨.

٢- ونحن نبني حضارتنا ص ١٨.

المبحث الثاني
موقف كولن من الحداثة

تمتد الحداثة تاريخيا في أوروبا إلى القرن السادس عشر ١٥١٣م تاريخ ظهور البروتستانتية حتى يومنا الحاضر، وبذلك تشمل ثورة الكنائس ضد الكنائس، وثورة العلوم الطبيعية في عصر النهضة الأوربية وحركة الاصلاح الديني، والثورات الفلسفية والصناعية والسياسية، وحسب هيجل فإن الحداثة بدأت مع عصر الأنوار والثورة الفرنسية [١]،وقد بدأت الحداثة في أول ظهورها في حقل الأدب ثم امتد إلى حقل الفلسفة وغيرها من الحقول؛ ولذا تعددت التعريفات حيالها.

والحداثة من القضايا الراهنة التي تتردد ليل نهار على ألسنة المفكرين، والأدباء، والعلماء ما بين مرحب ورافض، فما معنى الحداثة وما علاقتها بالحضارة، وما موقف العالم الإسلامي ومفكريه تجاه دعوى الحداثة ؟، وما موقف فتح الله كولن منها؟.

أولا: تعريف الحداثة:

هناك تعريفات عديدة لظاهرة الحداثة منها:

١- النهوض بأسباب العقل والتقدم والتحرر .

٢- ممارسة السيادات الثلاث عن طريق العلم والتقنية: السيادة على الطبيعة، والسيادة على المجتمع، والسيادة على الذات.

٣- وهناك من يقصرها على صفة واحدة فيقول إنها: قطع الصلة بالتراث، أو إنها طلب الجديد، أو إنها محو القدسية من العلم، أو إنها العقلنة، أو إنها الديمقراطية، أو حقوق الإنسان، أو قطع الصلة بالدين، أو العلمانية[٢] .

٤- ومن المعاني الشمولية الأخرى القول بأن الحداثة :المساهمة والمشاركة

١- ينظر: محمد محفوظ: الاسلام والغرب والمستقبل ص ٣١-٣٢ المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء ط الأولى ١٩٩٨م، طه عبد الرحمن: روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية ص ٢٣ المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء، ط الأولى ٢٠٠٦م.

٢- الدكتور طه عبد الرحمن: روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية ص ٢٣ ..

في صنع الحاضر في مختلف الحقول والمجالات، فعلى المستوى الثقافي فإن الحداثة تقتضي رفض الجمود والانغلاق والقبول بمباديء الانفتاح والتفاعل مع الثقافات الإنسانية، وعلى المستوى الاجتماعي تعني اطلاق الحرية وفسح المجال لكل التعبيرات الاجتماعية للقيام بدورها وفق تصورها ومرجعيتها الثقافية، وعلى المستوى السياسي تعني القبول بنتاج وإبداع الفكر الإنساني في هذا الحقل، وهكذا بقية الجوانب والحقول فهي مشروع نظري مفتوح على كل القيم المساهمة والمشاركة وضد الجمود والتكلس والهروب من الواقع والابتعاد عن معادلاته وتحدياته[١].

٥- وقيل: الحداثة: رسالة ونزوع من أجل التحديث، تحديث الذهنية، تحديث المعايير العقلية والوجدانية[٢] .

٦- وقيل: فكرة الحداثة تحل العلم محل الدين في مركز المجتمع، وتبعد الاعتقادات الدينية إلى دائرة الحياة الخاصة للفرد، وفي المجال الفني والفلسفي: تعني إحداث قطيعة مع الماضي، والبحث عن أشكال جديدة للتعبير، وهي إلى ذلك مذهب في علم اللاهوت يسعى إلى مواءمة التقاليد الدينية التقليدية مع الفكر المعاصر باستبعاد أبعادها الغيبية، وليست الحداثة مجرد استخدام العقل والعلم والتكنولوجيا، بل هي استخدام العقل والعلم والتكنولوجيا المنفصلة عن القيمة[٣] .

إذن الحداثة مشروع يرمي إلى تحديث المجتمع عن طريق التحرر من القيود سواء أكانت تراثا أو دينا، والانفتاح والأخذ بالعلم والتقنية والعقلانية في سبيل ذلك، وبعض التعريفات تجعله مرادفا للتحديث، وبعضها يجعله مخالفا للتحديث؛ لأن التحديث في المظاهر أما الحداثة فتشمل كل المجالات المادية والثقافية، بل والعقلية والوجدانية عند بعض المفكرين كالجابري.

١- محمد محفوظ: الاسلام والغرب والمستقبل ص ٣٥.

٢- محمد عابد الجابري : التراث والحداثة دراسات ومناقشات ص ١٧.

٣- الأستاذ الدكتور/ عبد العزيز التويجري : الاجتهاد والتجديد والحداثة رؤية اسلامية في أفق مستقبلي ص ١٦٢ مؤتمر تجديد الفكر الإسلامي المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عدد ١٧٠ لسنة ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

وفي الحقيقة إن (كولن) يعتبر الحداثة مرادفة للتحديث أي في المظاهر والعلوم والتقنية؛ ولذا يعبر عنها بالعصرية أو العصرنة، ومما يؤكد ذلك مقارنته القادمة بين الحضارة والحداثة.

والناظر يرى أن الحضارة الغربية تتألف من ثلاثة مكونات:

أولها: الإنسان الغربي، وهذا لا إشكال في علاقتنا معه كمسلمين فهو كثيرا ما يناصر قضايانا وتجمعنا مشتركات إنسانية عدة.

ثانيها: العلم الغربي، وأيضا لا إشكال لنا كمسلمين في الأخذ به، فالعلم ميراث متداول بين الأمم.

ثالثها: طبيعة العلاقة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية فهو مشروع الهيمنة الغربية الساعي تاريخيا إلى استعمار العالم الإسلامي، والسيطرة عليه، وهذا هو من أكبر الإشكالات والتحديات التي تواجه المسلمين اليوم[١] .

وكثير من مفكرينا يتفقون مع هذه الرؤية ومنهم (كولن) فهو مع المشتركات الإنسانية، والعلم الغربي، ولكن ينتقد الهيمنة الغربية.

ومن ثم(كولن) لا ينتقد الحداثة التي يسميها(العصرية أو العصرنة) بمجموعها فهناك عناصر مفيدة لا يرى مانعا من الأخذ بها، فهو يشجع مثلا على العلوم العصرية، بل وتدرس هذه جنبا إلى جنب مع العلوم الدينية في مدارس (الخدمة)، وأيضا هو كثير الانفتاح على الحضارة الغربية، يعيش في وسط أهم معاقلها الحديثة، وينشئ كراسي علمية في كبريات جامعاتها، إضافة إلى مؤسسات الحوار مع كبار رجالها، وكثير من المدارس والمنشآت الإعلامية في شتى دول العالم المتمدن، فليس لديه عداء للحداثة، أو المدنية، أو الآخر.

وسبق أن قلنا أن فكر (كولن) يجمع بين عدة ثنائيات، ومنها الجمع بين الحداثة وبين التراث .

ولكن (كولن) ينتقد الحداثة بمعنى سيطرة فكر الغرب وحياته على عقولنا، وعلى مظاهر حياتنا دون تمييز، فلن نتحضر بمثل هذا التقليد لإنجازات الآخرين، وعيوبهم، وبمثل التغريب وتبني كل ما هو غربي، وفي المقابل الحط

١- ينظر: د/محمد عمارة: الموقف من الحضارات الأخرى أسباب انتشار الإسلام"شهادة غربية" ص ٩-١٠ مكتبة الشروق.

من شأن القيم الوطنية، فالتقدم لا يكون بالتركيز على الازدهار المادي فقط، ولكن بالفكر النقدي، والسلوك، والقيم الإنسانية، والاستقامة [١] .

ولذا يفرق (كولن) دوما بين الحضارة والحداثة فليست الحضارة هي الحداثة.

ثانيا: العلاقة بين الحضارة والحداثة:

الحداثة تختلف عن الحضارة في فكر فتح الله كولن؛ فالحداثة تغيير في الشكل والظاهر والمادة فقط، يقول كولن: "إذا خلت الجموع في مجتمع ما من الإيمان والحب، والحماسة، والإحساس بالمسؤولية، وإذا ظلوا يعيشون حياة بلا هدف ودون وعي بهويتهم الحقيقية وبالعصر والبيئة اللذين يعيشون فيهما، فإن ذلك المجتمع لا يمكن اعتباره مجتمعا حضاريا حتى لو تغير تغيرا كاملا في مؤسساته، وارتفعت مستويات المعيشة بشكل كبير "وعصرن" جميع الناس في أسلوب حياتهم"[٢].

أما الحضارة فهي تجديد للروح والحياة والفكر قبل أي شيء فيقول: "إن الحضارة ظاهرة ذهنية وروحية لا تتعلق بالتكنولوجيا، والملابس، والحلي المبهرجة، والأثاث، ووسائل الترف فلو كانت تتعلق بهذه الأشياء لأمكننا تحضير أي إنسان في بضعة أشهر، وتحضير أي مجتمع في بضع سنين هيهات، فعدم تقدمنا من حيث حياتنا المعرفية ولو خطوة واحدة دليل ساطع على أن اكتساب الحضارة بالتقليد أمر مستحيل"[٣].

إذن فهناك فرق بين الحداثة، أو ما يطلق عليه كولن العصرية وبين الحضارة ويؤكد على هذا المعنى فيقول: "تختلف الحضارة عن العصرية فيما تعنى الأولى تغيير الإنسان وتجديده في آرائه، وطريقة تفكيره، وجوانبه الإنسانية، فإن الثانية تعني تغيير نمط حياته، وملذاته الحسية، وتطوير تسهيلات الحياة "[٤].

١- ينظر توماس ميتشل: بحث التصوف والحداثة في فكر كولن من كتاب السلام والتسامح في فكر كولن ص ٥٣.

٢- كولن: نحو الفردوس المفقود ص ٧٠ نقلا عن السلام والتسامح في فكر فتح الله كولن ص ٥١ .

٣- السابق .

٤- نحو الفردوس المفقود ص ٦٩ نقلا عن السلام والتسامح ص ٥٢.

ولذا يأسى (كولن) لاختلاط المفاهيم عند الأجيال الجديدة المنزوعة عن الإيمان والثقافة، والأخلاق، والوطنية، ومن تلك المفاهيم الاعتقاد بأن الشعوب التي تتمتع بالتسهيلات التكنولوجية، والرفاهية دولا متحضرة، بينما الآخرون همجيون[١] يرى (كولن) أن التسهيلات العصرية قد تساعد في تجديد المظهر الخارجي للحياة لكن ذلك لا يعادل التحضر، فالحضارة في مفهومه:

١- المناخ الذي يلائم تطور قدرات مجتمعه بشكل خاص والإنسانية بشكل عام إلى جانب الأفكار، والمشاعر، والقدرات التي يطورها ويحسنها هذا المناخ؛ ولذلك الحضارة، لا يبحث عنها في الترف والرفاهية، والحياة المريحة بوجه عام، أو داخل البيوت ذات الأثاث الأنيق، أو في أساليب وكميات الإنتاج والاستهلاك، بل إنها تتواجد في نقاء الأفكار، وتهذيب الأخلاق، والمشاعر، وصحة الآراء، والأحكام.

٢- الحضارة تكمن في التطور الروحي للإنسان، وتجديده الذاتي المستمر نحو الإنسانية الحقة، والاستقامة الشخصية.

٣- ليست الحضارة كما يفهمها المقلدون العميان للغرب باعتبارها ثوبا يشترى من أحد المحال ويلبس، ولكنها غاية منشودة يصل إليها الإنسان من خلال طريق عقلي يمر بين الزمان والظروف[٢].

وينتقد(كولن) طرفي الحداثة معا، الحداثيون والناقدون للحداثة:

فالفريق الأول: يرون النجاة والتقدم من تخلف عالمهم هو في سلوك طريق الغرب، وفكرهم وسلوكهم، واعتبار الإسلام عقبة في سبيل هذا التقدم، وتقليد الغرب في نظرته للعالم والأنماط الاجتماعية والنظم السياسية معتقدين أن ذلك سيؤدي بهم إلى الرخاء والقوة التي وصلت إليها البلاد الغربية[٣] يقول كولن عن هذا الفريق: "بسبب تأثير سيطرة الغرب على أراضيهم - وهي السيطرة التي نسبت إلى التفوق العلمي والتكنولوجي- ظل بعض المفكرين المسلمين لسنوات عديدة يتهمون الإسلام نفسه بأنه سبب تخلف الشعوب المسلمة، فقد نسوا

١- ينظر: نحو الفردوس المفقود ص ٦٩ نقلا عن السلام والتسامح في فكر كولن ص ٥٢.

٢- ينظر: نحو الفردوس المفقود ص ٦٧- ٦٨نقلا عن السلام والتسامح ص ٥٣.

٣- ينظر: بحث التصوف والحداثة من كتاب السلام والتسامح ص ٥٤.

الأحد عشر قرنا أو أكثر التي شهدت سيادة الإسلام، ففكروا وكتبوا كما لو كان تاريخ الإسلام قد بدأ في القرن الثامن عشر فقط وحتى إنهم لم يرهقوا أنفسهم للقيام بدراسة سطحية للإسلام وتاريخه الطويل"[١].

ويقول أيضا: "ولا يحسبن أحد أن المدنية هي التقدم في العلوم الطبيعية، أو امتلاك الامكانيات والوسائط الحديثة كالبواخر والقطارات والطائرات، أو العيش في المدن الكبيرة ذات الشوارع العريضة والبنايات العالية، بينما يعد أصحاب العقول المؤمنة هذه الأمور مجرد جزء من المدنية وليست المدنية ذاتها أي من الخطأ اعتبار استعمال هذه الوسائط هي المدنية نفسها" [٢].

أما الفريق الثاني: وهم ناقدو الحداثة فينطلقون من فكرة أن الحداثة تساوي التغريب وركزوا على عيوب الثقافة الغربية كالإلحاد، ونسبية الثقافة، وانتهوا إلى أن الحداثة مدمرة، وتتعارض مع الإسلام، ونظروا إلى الغرب باعتباره عدوا، ويرى (كولن) أن هذا الفريق أيضا متطرف في نظرته تلك.

إذ كلا الاتجاهين – المحاكاة غير النقدية ورد الفعل الغاضب- لا ينتميان إلى الإسلام في رأي كولن[٣].

وأرى أن معالجة هذه المعضلة هي فيما نادى به الجابري، فالحداثة في رأيه ليست رفض التراث ولا القطيعة مع الماضي، إنما تكون بالارتفاع بطريقة التعامل مع التراث إلى ما نسميه بالمعاصرة أي مواكبة التقدم الحاصل على الصعيد العالمي.

ولذا دعا إلى حداثة عربية لها دورها وخصوصيتها حتى نكون فاعلين وليس مجرد منفعلين، فليست هناك حداثة مطلقة أو عالمية والحداثة عند الغرب انتهت بنهاية القرن التاسع عشر، والآن يتكلمون عن (ما بعد الحداثة)[٤]، أما الحداثة في عالمنا فلا تشكل مراحل متعاقبة، بل متداخلة وهي النهضة في

١- في ظلال الإيمان ص ٣٠٩ فتح الله كولن نقلا عن السلام والتسامح ص ٥٥.

٢- الموازين ص ٩٨ .

٣- ينظر: السلام والتسامح ص ٥٥.

٤- ما بعد الحداثة يرتبط بصورة وثيقة بالتطورات التي شهدتها المجتمعات الرأسمالية فيما بعد الحرب والولايات المتحدة الأمريكية تمثل الحالة النموذجية لهذه المجتمعات. ينظر بيتر بروكر: الحداثة وما بعد الحداثة ص ٧.

مفهومنا، يقول: "إن الحداثة عندنا كما تتحدد في إطار وضعيتنا الراهنة هي النهضة والأنوار ...والعمود الفقري الذي يجب أن تنتظم فيه جميع مظاهرها هو العقلانية والديمقراطية، والعقلانية والديمقراطية ليستا بضاعة تستورد، بل هي ممارسة حسب قواعد"[١].

و(كولن) وإن كان لا يتبني حداثة خاصة كالجابري إلا أنه يدعو إلى التوازن ويتبناه تجاه الحداثة الغربية فيرى التناول النقدي للحداثة وعدم التطرف في رفضها، ويرى أن الإسلام يحقق هذا التوازن بالجمع بين المادية والروحية، وبين العقلانية والتصوف وبين الدنيوية والزهد؛ ولذا لا غرابة بين جمع (كولن) ذاته بين الحداثة التي أهم مظاهرها المادية- ولكن ليس على إطلاقها- وبين التصوف وهو الجانب الروحي من الحياة الإسلامية[٢].

إذن الإنسان يحتاج في مسيرة الحضارة إلى الجمع بين المادية والروحية وكلاهما يحتاج إلى سعي وبذل للأسباب، فلن تنهض حضارة بمجرد الطموح والتمني، فهناك سنن إلهية بثها الله في الكون، فكل سبب وفعل يجري خلفه مسبب وفاعل؛ لذا كان الاهتمام بالأسباب وبسائر السنن مهم في قيام الحضارات ونهوض الأمم، وهذا ما سيكون عليه الحديث القادم- إن شاء الله-.

١- ينظر: التراث والحداثة ص ١٦- ١٧.

٢- ينظر: السلام والتسامح ص ٥٦.

المبحث الثالث

دور السنن[١] الإلهية في قيام الحضارات

إن الإنسان لن يحقق مشروع الاستخلاف في الأرض كما ارتضاه الله، ولن يبني الحضارة والعمران المنشود إلا بمراعاة السنن الإلهية، فهي القانون الوجودي والكوني والتاريخي الذي يحكم عمران الإنسان، واستخلافه، ومن غير هذا الوعي بالسنن والتسخير الفعال لها لن يستطيع تحويل الفكر إلى عمل، والصور الذهنية إلى نشاطات وسلوكيات مفيدة في عالم الاستخلاف[٢].

وقبل أكثر من مائة عام دعا الإمام (محمد عبده) علماء المسلمين إلى أن يستخرجوا من القرآن ما أسماه "علم السنن الإلهية "، أو" علم الاجتماع الديني"، فالسنن هي الحاكمة لحركة الكون وسير الاجتماع الإنساني، وذلك لاكتشاف قوانين التقدم والنهوض وأسباب التخلف والانحطاط [٣].

فيعتبر بذلك الإمام (محمد عبده) هو أول داعية لتأسيس علم السنن الإلهية أو علم الاجتماع الإسلامي أو السياسة الدينية[٤].

وتوالت فيما بعد حركة المجددين والمصلحين الذين اعتبروا تلك السنن حجر الزاوية في المشروع الاصلاحي.

ومن هؤلاء (فتح الله كولن) فالناظر لفكر (كولن) يدرك أن من الأمور الرئيسة في فكره هي كثرة حديثه عن أهمية السنن الإلهية أو الشريعة الفطرية

١- السنن: هي (مجموعة القوانين التي يسير وفقها الوجود كله وتتحرك بمقتضاها الحياة وتحكم جزئياتها ومفرداتها فلا يشذ عنها مخلوق وما في الكون ذرة أو حركة إلا لها قانون وسنة فكل الكائنات الحية من إنسان وحيوان ونبات ...إلا ولها قانون وما من كوكب أو نجم إلا وله قانون لا إرادي أو ذاتي يسير وفقه وما من حركة نفسية أو اجتماعية أو نقلة حضارية إلا ولها قانون أيضا يتجلي في العوامل المؤدية إليها". عبد العزيز برغوث: مقال: ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية في ضوء المقاربة الحضارية ص ١٤ مجلة إسلامية المعرفة العدد(٤٩)صيف ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٢- ينظر: عبد العزيز برغوث: ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية في ضوء المقاربة الحضارية ص ١٧.

٣- ينظر: مقدمة د/ محمد عمارة ص ٥ لكتاب مفهوم السنن الإلهية للدكتور رمضان خميس زكي، مكتبة الشروق الدولية، ط : الأولى ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٤- ينظر: عبد العزيز برغوث: ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية ص ١٨.

كما يسميها.

فكثيرا ما تتردد في كتاباته : العلية، أو السببية، أو قانون تناسب العلية - كما يسميه- فما من حدث إلا وله محدث، وما من نتيجة إلا ولها سبب أو علة، وما من تطلعات مستقبلية إلا يلزمها عمل وبذل للأسباب في الوقت الراهن، وتلك السنن سواء الكونية، أو الدينية، أو التاريخية حتمية في سير الأفراد والحضارات.

وسيكون الحديث عن السنن الإلهية في اتجاهين على النحو التالي:

١- السنن في العالم المادي:

يرى (كولن) أن العلية جارية في العالم المادي في العلوم، وتسيير حركة الكون العلوي والسفلي، ويرى أن نجاح الغرب كان بسبب مراعاة أسباب التقدم من العلم والعمل.

ويرى أننا إن أردنا التقدم فلنسلك سبيل الأسباب كما سلكوا، ولكن الذي يفصلنا عن الغرب أننا نعتقد أن الأسباب، والعلل ما هي إلا وسائل صغيرة ولا تجري إلا بأمر الله تعالى.

والحديث عن السنن له وجهان:

الأول: ارتباط السنة بالخالق بمعنى أنها من خلق الله، ومشيئته، وتدبيره، فالنظام باد في ظواهر الكون والتاريخ بصورة دقيقة منسجمة.

والثاني: الإدراك البشري فندرك أن هذه السنن سخرت لصالح الإنسان ليفقهها ويوظفها في الارتقاء المعرفي، والروحي، والعمراني، والاستخلاف، والنفاذ إلى أقطار السموات والأرض مهتديا بتوجيهات الوحي، فيتجنب فوضى تسلط قوى الطبيعة عليه، وفوضى تجاوزه لقدراته وحدوده، ومن هنا تتكامل هدايات الوحي مع سلطان العقل[١].

وبناء على هذا يؤكد (كولن) أن حكم الأسباب لا يجرى على الله تعالى، ولا يقيد مشيئته، ولكن في المقابل مخالفة الشريعة الفطرية المعروفة بسنة الله مستوجبة للعقاب يقول (كولن): "إن حكم الأسباب، - أو أي شيء آخر- لا يجري على الله تعالى، ولا يقيد إرادته ومشيئته الإلهية، الله يحكم كل شيء، الله هو الحاكم الأحد

١- ينظر: ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية في ضوء المقاربة الحضارية ص ١٩- ٢٠.

المطلق، ومراعاة الأسباب وعد العلل وسائل صغيرة ليس إلا بأمر الله تعالى، فنؤمن بهذا الاعتبار بأن الإنسان سيعاقب إن خالف الشريعة الفطرية المعروفة بسنة الله عقابا معظمه في الدنيا وقسم منه في الآخرة"[١]؛ لأنه سيخسر أهم أسباب العلم والتقدم، وتعمير الأرض، وتسخير الكون لسعادته الدنيوية، يقول كولن: "وانتظار النتيجة بسلسلة من الخوارق في عالم لا يأبه بالمعتاد هو قناع للأحلام والمسكنة ألا ينذرنا القرآن الكريم مرارا وتكراراً ﴿ **فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[٢]، وإن ما يلقاه الإنسان من خير أو شر هو بعمله، وفعله، وتصرفه ألا يعلمنا أعظم أنموذج لموازنة القلب والعقل والوجدان، فخر الإنسانية وسيد الأنام (صلى الله عليه وسلم)بالارتباط الوثيق والتناسب الخفي بين السبب والنتيجة، والعلة والمعلول، والسعي والثمرة حينما يذكرنا قائلا: "لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم"[٣].

ويقول أيضا: "فلا يصح في روح الدين، وقواعد الشريعة الفطرية إهمال الأسباب ثم توقع حصول النتائج المتعلقة بالأسباب، أعني من جهة العلية بداهة"[٤].

إذن يخلص (كولن) إلى وجوب مراعاة الأسباب في العالم المادي إذا أردنا أن ننتقل من الفوضى إلى النظام فيقول: "فلنقر أولا بمراعاة الأسباب؛ لأننا نعيش في عالم محاط بها، نحن نعيش في عالم الأسباب، فإهمالها محض جبرية وضلالة بالحاصل وليست مراعاة الأسباب وحدها، بل العناية بالمناسبة بين السبب والنتيجة (قاعدة تناسب العلية)من أهم لوازم التكليف"[٥].

١- ينظر: كولن: ونحن نقيم صرح الروح ص ٢١.

٢- سورة التوبة الآية: ٨٢.

٣- الحديث رواه الترمذي في سننه وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ الحُسَيْنِ بْنِ قَيْسٍ، وَحُسَيْنُ بْنُ قَيْسٍ يُضَعَّفُ فِي الحَدِيثِ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ. سنن الترمذي، باب في القيامة، كتاب أبواب صفة القيامة والرقائق والورع ج ٤ ص ١٩٠رقم ٢٤١٦ .

٤- ونحن نقيم صرح الروح ص ١١٧.

٥- السابق ص ٩٨.

٢- العلية في أحداث التاريخ:

ويرى (كولن) أيضا أن العلية كما تجري في العالم المادي أيضا تجري في الحياة الاجتماعية في أحداث التاريخ وحياة البشر، وإن لم يكن بنفس النسبة التي في العالم الطبيعي فيقول: "وما نشهده دائما في صدر الوجود من معينية determinat بقدر معلوم وشروط متعلقة بظروفها جارية في أحداث التاريخ أيضا. إن البشر والحوادث السالفة في الماضي والتي صارت تاريخا هي اليوم شبيهة بالحيوانات المنوية المودعة في حضائن اللقاح، أو بالبيوض في بيوت التفقيس أو تحت عقدة الحياة وتعد مصدرا لإضفاء الصورة على الحاضر، وإن الأسباب المنثورة اليوم - من جهة العلية- كالبذور على سفوح التاريخ هي عوامل تعين نتائج الغد "[١].

ويرفض القول بأن التاريخ يعيد نفسه، فيقول: "إن حوادث التاريخ لا تعيد نفسها مهما تشابهت فيما بينها، فاللازم أن نعتبر بعبرها لا أن نتلقى دروسا منها"[٢]، وفي المقابل يتبنى القول بأن التاريخ يشبه نفسه، فإذا بذلنا أسباب النهضة كالتي بذلت إبان نهضتنا السالفة أمكننا أن نحصد مثلما حصدوا فما بذرناه بالأمس من بذور الأسباب هو ما نحصده اليوم، وما نزرعه اليوم هو ما سنحصده في الغد، فما نشهده اليوم في عالمنا من فوضى وتخلف هو وليد ما عملته أيدينا في المرحلة التي سبقتها وضرب (كولن) أمثلة من التاريخ وأحوال الأمم مثل:

ما حدث في الأحقاف كان جزاء لما فعلته عاد، وما حدث في سدوم وعامورية بسبب فسادهم القديم، وما حدث على يد التتار، وما نتجرعه اليوم على يد الشيوعية والاشتراكية وغيرها، وانتزاع لينين، وستالين، وهتلر، وموسوليني من جسد الإنسانية كل ذلك بسبب طغيانهم، وكذلك حال الحضارة الإسلامية الذي نشرت أشرعتها شرقا وغرب بسبب ما قدمته من عدالة، وهكذا كل حاضر مرهون بما سجل في ماضيه، وكل مستقبل بما سيقدم في حاضره على مبدأ العلية "وقد تنقضي سنوات أو عصور بين السبب والنتيجة، ولكن حين حلول الوقت المرهون والإحساس بالأثر تغدو النتيجة عين الجنة للأبرياء، وعين الجحيم للعصاة والظالمين...ومع أن الأسباب القابعة خلف

١- كولن: ونحن نقيم صرح الروح ص ١١٧.

٢- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ٢٤.

حوادث التاريخ كثيرة لا تحصى لكن القدير المطلق جعل الأسباب ستارا لمشيئته وقضائه، وأحاط دنيانا بها فهذا لطف إلهي ذو حكمة"[١].

أهمية التاريخ:

عند ذكر مصطلح التاريخ في إطار الحديث عن الحضارة يتسارع إلى الذهن ثلاثة أمور تتقاسم خط الحضارة:

الزمن، دورة التاريخ، الماضي أو التراث.

الأول: الزمن:

ترتبط الحضارة بالتاريخ، والتاريخ هو الزمن والثمرات الحضارية التي نؤملها تحتاج إلى زمن لكي تخرج، أي أنها جزء من التاريخ أو نتاج جانبي للتاريخ[٢].

وسيكون هناك حديث مفصل عن الزمن كأحد عناصر البناء الحضاري لاحقا.

الثاني: دورة التاريخ:

أي النظر إلى دورة التاريخ باعتبارها سنة إلهية؛ استنادا إلى قوله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾[٣].

هذه قاعدة كقاعدة: ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ** ﴾[٤] إن هذه سنة من تلك السنن...والمداولة في الواقع تكون مبنية على أعمال الناس فلا تكون الدولة لفريق دون آخر جزافا، وإنما تكون لمن عرف أسبابها ورعاها حق رعايتها"[٥].

فالتاريخ يشهد أن الأمم والحضارات كذلك، دول ما بين صعود وهبوط "فالذين ظهروا على مسرح التاريخ قد اندثروا واحدا تلو الآخر، ثم تبعهم الذين جاؤوا من بعدهم في مداولة تاريخية لا تتوقف ...إن التداول التاريخي ما فتئ يعيد نفسه في تشابه يقترب من التماثل فظهر التصاعد إلى الذرى هنا وهناك، وفي هذا العصر وذاك لكن لم ينحصر السموق ولا الهبوط أبدا في قارة بذاتها

١- ونحن نقيم صرح الروح ص ١١٩.

٢- ينظر: د/ حسين مؤنس: الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها.

٣- سورة آل عمران الآية: ١٤٠.

٤- سورة آل عمران الآية: ١٣٧.

٥- مقدمة الدكتور محمد عمارة لكتاب السنن الربانية ص ٩ .

وفي عصر بعينه"[١].

فينبغي أن نقف وندرك أين نحن من دورة التاريخ هل في دور التقدم أو السقوط أي أن نبصر موقع أقدامنا أولا، وندرك حجم مشاكلنا والتحديات التي تواجهنا حتى يكون البناء على بصيرة[٢].

وهي نفس الفكرة التي أبداها (مالك بن نبي) فتحدث عن الحاضر والتاريخ في مستهل كتابه شروط النهضة مبينا أن جميع الحضارات حلقات في سلسلة واحدة تؤلف الملحمة الإنسانية وللتاريخ دورة وتسلسل، فتارة يسجل نهوض أمة وتارة غروبها، وإذا أردنا النهوض فينبغي أن نعرف مكاننا في دورة التاريخ، ونبدأ خطواتنا من النقطة التي تقف فيها أمتنا لا الاستيراد من الشرق والغرب، فذلك مضيعة للجهد ومضاعفة للداء[٣].

ودائما ما يذكر (كولن) في كتاباته بماضي العالم الاسلامي يوم سادت حضارته العالم كله[٤]، وخاصة فترة الخلافة العثمانية فيوليها اهتماما كبيرا وسردا لكثير من تاريخها وذلك مبرر لكونه منتسبا إلى دار الخلافة - كما فعل (مالك بن نبي) في شروط النهضة بحديثه عن الجزائر[٥] فالمفكر ابن بيئته كما يقال-، ثم كثيرا ما يتحدث عما آل إليه العالم الاسلامي من فوضى وتخلف عن ركب الحضارة والعلم والتكنولوجيا يقول كولن: "إننا نعاني اليوم من مآس حقيقية، وهشاشة اجتماعية واقتصادية، ناهيك عن الفوضى التي لا تسأم بؤرُ الفساد الداخليةُ والخارجية من إثارتها واستفزازها. لكنني على يقين تام بأننا قادرون على تجاوزها. إذ إن سنة الله اقتضت ألا تستمر وتيرة السقوط والتراجع إلى الأبد.. وألا تسير عجلة الأحداث والوقائع في اتجاه واحد قط.. وألا يمتد سلطان الليالي إلى أبد الآباد. فكم من مَرة دار الزمان دورته، فتألقت خرائب الديار بلآلئ العمران من جديد، وعادت يد الأحداث - التي تسير في خط دائري- توزع أزهار البسمات على البؤساء الذين أبكتهم فيما مضى، وانهزمت ظلمات الليل أمام ضياء النهار مدحورة مقهورة، ودوّت جنباتُ

١- ونحن نبني حضارتنا ص ٤.

٢- كولن: مقال الوعي الجمعي.

٣- ينظر: مالك بن نبي: شروط النهضة ص ٤٨،٤٧،٢٠.

٤- ينظر: ونحن نقيم صرح الروح ص ٢٩- ٣٠.

٥- شروط النهضة ص ٢٠- ٢١.

الكون مهللة بضحكات النور الساطعة"[١].

إذن مع ما آل إليه الواقع الإسلامي ما زالت لديه آمال عريضة بعودة تلك الحضارة - إذا ما راعينا أسباب الصعود- وهي من السنن الإلهية- وما فتئ يبشر بولادتها من جديد وبعودة الفرسان[٢] الذين يشيدون مجدها هؤلاء من سماهم وارثو الأرض وفرسان البعث: " أطباء الروح والمعنى الذين يقودون القلب والروح إلى مستوى الحياة أطباء منفتحة قلوبهم على الروح والمعنى، منطلقون في ساحات العلم، والذكاء، والعرفان، والواردات، والفيوضات كلها من الفيزياء إلى الميتافيزيقا، ومن الرياضيات إلى الأخلاق، ومن الفنون الجميلة إلى التصوف، ومن الكيمياء إلى الروحانية، ومن الفضائيات إلى الأنفسية، ومن الحقوق إلى الفقه، ومن السياسة إلى السير والسلوك"[٣].

إذن من أحداث التاريخ ودورته يتراءى لكولن أن الأمل معقود في صعود العالم الإسلامي من جديد، وذلك يتطلب جهودا عديدة وانبعاثا وتجديدا، وليس مجرد ترقيع أو استيراد واقتباس من نظم الغرب فذلك لن يجدي نفعا.

الأمر الثالث: الماضي أو التراث:

أي النظر إلى الماضي -إلى التراث- من أجل البناء عليه، فلن تنهض أمة ببتر تراثها والبناء على تراث غيرها، وتلك نظرة كثير من المفكرين أمثال: (محمد إقبال)[٤]، و(مالك بن نبي)، و(محمد فتح الله كولن) وآخرين.

فالتاريخ إذن محور أساسي في أي حديث عن النهضة فالنهضة ليست

١- كولن: مقال الوعي الجمعي، موقع فتح الله كولن بتاريخ: ١٧ فبراير ٢٠١٤م ترجمة: الأستاذ نوزاد صواش.

٢- ونحن نقيم صرح الروح ص ٣٢-٣٣ وينظر: مقال لعلنا نبعث من جديد مجلة حراء السنة التاسعة العدد(٤٠)٢٠١٤م.

٣- ونحن نقيم صرح الروح ص ٢٧.

٤- محمد إقبال: (١٨٧٧- ١٩٣٨م): فيلسوف وأديب باكستاني ولد في (سيالكوت) حصل على الماجستير في الفلسفة من كلية لاهور، وعين أستاذ بها ،والدكتوراه من جامعة ميونخ ودرس الفلسفة في كامبردج وحاضر بلندن في موضوعات إسلامية عدة، وناصر قضايا العالم الإسلامي، وينظم الشعر بالفارسية وله دواوين شعر منها: (رسالة الخلود- أقوام شرق). من مؤلفاته: الإيمان والاستغناء عن المادة- رسالة المشرق. ينظر: الأستاذ الدكتور: محمد رجب البيومي: موسوعة أعلام الفكر الإسلامي ص ٩١٠.

معجزة تهبط من السماء، ولكنها تراكمات تاريخ وجهد ممتد في زمان محدد، يستفيد من الماضي ويدرك الواقع ليرنو إلى المستقبل، بل ذهب (محمد إقبال) إلى أبعد من ذلك وعد التاريخ أحد المصادر الثلاثة للعلم والمعرفة مع الطبيعة ورياضة الباطن[١].

ولذا يقرر (كولن) أن أي نهوض وأي تجديد تبدأ نقطة إنطلاقه من النظر إلى التاريخ، فينبغي أن نقف وندرك أين نحن من دورة التاريخ هل في دور التقدم أو السقوط، ثم عين تنظر إلى الماضي وتراثه ليكون أساسا وجذورا للبناء الجديد، يقول كولن: "ينبغي على الأمة جميعا، وبالأخص على النخب والمثقفين منها أن يؤسسوا "سلاما" بينهم وبين تاريخهم، إن كل حركة تجديدية وعملية تغييرية تم وضعها من أجل إنشاء المستقبل ينبغي أن يتم التخطيط لها بناء على مقوماتنا التاريخية وجذورنا الروحية"[٢].

إذن لا بناء ولا حضارة إلا بمراعاة السنن الإلهية المادية متمثلة في العلوم والعمل، والتاريخية بالنظر إلى حال أسلافنا؛ لأن التاريخ يشبه نفسه، فإذا قدمنا كما قدموا، وبذلنا كما بذلوا أمكننا التحضر والتقدم كما كانوا.

والتاريخ يتصل بالماضي والتراث، فينبغي البدء والتأسيس عليه لا نبذه واحتقاره، فلن يكون هناك حاضر ومستقبل على غير أساس وتراث.

ويتصل بالزمن فكل حضارة يلزمها وقت وحسن استغلال له؛ حتى تنمو وتزدهر من رحم المعاناة والتخلف.

ومن ثم سيكون محور الحديث القادم- إن شاء الله- كيفية بناء الحضارة أو معادلة الحضارة في فكر (كولن)، استعراض لعناصرها وأركانها الثلاثة: الإنسان- الأرض أو الدولة- الزمن.

١- ينظر: محمد إقبال: تجديد التفكير الديني ص ١٥١.

٢- كولن: مقال الوعي الجمعي موقع فتح الله كولن على شبكة الأنترنت بتاريخ ١٧ فبراير ٢٠١٤م .

المبحث الرابع
معادلة الحضارة عند فتح الله كولن

يصوغ (كولن) معادلة للحضارة شبيهة بتلك المعادلة التي وضعها (مالك بن نبي) فيقول كولن: "إن مجموع النتائج والمعطيات لحضارة معينة هي تلك الحضارة عينها، وعلينا ألا ننسى أن أهم أركان ظاهرة الحضارة هو الإنسان المؤهل، وأقوى أسسها الحيوية هو دولة حرة ومستقلة، وأثمن رؤوس أموالها هو الزمن "وقد استغلت الدول المتقدمة هذه المقومات إضافة إلى أنها لم تهمل تقسيم الوظائف، واحترام التخصصات والاهتمام بالإنسان، ومكافأة النجاحات، واستثمار الإمكانات الأولية التي وهبها الله إياها[١].

إذن فالمعادلة الحضارية عند كولن = (الإنسان +دولة حرة مستقلة+ الزمن).

وتلك النظرة هي نفس نظرة (مالك بن نبي) إذ يقول: "إن المقياس العام في عملية الحضارة هو أن الحضارة هي التي تلد منتجاتها، وسيكون من السخف والسخرية حينما نعكس هذه القاعدة حين نريد أن نصنع حضارة من منتجاتها"[٢].

اذن بناء الحضارة يكون من الداخل لا أن نعلو فوق البناء، ونقفز فوق المنجزات، ونستورد حضارة جاهزة، وهي نفس رؤية (كولن).

أما معادلة الحضارة عند (مالك بن نبي) فهي: (إنسان+ تراب+ وقت)=حضارة، ويجعل للعناصر الثلاثة عاملا أساسيا يؤثر في مزج العناصر الثلاثة ببعض؛ -لأنه قد توجد العناصر الثلاثة في أمة ما ولا تنتج حضارة لغياب هذا العامل-، وهذا العامل سماه(مركب الحضارة)، وهو عند (مالك) الفكرة الدينية التي رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ[٣].

وأيضا (كولن) لن يبعد عن نفس فكر (ابن نبي) هنا أيضا فإن كان اتفقا أو تشابها في عناصر الحضارة، فقد اتفقا -أيضا-على ضرورة وجود مركب

١- ينظر: ونحن نبني حضارتنا ص ١٩.

٢- مالك بن نبي: شروط النهضة ص ٤٢.

٣- ينظر: مالك بن نبي: شروط النهضة ص ٤٤- ٤٦ .

الحضارة كما سماه (مالك بن نبي) يقول (كولن): "إن أساس حياتنا المعنوية قائم على الفكر الديني والتصورات الدينية، ولقد حافظنا على وجودنا حتى اليوم بهذا الأساس وكانت وثباتنا أيضا منطلقة منه، فإن جردنا أنفسنا منه فسوف نجد أنفسنا متخلفين ألف سنة إلى الوراء"[١].

وأشار (كولن) إلى أن كل الأمم الناهضة بنت حضارتها بالمثابرة في التقويم والتنظيم والتعبئة الروحية، فأكسبت الأرض والزمان والإنسان قيما لا تقدر بثمن، ولكن الإسلام يتميز عن جميع تلك النظم القديمة والحديثة "فإنه من المسلم به أن حركات التجديد والتحديث الواقعة في جميع النظم غير الإسلامية أدت إلى إبعاد الدين عن مركز الحركة، أما في الإسلام فعلى خلاف ذلك فقد تولى الدين رسالة مهمة في مركز الحركة التجديدية، وتحولت كل حملة إلى تماسك ونضوج واعد بالمستقبل بتغذيتها المستمرة من معانيه وروحه"[٢].

وليس أدل على ذلك من ثورة النهضة والتنوير الذي قادتها أوروبا المسيحية فكانت ثورة على الدين والكنيسة وانتصارا للعلم.

وأما في الاسلام فلا تعارض عندنا بين العلم والدين- وتلك نقطة محورية في فكر كولن كما سنوضح- فالدين يدعو إلى العلم ويحث عليه ويدعو إلى تجديد الذات .

ذكرنا سابقا أن المعادلة الحضارية عند (كولن) تتمثل في ثلاثة أمور:

الإنسان+ الزمن+ دولة حرة مستقلة.

وسنلقى الضوء على كل عنصر منها ببعض التفصيل:

العنصر الأول: الإنسان أو وارث الأرض:

وقد توسع (كولن) في الحديث عن الإنسان بصفته حامل هذه الحضارة وباني أركانها، وسمى هذ الإنسان وارث الأرض تارة، وجند الإدراك تارة، وأطباء الروح، ومهندسو الروح، والإنسان الجديد، والانسان المثالي إلى غير ذلك من المسميات التي توحي بثقته الكبيرة في هذا الوارث الذي يحمل على عاتقه مهمة الإنقاذ والبناء الحضاري للعالم الإسلامي الذي يرقد في ثبات عميق،

١- ونحن نقيم صرح الروح ص ٢٤.

٢- ونحن نبني حضارتنا ص ٢٠.

والدنيا تدور وتتقدم من حوله، ولكنه -أي كولن- لديه أمل عريض في إحداث هذه النهضة على يد هؤلاء الوارثون الجدد.

والإنسان المثالي كان هدف كل الفلسفات القديمة والحديثة، وقد عقدت الدكتورة (جيل كارول) مقارنة بين فكر كبار الفلاسفة وفكر (كولن) - باعتبار أن فكره لا يقل عن فكرهم- ولاحظت أن الإنسان المثالي كان مطلبا لكل الفلاسفة الذين يبحثون عن نهضة وصلاح مجتمعهم ومنهم (أفلاطون) و(كونفوشيوس) وأيضا (كولن) واشترك الجميع في وجوب تحلي الإنسان المثالي بالفضيلة العقلية، والأخلاقية، ولكن (كولن) انطلق من الإسلام فهو مصدر تلك الفضائل، وافترق عنهم في أنه لا يبغي ذلك المثالي الفاضل حاكما أو قائدا كما فعل (كونفشيوس) عند حديثه عن (الأفراد المتفوقين)، أو (أفلاطون) عندما يحدثنا عن (الملوك الفلاسفة)، بل هم في رأي كولن(وارثو الأرض)، وهم ناس عاديون - ليسوا سياسيين أو حكاما- امتازوا عن غيرهم بتربية وصفات أهلتهم لمهمة الاصلاح، ثم عاد الفلاسفة الثلاثة واتفقوا على الوسيلة أو الطريق الذي نخرج به هؤلاء الفضلاء ألا وهو التعليم[١].

ولنزد رأي (كولن) وضوحا حول (وارثو الأرض):

يطلق (كولن) هذا المصطلح على الجيل المنوط به حمل رسالة التجديد والانبعاث، وقد استقى هذا المصطلح الذي أصبح نموذجا ونمطا خاصا به ومنهجا أخذه من قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾[٢]، ولا ينبغي - وفقا لكولن- أن نتردد أو نشكك في مجيء هذا اليوم، فهو وعد مؤكد، ولن تنحصر هذه الوراثة في الأرض فقط، بل سيحكم هذا الوارث عمق الفضاء والسماء أيضا، فهي حاكمية في الكون بالنيابة والخلافة؛ ولذا فحيازة خصال التمثيل التي يريدها صاحب السموات والأرض لازمة وضرورية.

"لقد وعد الله بإرث الأرض للصالحين وهم ممثلو الروحية المحمدية، والأخلاق القرآنية، المنشغلون بالاتحاد والاجتماع، المدركون لأحوال عصرهم،

١- ينظر: د/ جيل كارول: محاورات حضارية ص ٦٩- ١٠١ .

٢- سورة الأنبياء الآية:١٠٥.

المسلحون بالعلم والفن، المقيمون لميزان الدنيا والعقبى...إنه سنة الله ﴿ **فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً** ﴾ [١]سنة ثابتة وشريعة فطرية لن تتغير"[٢].

و(كولن) يولي أهمية كبيرة للسنن والقوانين كما سبق أن أشرت-، أو ما يسميه بالشريعة الفطرية، فالبداية تكون بمراعاة الأسباب؛ لأننا نعيش في عالم محاط بها، فإهمالها محض جبرية، وأيضا العناية بالمناسبة بين السبب والنتيجة (قاعدة تناسب العلة).

وليس هذا تضخيما من شأن الأسباب، بل هو قيام الإنسان بوظيفته وواجبه كما أمره الله، فقد خلق الله الإرادة الجزئية الموكلة إلى الإنسان، وهي أمر اعتباري ووسيلة للإثم أو الثواب ومناط للتكليف، ولولاها لتوقفت الحياة [٣].

ويؤكد (كولن) مرات ومرات على صفات ورثة الأرض، فيقول: "فيلزم لوراثة الأرض السعي الجاد في الصالحات ابتداء، بمعنى معايشة الدين كما هو في القرآن والسنة وجعل الإسلام إحياء للحياة، ثم احتواء علوم العصر وفنونه، ولنتذكر دائما أن المجتمعات التي لا تلتفت إلى الشريعة الفطرية المتجلية من القدرة والإرادة، وإلى مجموعة القوانين الإلهية الظاهرة من صفة الكلام في الكائنات، وإن الأمم التي تتعرض إلى التبدل داخليا في حياتها المعنوية مصيرها إلى الخذلان غدا...﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ** ﴾[٤] التآكل الروحي والمعنوي في عالم الداخل الذاتي للمجتمع يوصل إلى انقطاع الأنعم الإلهية عنه، هذه الآية الكريمة تذكرنا بقاعدة مهمة في الظهور والخذلان، أو العز والذل، وتحدد هذا الفراغ الهائل في مسلمي العصر الحاضر"[٥].

وهذا الفراغ أو التآكل الذي أصاب المسلمين في حياتهم القلبية والروحية

١- سورة فاطر الآية: ٤٣.

٢- ونحن نقيم صرح الروح ص ١٤.

٣- ينظر: نحن نقيم صرح الروح ص ٢١، ٩٨.

٤- سورة الرعد:الآية.١١.

٥- ونحن نقيم صرح الروح ص ١٤.

وتخلفهم بمراحل طويلة عن العصر في بنائهم الداخلي، هذا التخلف أو التآكل إما مرجعه إلى عوامل خارجية متتالية منذ قرن أو قرنين، أو بسبب جهلنا، وضعفنا، وعجزنا، وعيشنا تحت وصاية الظالمين، مع أن القرآن يحرم علينا الحياة تحت وطأة الوصاية، ويأمرنا بالاستعداد الكامل والتأهب والحذر ضد أعداء ديننا، ووطننا، وفكرنا فيقول:﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾[١].

ويرى (كولن) أننا ارتكبنا خطأ عظيما ساعة ضحينا بالدين في سبيل الدنيا، ورفضنا ميراثا مباركا من ألف عام، واستبدلنا به مبدأ مصطنعا لتركيب دولة عظيمة على قاعدة هشة، وألقينا أنفسنا في أحضان أعداء الألف سنة الذين دسوا أشد الأفكار إلحادا في جسم الوطن[٢].

فالحال أن العالم الإسلامي تعرض لظلم خصومه وغدرهم، وعدم انصافهم، وكذا تعرض لضعف وتبعية المنتسبين إليه، وهذه الحال تدعونا إلى إحياء الفكر الإسلامي والتصور الإسلامي ويلزم لذلك:

أولا: "الاستشعار فالتعقل بالكائنات، والإنسان، والحياة بمعلومات سليمة مناسبة لنفس الأمر"[٣].

وثانيا: "أن يقود العقل والمحاكمة[٤] إلى تفهم المناسبات بكلية وجمعية في عموم الأشياء، وعموم الوقائع المعروضة لمطالعتنا"[٥].

ومراد (كولن) من هذا القول: أن نقترب من الوجود والحوادث بسياق إسلامي، بالتعقل والنظر فيما بين الكائنات والأشياء من روابط ، والإلمام بالعلوم الطبيعية حولها، وأن نفهم هذه المناسبات، وننظر إليها في إطار كلي شمولي لكي

١- سورة الأنفال الآية :٦٠.

٢- ينظر: ونحن نقيم صرح الروح ص ١٥.

٣- ونحن نقيم صرح الروح ص ١٩.

٤- المحاكمة: كلمة كثيرة الذكر في كلام كولن وتعني كما يقول عوني عمر أوغلو (المترجم):المحاكمة العقلية المنطقية بتمحيص المسألة وفحص الأدلة وإجراء القياس وإعمال الاستنباط لاستحصال النتيجة ينظر: هامش ص ١٨ ونحن نقيم صرح الروح.

٥- ونحن نقيم صرح الروح ص ١٩.

لا يضاد جزء منها جزء آخر أو يناقضه لا أن ننبذ التخصص أو التفرع في علم معين، ولكن بعد التخصص عليه أن يعتني بمعنى الكل ومحتواه[١].

ويشرح (كولن) تلك النظرة الكلية بأن "الحاجة ماسة في أيامنا إلى عقل موضوعي يتصور الأمس واليوم معا، قادر على التمعن في الكائنات، والإنسان، والحياة دفعة واحدة، موهوب في المقايسة والمقارنة، منفتح على بعض أسباب الوجود وعلله، محيط بظهور الأمم واضمحلالها "[٢].

فأهم خصائص ومقومات التصور الإسلامي هو التوازن بين مصادر المعرفة (الوحي والعقل والطبيعة) ، فإن الرؤية الإسلامية القويمة التي تكامل فيها الوحى مع العقل والكون هي التي مكنت السلف الأول من ناصية الإبداع، وفتحت أمام العقل المسلم أبواب التنقيب في سنن الحياة والكائنات، وفتحت آفاقا جديدة بنت عليها الحضارة الحديثة منهجها العلمي التجريبي[٣].

❖ صفات ورثة الأرض:

أما صفات وارثو الأرض فهي متناثرة في فكر (كولن) ومبثوثة في كتبه المتعددة ومقالاته التي تعز عن الحصر، وقد استعرضها تفصيلا في أحد المقالات، وحصرها في ثمانية صفات على النحو التالي:

الوصف الأول: الإيمان الكامل:

فيرى (كولن) أن الكفر نظام منغلق وخانق يظن الوجود فوضى، وأنه تطور في مجاهيل الصدفة وانزلق إلى غاية رهيبة، أما صاحب الإيمان بوجود الله وتدبيره لكل شيء، فيعلم منشأه، وغاياته في الحياة، ومسؤولياته تجاه الأرض فيسعى بلا تشاؤم ولا سوداوية لتحدي كل القوى المادية متطلعا إلى النجاح والبناء، ويحيل (كولن) القراء إلى كليات رسائل النور في هذا الصدد[٤].

وفي هذا ما يشير إلى أن (كولن) يتفق مع (النورسي) في قضيته الأساسية التي يدور عليها فكره في رسائل النور وهي: قضية إنقاذ الإيمان أو إيقاظ

١- ينظر: ونحن نقيم صرح الروح ص ١٩.

٢- ونحن نقيم صرح الروح ص ٢٠.

٣- ينظر: أ.د/ عبد الحميد أبو سليمان: قضية المنهجية في الفكر الإسلامي ص ٢١-٢٢ المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٤- ينظر: محمد فتح الله كولن: ونحن نقيم صرح الروح ص ٣٤.

الإيمان وهي قضية كل المصلحين في الوقت ذاته.

الوصف الثاني: العشق:

يقصد به (كولن) حب البشر والوجود كله، وربطه بالله الذي هو مصدر الوجود، وجعل العمل بكلامه هو غايات الخلق كلهم، والكتاب والسنة هما فوارة العشق والشوق، وعليه فإنه يجب العمل وفقهما وعدم هجرهما .

يقول كولن: " لقد تعرف الغرب على العشق في أبعاد تلون المادة من خلف الفلاسفة وأجواء الدخان والضباب الفلسفية، فذاق طعمه، وعاش الشبهات والتذبذبات على طول الطريق، أما نحن فننظر إلى الوجود، ومصدر الوجود بعدسة الكتاب والسنة ونحقق حب الخالق الذي نذكي جذوته ولهيبه في قلوبنا، والعشق والحمى والعلائق التي نرتبط بها مع الوجود كله من أجله هو باللجوء إلى رحاب موازنة المصدرين مع الانفتاح على الميتافيزيقا"[١].

وذلك لأن منشأ الإنسان وموقعه في الكائنات وغايته في هذين المصدرين منسجم انسجاما عجيبا مع فكر الإنسان، وشعوره، وتوقعاته كما يرى (كولن).

و(كولن) يحاول من جديد أن يجمع بين الأصالة والمعاصرة فينطلق من الكتاب والسنة إلى الوجود أو الميتافيزيقا، وله تعبير رائع في تصوير هذا الربط، فيقول: "والمفيد أن يلجأ اللاجئون بتعمق وإخلاص الإمام (الغزالي)، والإمام الرباني (السرهندي)، والشاه (ولي الله الدهلوي)[٢]، و(بديع الزمان

١- كولن: ونحن نقيم صرح الروح ص .٣٦.

٢- شاه وَلِيُّ الله (١١١٠ - ١١٧٦ هـ = ١٦٩٩ - ١٧٦٢ م): أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي، أبو عبد العزيز، الملقب شاه وَلِيُّ الله: فقيه حنفي من المحدّثين. من أهل دهلي بالهند. زار الحجاز سنة ١١٤٣ - ١١٤٥ هـ. أحيا الله به وبأولاده وأولاد بنته وتلاميذهم الحديث والسنة بالهند بعد مواتهما، وعلى كتبه وأسانيده المدار في تلك الديار، وقيل في وفاته: سنة ١١٧٩ هـ. من كتبه (الفوز الكبير في أصول التفسير) ألفه بالفارسية، وترجم بعد وفاته إلى العربية والأرديّة ونشر بهما، و (فتح الخبير بما لابد من حفظه في علم التفسير) و (حجة الله البالغة) مجلدان، و (إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء) و (الإرشاد إلى مهمات الأسناد) و (الإنصاف في أسباب الخلاف) و (عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد) و (شرح تراجم أبواب البخاري) و (تأويل الأحاديث) و (الاعتقاد الصحيح) و (البدور البازغة) في التصوف والحكمة، و (القول الجميل في بيان سواء السبيل) تصوف، وترجم القرآن إلى الفارسية على شاكلة النظم العربيّ، وسمى كتابه (فتح الرحمن في ترجمة القرآن). ينظر: الزركلي: الأعلام ص ١/ ١٤٩ .

النورسي)، وأن يقتربوا بحماس مولانا (جلال الدين الرومي)، والشيخ (غالب)[١]، و(محمد عاكف)، وأن يتوجهوا بالحركية ل(خالد)، و(عقبة)، و(صلاح الدين)، و(محمد الفاتح)، و(ياووز سليم)...، وخطوتنا الثانية: هي أن نمزج عشقهم وشوقهم الطافح غير المقيد بالأزمنة والأمكنة كلها بأصول عصرنا، وأساليبه، ورسائله في بيدر واحد؛ لنصل إلى روح القرآن الذي لا يحده زمان، ولا يبلى، وبالتالي إلى ميتافيزيقية كونية"[٢].

فالإنسان إذن عليه أن يبدأ من الروح ويبني داخله على هدي الروحانيين من أمثال الغزالي والرومي وغيرهما، ثم يتحرك ويصبح فاعلا عاملا مجاهدا ضاربا في الأرض على هدي خالد بن الوليد وصلاح الدين والفاتح ثم نمزج هذا الفكر الجامع بين الروح والحركة بالعصر الذي نحياه أي بالنهاية الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

الوصف الثالث: التوجه إلى العلم بميزان العقل والمنطق والشعور:

يرى (كولن) أن الخلل الذي نعيشه في عالمنا الإسلامي هو بسبب تنحية الفكر العلمي، ومن ثم سارع الأجانب بافتتاح مدارس أجنبية على أراضينا، وسلمناهم أدمغة أبنائنا تقدم لهم الثقافة الأمريكية، والأخلاق الفرنسية، والأعراف الإنكليزية على العلم والفكر العلمي؛ ولذا انزلق شبابنا إلى التيارات الغربية الهدامة كالماركسية، والوجودية، واتبعوا فرويد وغيره .

والخلاص كما يقول كولن: "لا بد من تحقيق تجددنا الذاتي في ظل الفكر العلمي، الذي نشحن شبابنا به، وبتمازجهم تمازجا كاملا بالعلم والفكر"[٣] .

وفي سبيل ذلك الهدف عمل (كولن) إلى الاهتمام بالتعليم، وسعى لإنشاء

١- الشيخ غالب: ولد بإسطنبول ١٧٥٧وتوفي ١٧٩٩ اسمه محمد بن مصطفى راشد وغالب اسمه الشعري على عادة الشعراء الأتراك. واحد من كبار شعراء المتصوفة. تعلم الفارسية على يد أبيه وانتسب إلى المولوية تدرج في معارف الدين والتصوف والأدب حتى ارتقى إلى مشيخة التكية المولوية في غلاطة بإسطنبول له مصنفات في التصوف، وشروح على المثنوي ودواوين شعر أثر في شعراء التركية والفارسية. ينظر: هامش ونحن نبني حضارتنا ص ١٦٤ للمترجم عوني عمر لطفي أوغلو.

٢- ونحن نقيم صرح الروح ص ٣٦.

٣- ونحن نقيم صرح الروح ص ٣٨.

المدارس وقد ألفت المقالات، ودبجت الأبحاث عن التعليم، ومكانته، وفلسفته في فكر (كولن) بشكل يصعب حصره، ومنها تلك المحاورات الحضارية التي صاغتها (جيل كارول) للمقارنة بين كولن، وأفلاطون، و(كونفوشيوس)، فقد اشترك الثلاثة في اعتبار التعليم طريقا لتكوين الإنسان المثالي بمكوناته الجسدية والعقلية والروحية[١].

فقد أولى (كولن) المدرسة شأنا عظيما وجعل لها سمات خاصة: "مدرسة فكرية أصيلة ذات منهج فكري وعلمي، ونظرة إلى مختلف العلوم من منظور القرآن والسنة بنظرة تواكب العصر وتنطلق منه، وهو أمر يتجلى كأوضح ما يكون في النشاط التربوي والتعليمي - داخل تلك المدارس- المنضبط بنظرة تزاوج بين تكوين العقل وتربية القلب"[٢].

ومن هنا جاءت رؤية (كولن) للمستقبل في الجمع بين أفضل ما في الثقافة الغربية وهو التطور العلمي والتكنولوجي، وأفضل ما في الثقافة الشرقية وهو القيم الروحية والأخلاقية[٣].

وكما انتقد المدرسة التقليدية وعجزها عن مواكبة العصر انتقد المدرسة الحديثة الأوربية بسبب إغراقها في الوضعية، وإبعاد النظرة الدينية، وقد تأثر في ذلك بالنورسي الذي رأى الحل الأمثل في إنشاء (مدرسة الزهراء)لتجمع بين العلوم الشرعية والعقلية، وقد حالت ظروف (النورسي) دون ذلك، فقام (كولن) بتحويل هذا الفكر إلى منجز حقيقي[٤].

وعلى ذلك اعتبر (كولن) أن المشكلة المركزية في تركيا وسائر العالم العربي هي التربية والتعليم، فقام ودعا رجال الأعمال، والمتطوعين إلى إنشاء المدارس المتكاملة التي تجمع بين علوم الدين وعلوم العصر.

ويعتمد النجاح في هذه المدارس على ثلاثة عناصر:

الأول: المدرس، أو المعلم الذي يعشق العلم والقيم والذي اختار طوعا

١- السابق ص ١٢١.

٢- د/ سمير بودينار: بحث فلسفة التعليم : السباحة في المجال الحيوي ص ٣٤٠.

٣- جيل كارول: محاورات حضارية ص ١٢٢.

٤- د/ محمد جكيب: أشواق النهضة والانبعاث قراءات في مشروع الأستاذ فتح الله كولن ص ٢٩٦.

الغربة والترحال في أصقاع الأرض للتعليم والتربية.

الثاني: المناهج: وهناك خبرات واسعة في وضع المناهج الحديثة والاستفادة من خبرات جامعات عريقة كأكسفورد وطباعة الكتب المدرسية التي تحمل القيم المطلوبة باحترافية.

الثالث: نظام تقويم مستمر لتحصيل التلميذ، وتقييم الأستاذ، واكتشاف مكامن الضعف وتكوين علاقات منتظمة مع أسر الطلاب[١] .

ومن الملاحظات التي أبدتها (جيل كارول) عند حديثها عن فلسفة التعليم عند (كولن) أنه اهتمامه لم يقتصر على المدارس، بل سعى بكافة السبل لتعليم الشباب - أيضا- عن طريق الأسر، والمجتمعات، والإعلام[٢].

الوصف الرابع: إعادة النظر في ملاحظاته عن الكائنات والإنسان والحياة:

تكلم (كولن) عن هذا الربط بين العناصر الثلاثة كثيرا، ووجوب التفكر في كتاب الكون والكائنات؛ لأنها مصدر العلم والمعرفة، وتحويل هذا العلم إلى واقع حركي في الحياة، فالعلم الطبيعي كما نعلم قائم على الكون ومحتواه من كائنات وأشياء وحوادث، فهذا مسرح عمل عالم الفلك، والجيولوجيا، والكيمياء، والفيزياء، وكذا مجال عمل الفيلسوف وعالم الاجتماع وغيرهما من العلوم الانسانية.

وهنا ثلاث ملاحظات حول هذه الصفة:

١- يرى (كولن) أنه كما يجب قراءة القرآن وفهمه وإطاعته، يجب معرفة الحق بدلالة الأشياء والحوادث جميعا، ثم رؤية طرق التوفيق بينهما، فالفرقان العظيم من صفة كلامه هو المصدر الأوحد لسعادة الدنيا والعقبى، وكتاب الكائنات هو جسد تلك الحقيقة وحركية مهمة مؤثرة في حياة الدنيا مباشرة باعتبار تمثيلها لفروع العلم المتنوعة إذن فإدراك معنى الكتابين وتحويل فهمهما إلى الواقع العملي ثم نسج الحياة كلها بمقتضى فهمها هو السبيل للسعادة في الدنيا والعقبى[٣] .

يقول كولن: "إن الكائنات كتاب أشهره الله ليراجع باستمرار، والإنسان

١- د سمير بودينار : بحث فلسفة التعليم : السباحة في المجال الحيوي ص ٣٤٦- ٣٤٩ ضمن أبحاث مؤتمر مستقبل الاصلاح في العالم الإسلامي.

٢- محاورات حضارية ص ١٢٦.

٣- ينظر: كولن: ونحن نقيم صرح الروح ص ٣٩.

منشور بلوري مؤهل لرصد الأعماق في الوجود، وفهرست شفاف للدنى جميعا، والحياة ترشح هذا الكتاب، وهذا الفهرست، وتمثل المعاني في انعكاس صدى البيان الإلهي وما دامت الكائنات والإنسان والحياة باعتبار تلوناتها أوجها متنوعة لحقيقة واحدة- وهي كذلك حقا-، فإن تفريقها عن بعضها البعض، وتقطيعها ظلم وازدراء للوجود والإنسان لما فيه من إخلال بانسجام الحقيقة"[١].

وهو هنا يحاول أن يربط الوجود والإنسان معا، ثم يربطهما بالله بعد ذلك، فبين الوجود والإنسان علاقة كعلاقة الرحم فالوجود كتاب الله أظهره للخلق لقراءته واستغلاله والإنسان هو المخلوق الوحيد المؤهل لقراءته، وفهمه، والغوص في أعماقه لأنه يجمع إلى جانب الجسد مؤهلات الروح.

٢- يرى (كولن) أنه ينبغي تقييم الإنسان وفقا لأعماقه الإنسانية في الشعور، والفكر، والشخصية فإن الخصال الإنسانية وسلامة الفكر والشخصية بطاقة اعتماد مطلوبة في كل زمان ومكان، أما من يكدر إيمانه بأوصاف وأفكار كفرية فلن يحظى بتأييد الحق تعالى وعنايته ولا احترام الناس وثقتهم يقول كولن: "لا يتصور أن يتحقق نجاح عظيم أو الحفاظ على نجاح قد تحقق على يد أناس فقراء في قيمهم الإنسانية وضعفاء في شخصياتهم وإن ظهر عليهم مظاهر المؤمنين الصالحين "[٢].

إذن فإنه يؤكد على الروح من جديد، على القيم الإنسانية، على دور الفكر في بناء الإنسان ومن ثم الحضارات.

٣- ينبغي أن تكون الوسائل إلى الهدف المشروع والحق شرعية كذلك وحقا، يقول كولن: "إن السائرين في الخط الإسلامي يتحرون في كل عمل مشروعية الحق في آمالهم وغاياتهم كلها، والتزام مشروعية الوسائل إلى ذلك الحق أيضا واجب عليهم، فلا يمكن تحصيل رضا الحق تعالى من غير الإخلاص والصدق الذاتي، ولا يمكن خدمة الإسلام، وتوجيه المسلمين إلى مراميه الحقيقية بوسائل شيطانية ألبتة"[٣].

١- السابق.

٢- كولن: ونحن نقيم صرح الروح ص٤٠.

٣- ونحن نقيم صرح الروح ص ٤٠.

إذن الوسيلة ينبغي أن تكون مشروعة مهما كانت الغاية سامية.

الوصف الخامس: أن يكون حرا في التفكير وموقرا لحرية التفكير.

فإن التحرر وتذوق حس الحرية عمق مهم لإرادة الإنسان، فلا يمكن أن نجدد أو نتقدم، ونحن ما زلنا في أسر داخلي وخارجي، وتضييق على معتقدات وأفكار الآخرين، ولجوء إلى القوة لفرض الرأي يقول كولن: "علينا أن نكون أفسح في حرية الفكر وحرية الإرادة في مسيرتنا نحو عوالم مختلفة، سواء في سلوكنا مع الآخرين، أو من زاوية أنانيتنا الذاتية، وتمسكنا برغباتنا، فالحاجة ماسة اليوم إلى صدور متسعة تحيط بالتفكير الحر، وتنفتح على العلم والبحث العلمي، وتستشعر التوافق بين القرآن وسنة الله على الخط الممتد من الكائنات إلى الحياة"[١].

إذن الحرية في الفكر هي شرط أساسي في البحث العلمي وفي مسيرة الحضارة كلها.

الوصف السادس: الدهاء:

يرى (كولن) أنه فيما مضى كان موجود في تاريخنا أفرادا عظماء دهاة، أما الآن نتيجة للتوسع والتفريعات الكثيرة في الحياة قد يعجز الفرد عن حمل الأمر بمفرده؛ ولذا يمكن أن تحل الشخصية المعنوية والتشاور والشعور الجمعي محل الدهاء[٢].

والشخصية المعنوية والوعي الجمعي بمعنى واحد في فكر (كولن)، ومعنى الارتباط بالشخصية المعنوية: "قيام الفرد بإذابة نفسه في الجماعة، وتوحده معها، أما الجماعة فتظهر التحام أفراد حول فكرة واحدة وهدف واحد"[٣].

وكذا الوعي الجمعي أو الشعور الجمعي هو توحد الأمة حول أحلام وأفكار مشتركة وهوية واحدة وثقافة ذاتية موحدة، واتجاهها نحو غاية موحدة، وذلك بالتخطيط والتعقل والسلوك الواعي .

ويرى (كولن) أن الحاجة ماسة لذلك الوعي؛ لأن الأمم في أوقات الأزمات، وفي أوقات التغير الاجتماعي، ومحاولة البناء الذاتي من جديد قد تسلك أحد أمرين: إما نمط سيكولوجية الجماهير، فتسير مع الجموع الحاشدة نحو

١- السابق ص ٤٢.

٢- السابق ص ٤٢.

٣- فتح الله كولن جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية ص ٣٢٩.

تحقيق غاياتها دون تبصر، جارفة كل شيء في طريقها، فتحدث الفوضى والهدم، وإما تلجأ إلى الوعي الجمعي، وهو المنوط به وجودنا وتشبثنا بالبقاء كأمة "إذ يسقي مادة حياته من منبع ثقافتنا الدينية، وهويتنا الذاتية، وبفضله تتناغم مكارم الأخلاق مع الحياة الاجتماعية إن الأفعال التي تصدر عن الأفراد ذوي (الوعي الجمعي) تنسجم فيها العاطفة الجياشة مع السلوك الواعي المنظم، والحيوية المتدفقة مع الإقدام المتبصر المتزن"[١].

إذن فنمط (سيكولوجية الجماهير) تطغى عليه عواطف غير منضبطة وحماس غير متزن، وذلك يثير الجماهير نحو تصرفات عشوائية غير محمودة العواقب، أما (الوعي الجمعي)، فينبي على التعقل، والتمحيص، والتثبت، وملاحظة الحاضر والمستقبل معا في التقدير والتدبير، ومعاينة الجزء مع الكل جنبا إلى جنب في آن واحد، وذلك ما نحتاجه إذا أردنا بناء صرح الحضارة [٢] .

والشورى لها نصيب كبير في فكر (كولن) فقد اعتبرها قاعدة أساسية لربانيي اليوم كما كانت للورثة الأولين، فهي في القرآن أبرز علامات المجتمع المؤمن، وأهم خصوصيات الجماعة التي تهب قلبها للإسلام[٣].

الوصف السابع: الفكر الرياضي:

لقد حقق الأوائل في آسيا في الزمن الماضي، ثم الغربيون نهضتهم بفكر القوانين الرياضية، وكشفت الكثير من المجاهيل والأسرار عن طريقه لكن العالم بالأشياء المتعلقة بالرياضيات لا يعني أن العالم بها رياضي.

يقول كولن: "الرياضي يجمع بين الرياضيات وقوانينها فكريا، ويصاحبها دائما في الطريق الممتد من الفكر الإنساني إلى أعماق الوجود يصاحبها دائما من الفيزياء إلى الميتافيزيقا، ومن المادة إلى الطاقة، ومن الجسد إلى الروح، ومن الشريعة إلى التصوف، إننا مضطرون إلى قبول الأسلوب المزدوج لفهم الوجود فهما شاملا، وأعني الفكر التصوفي والبحث العلمي"[٤].

١- فتح الله كولن: مقال الوعي الجمعي موقع فتح الله كولن ١٧ فبراير ٢٠١٤م ترجمة: نوزاد صواش.

٢- ينظر: مقال الوعي الجمعي .

٣- ينظر: ونحن نقيم صرح الروح ص ٤٥.

٤- السابق ص ٤٣.

لأن الغرب نجح في الثانية، وأحدث فراغا كبيرا في الأولى فإنه يحاول سد هذه الفجوة ولكن دون جدوى، أما في الإسلام فلدينا طاقتنا الذاتية الروحية مع الانفتاح على الكون والبحث العلمي.

الوصف الثامن: الفكر الفني:

ينبغي أن يتصف وارث الأرض بالفكر الفني لكن بناء على ملاحظات معينة وقرر أن بعض الأوساط ليست على استعداد حتى الآن للانخراط في هذه المسيرة بمقاييسنا[١].

وقد أولى (كولن) الفن عناية فائقة فتكلم عن الفن ومجالاته المختلفة، ونعى التفريط والإفراط في النظر إلى الفن، فلم يرتض قول القائلين بالتحريم، والمنع وقول المجيزين دون قيود، ولكن وافق عليه بضوابط وملاحظات معينة وهي:

أن يكون الفن وفقا لمقاييسنا من إحلال الحلال، وتحريم تصوير الباطل والحرام يقول (كولن): "يجب تناول المسألة من ناحية البحث عن ماهية الأنواع الأدبية، وليس تناولها بالنظر إلى وجودها أو عدمه ويوافق الجميع على أن عدم تجويز تصوير الباطل مسألة ضرورية، وهذا باتفاق الكل إلى جانب أنه يستحيل قبول أي تصوير، أو قصة، أو عرض من شأنه أن يعني التشويق أو الترويج لما حرمه الإسلام من أمور تحريما قاطعا كالزنا، والفاحشة، والخمر، والمخدرات، والقمار، والسرقة، وقتل النفس، وإلا فإنه ليس من الصحيح معارضة الرواية والقصة ولا غيرها "[٢].

ويرى أيضا عدم جواز تمثيل الأنبياء، والصحابة، والقدوات في الأعمال الفنية، ولا حتى استخدام الشخصيات في الحديث عنهم، وتقديمهم للناس، ويرى في مؤثرات الضوء واللون والإمكانات التقنية عوضا عن ارتكاب ذلك الفعل[٣] .

ويرى (كولن) أن الفن من أهم الطرق المؤدية إلى سمو الروح والمشاعر، فبفضل الفن ندرك الجمال الموجود في السموات، وفي البحار، ونرى قدرة الإنسان، وأعماقه، وأفكاره محفوظة على مر السنين، ولكن يرى (كولن) أن الفن

١- السابق ص ٤٤.

٢- فتح الله كولن: سلسلة الفصول -٢ ص ٣٣٠نقلا عن فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري ص ٣٣٤.

٣- فتح الله كولن: سلسلة الفصول-٢ ص ٣٣٢نقلا عن فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري ص ٣٣٥.

ينبغي أن يرافق الإيمان في مسيرته، بل يذهب مذهبا متطرفا في أمر الفن، فيقول: "الأرواح الخالية من الفن والمنغلقة دونه يستوي وجودهم وعدم وجودهم؛ لأنهم ليسوا إلا أفرادا لا يستطيعون تقديم أي نفع لأنفسهم ولا لعوائلهم ولا لأمتهم، بل قد يكونون ضارين أيضا"[١].

أما (مالك بن نبي) فقد تحدث وأسهب عن الذوق الجمالي كرديف في اتجاه الحضارة مع الأخلاق والصناعة(الفن التطبيقي)، والمنطق العملي، فهذه العناصر هي مكونات الثقافة في أي مجتمع يريد النهوض .

فالذوق الجمالي عند (مالك بن نبي) يؤثر في أفكار المجتمع ومساعيه، وأعماله فيجد في نفسه نزوعا إلى الإحسان في العمل، وتوخيا للكريم من العادات، ولكن يشير أن المبدأ الأخلاقي مرتبط بالذوق الجمالي. في الغرب مثلا يمارسون فن التصوير وتصوير المرأة عارية بدافع الجمال بينما ينأ الفن الإسلامي عن ذلك برادع الأخلاق وليس معنى هذا أن الثقافة الإسلامية تفقد عنصر الجمال، وإنما تضعه في مكان آخر في سلم القيم[٢].

ومن باب إيمان (كولن) بأهمية الفن تتبنى حركة الخدمة تقديم أعمال فنية كالمسلسلات عبر قنواتها كتليفزيون حراء، والإنشاد والشعر وغيره في المسابقات والمؤتمرات المحلية والعالمية، ولا يجدون غضاضة في الموسيقى والغناء كذلك- مع اختلاف العلماء في حكمهما-.

العنصر الثاني: الزمن:

بعد الحديث عن العنصر الأول (الإنسان) في بناء الحضارة ندرك أن هذا البناء يحتاج إلى مدة وزمن ليتحقق؛ لذا كان العنصر الثاني (الزمن) ضروري في هذا البناء.

يلزم لقيام الحضارات عنصر الزمن بمعنى استغلاله في العلم النافع، والإنجاز والعمل، بل ومحاولة تجاوز المسافات والأزمنة أحيانا لنسابق العصر الذي يسير بخطى متسارعة، بينما أمم كثيرة تغط في سبات عميق كحال أمتنا، وقد أعطى (كولن) للزمن أهمية كبيرة كما فعل (مالك بن نبي) سابقا فجعلاه أحد

١- كولن: الموازين ص ١٥٤..

٢- ينظر: مالك بن نبي: شروط النهضة ص٨٧، ٩١، ١٠٢.

مكونات الحضارة .

ومما يدلل على تلك الأهمية أن قام الدكتور (محمد بابا عمي)، و أخذ على عاتقه فكرة إنشاء موسوعة كونية للمفاهيم والمصطلحات التي طرقها كولن، واختار الزمن ليكون بداية لذلك العمل، وما ذلك إلا لأهميته في فكر (كولن).

يقول (محمد بابا عمي): "يتشكل الزمن في منظومة (فتح الله كولن) تشكلا شموليا متجاوزا لا يحده تخصص واحد، ولا علم واحد، ولا يتوقف على ثقافة فريدة، ولا حضارة محدودة، فهو يقفز من الأزل إلى الأبد، ويتجاوز الزمن ليرسم ملامح خارج الزمن، ثم إنه مع ذلك يلامس خط الواقع ويصنع الحدث والتغيير"[١] .

وللزمن عدة دلالات في فكر (كولن) سأجملها على النحو التالي:

١- الماضي والحاضر والمستقبل:

أما عن دلالات الماضي في فكر (كولن) فتشمل معاني كثيرة منها: التاريخ، والعقيدة، والذات، والوطن، والأرض، والجذور، والمرجعيات، والمنطلقات، والأجداد، والتراث.

أما الحاضر فيعني: الواقع، والحال المعاصرة، والجيل، والفكر، والحركة، والإنجاز، والمشاريع، والوجدان، والمقدرات .

ويأتي المستقبل بمعان ثرية ودلالات واسعة منها: الأمل، والقدر، والنصرة، وأمارات صدق الإسلام، والتحرر من الماديات، والنور، وصدق الوعد، والتخطيط والجزاء، والمعينية.

والمعنى من وراء هذه المصطلحات أن نوقر ماضينا وننطلق منه، وأن نعي حاضرنا، ونعمل فيه بجد، ولا نضيع لحظة منه، ثم نخطط لمستقبلنا، ونحافظ على داعي الأمل فينا، وفي الأجيال النورانية من بعدنا[٢] .

فالانطلاق من الماضي يعني المحافظة على التراث، والأصالة، والذاتية، والتاريخ ولا نتنكر له وقد أسهبت في الحديث عن ذلك سابقا.

والحاضر هو ما نملكه بين أيدينا، وهو الزمن الذي نعيشه، ويجب استغلاله

١- دكتور/ محمد با با عمي : الزمن والوقت نصوص ومفاهيم مؤسسة على الرؤية الكونية لفكر الأستاذ فتح الله كولن ص ٣٤ دار النيل - القاهرة، ط: الأولى ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٢- ينظر: الزمن والوقت ص ٤٥

لنمر من المأزق الحضاري إلى رحاب الحضارة والانبعاث من جديد، يقول كولن: "والأمر الوحيد الذي ينبغي أن نعمله اليوم هو أن نهرع إلى أخذ موقعنا في التوازن الدولي بالشعور الجاد بالمسؤولية، وبهويتنا الذاتية، ومن غير هدر للزمن فإن تلكأنا في تعيين هذا الهدف فقد نعجز عن إدراك الغد، بله التقدم والتطور، فنحن اليوم أمام خيارين: إما الكفاح المصيري في الهمة، والذي يؤدي إلى الانبعاث، وإما الخلود إلى الراحة والاسترخاء والذي يعني الاستسلام للموت الأبدي"[١].

وبالنسبة للمستقبل فإننا نحتاج إلى البرامج والخطط التي نسير بها إلى المستقبل الذي يحمل الأمل والانبعاث لأمتنا[٢] .

ورغم حديث (كولن) الكثير عن تلك البشارات والأمل فإنه لا ينبغي أن يجعلنا ذلك نخلد إلى الراحة، بل يشدنا أكثر إلى العمل والحركية والمجاهدة[٣].

٢- التاريخ يشبه نفسه:

يهتم (كولن) بمبدأ العلية في الحياة الاجتماعية كما في العالم الطبيعي فما نبذره اليوم من أسباب الحضارة هو ما سنجني ثماره غدا[٤].

فالتاريخ لا يعيد نفسه، بل يشبه نفسه حين يعاود الناس ذات الأسباب كما يرى (كولن) فإذا أردنا أن إعادة زمن ما علينا أن نعيد أسبابه فيعود بروحه، ومعناه لا باسمه ومبناه، وفقا لقانون تلازم السبب والنتيجة[٥]، فقانون العلية يقتضي مناسبة ضرورية بين انتظاراتنا الكبيرة وأدائنا الراهن[٦]

ومن المحال أن تحصل نتيجة بالخمول والكسل، فقد انتهى عصر الخوارق والمعجزات، وقد بحثنا ذلك سابقا .

وقد اشار الدكتور (بابا عمي) أنه من خلال تتبع المادة العلمية عن الزمن عند (كولن) لم يلحظ فيه تلك الروح الحلولية التي تتخلى عن واجبات الزمن وقانون العلية فيقول: "غير أننا لا نقرأ عند (فتح الله) تلك الروح الحلولية التي

١- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ٥.

٢- ونحن نبني حضارتنا ص ١٠.

٣- د/ محمد بابا عمي: الزمن والوقت في فكر الأستاذ فتح الله كولن ص ٤٥.

٤- كولن: ونحن نقيم صرح الروح ص ١١٧.

٥- ينظر: د/ محمد بابا عمي: الزمن والوقت ص ٨٢.

٦- ينظر: مقال لعلنا نبعث من جديد ص ٣ مجلة حراء السنة التاسعة العدد(٤٠)٢٠١٤م.

تترفع عن الزمن لتتحلل عن واجباتها ومسؤولياتها، وبالتالي تدعي نوعا من الملائكية، أو الماورائية الزائفة لا، بل ما نقرأه من مادة عن الأزمنة الثلاثة "الأمس واليوم والغد" يثقل كواهلنا ب "ما يجب، وما لا يجب"[١].

٣- مضيعات الوقت:

يرى (كولن) وجوب المبادرة والفاعلية والاستغلال للوقت، بل ويدعو كولن من حوله إلى تجاوز المسافات والأزمنة، والارتباط بالحقيقة الكلية؛ ولذا أعلن العداء على التدابير اليومية القصيرة الباع، والاشتغال بالمسائل اليومية والفرعية، على حساب فكر الملة ومستقبل الأمة[٢].

وذكر (كولن) أن من أكبر المضيعات لجهود الأمة هو التزود والتغذي من مصادر ثقافة الآخرين، والتقليد والتبعية[٣]، فتلك مثبطات في سبيل تقدم الأمة ومضيعة للوقت وللجهد فلن تنجو أمة تعيش على التبعية، ونفس الملاحظة أبداها (مالك بن نبي) في شروط النهضة[٤]، بل ينبغي أن يكون لها برنامج جديد، وحياة ذاتية تبنيها من جهدها، منطلقة من تاريخها وثقافتها .

العنصر الثالث: دولة حرة مستقلة:

ويعني (كولن) بالدولة الحرة المستقلة مفهوم السيادة[٥] على أرضها، وفي قرارتها الداخلية، وعلاقتها بالعالم الخارجي .ذاتية وغير تابعة لأي نظام غير ما يمليه عليها تاريخها وثقافتها.

تحدث (كولن) عن مقومات عديدة تخدم فكرة الدولة الحرة المستقلة منها:

أولا: إخراج المستعمر من داخلنا كما خرج حقيقة من أرضنا، وهي فكرة القابلية للاستعمار- وقد سبق الحديث عنها-.

فينبغي طرد الأفكار الغريبة التي تخالف أصولنا وتراثنا، وألا نكون تابعين مقلدين مرقعين لثوبنا الحضاري بمنجزات الآخرين، فالحضارة هي التي تبني

١- الزمن والوقت ص ٤٧.

٢- السابق ص ٤٩.

٣- السابق ص ٥١.

٤- ينظر: مالك بن نبي: شروط النهضة ص ٤٨.

٥- ينظر: د/ محمد بابا عمي: البراديم كولن فتح الله كولن ومشروع الخدمة على ضوء نموذج الرشد ص ٥٤ دار النيل ط الأولى ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

نفسها من ذاتها لا من منتجات الآخرين.

ثانيا: الوحدة وعدم الفرقة، فلن تنجو أمة وتبني حضارة وتعيد أمجادا مضت بفرقتها وتخالف قلوب أبنائها، فهذا من أكبر الأمراض التي دبت في الأمة، وشغلتها عن النهوض، فينبغي أن يكون لدينا ثقافة الاختلاف في الرأي، وتقبل الآخر يقول كولن: "إن هذه الفرقة والاختلاف الذي لا مبرر له، - والذي دفعت الأمة بسببه ثمنا باهظا ولعدة عصور- بلغ درجة مقلقة في هذه الأيام التي باتت القيادة في يد الأحاسيس والمشاعر، وليس العقل، ويمكن القول دون أي تردد أنه لا يوجد، ولا يمكن تصور وجود خطر أكبر من هذا الخطر الداهم أمام نهضتنا من جديد"[١].

فيوجد في الإسلام مشارب ومدارس مختلفة، وطالما كان الهدف واحدا وهو الحق والطرق الموصلة إلية متعددة فلا مانع، بل إن محاولة توحيد المشارب يخالف الفطرة الإنسانية؛ لأن الطبائع مختلفة[٢]، وقد وضع (كولن) أسسا في محاولة الاتحاد والائتلاف بين هذه القوى، منها:

١- يجب على الجميع التخلي عن محاولة إدخال الآخرين في مشربه وقسرهم على التفكير مثله، فكل خدمة في طريق الحق تستحق الثناء ويجب إبداء المرونة، والابتعاد عن التعصب والتصلب في فرض طرق معينة ما دام الهدف مشتركا، وضرب مثلا على ذلك بالإنجليز والغال عندما حققا وحدة (الأنكلوسكسون) لكي يؤمنا مستقبل هذين العنصرين، مع كراهيتهما ونفورهما من بعضهما البعض.

٢- ألا يقوم أحد بإكراه الآخرين على سلوك طريقه، بل كل يعمل بالطريقة التي يفضلها [٣].

٣- كل مشرب يحوي جانبا من الحقيقة، ومن الخطأ إثارة النزاع والصراع بين المسلمين وانتقادهم، بل وتكفير المخالف، فعلينا أن نكون ظهيرا لكل سائر في طريق الحق[٤].

١- الموازين ص .٦٢ .

٢- ينظر أسئلة العصر ص ١٤٥، وينظر: الموازين ص ٦٩.

٣- ينظر: أسئلة العصر المحيرة ص ١٤٩ .

٤- ينظر أسئلة العصر المحيرة ص ١٥١ ، وينظر الموازين ص ٧٤.

وبهذه الوحدة، ونبذ الفرقة والاختلاف، ستنمو الحضارة الإسلامية وتزدهر، إلى جانب نبذ الأفكار المستوردة، واجتثاث الاستعمار من داخلنا.

تعقيب:

وأخيرا بعد عرض مفهوم الحضارة وعناصرها عند (كولن) يتبين أن:

أولا: مفهوم الحضارة عند (كولن) يشمل الجانب المادي من علوم وتحديث، والجانب المعنوي من قيم، وثقافة، وبناء روحي.

ثانيا: الحداثة عند (كولن) بمعنى العصرنة ويقصد بها الجانب المادي من الحضارة كالتطور في وسائل الحياة والرفاهية وهو لا ينكرها بل يتبنى التوازن بمعنى يجمع بينها- الصالح فقط- وبين عناصرنا الذاتية الروحية .

ثالثا: مراعاة السنن والأسباب خطوة مهمة في بناء الحضارات وبقائها.

رابعا: أن عناصر البناء الحضاري عند كولن مبنية على رؤى وأسس قوية لم تغفل التراث، وأيضا لم تدفن نفسها في الماضي، نائية عن مجريات الزمن، ومقتضيات العصر، وتبعة المسئولية عن الإسلام و الإنسانية .

خامسا: يظهر تأثره الكبير إلى حد التطابق مع فكر (مالك بن نبي) في عناصر الحضارة غير أن أفكار (ابن نبي) واضحة منطقية متسلسلة؛ لأنها محصورة في كتاب، أجزاؤه متسلسلة الأفكار، ومن ثم مترابطة بخلاف كولن، فهي مقالات متفرقة جمعت في عدة كتب، ولذا فإن المعاني متكررة، إضافة إلى قصور في تعريف عنصري الحضارة(الزمن والدولة المستقلة).

سادسا: أهمية تربية الإنسان بكل مقوماته الجسدية، والعقلية، والروحية؛ حتى يستطيع حمل أمانة الخلافة ووراثة الأرض.

سابعا: أهمية الزمن، والحفاظ عليه، واستغلاله، وتجنب مضيعات الأوقات؛ حتى نسهم في بناء الحضارة وتشييدها.

ثامنا: أهمية الأرض، أو الدولة المستقلة، أو الوطن في قيام الحضارات.

الفصل الثالث

التجديد

بداية لا بد من الإشارة إلى أن هناك تمايز في ردود الأفعال في العالم الإسلامي تجاه أمر التجديد والنهضة، فقد انقسموا إلى ثلاثة مواقف:

الأول: موقف الجمود والتقليد لتراثنا الفكري، ذلك الذي ينظر فقط إلى الخلف، ويقف عند ظواهر النصوص، مغفلا المقاصد التي يتغياها الشارع من وراء هذه النصوص.

الثاني: موقف التغريب والحداثة الغربية، الذي انطلق من المرجعية الفلسفية للحضارة الغربية، معتمدا مناهج النظر (الوضعية العلمانية)، وأحيانا المادية التي نظرت إلى الدين باعتباره فكرا غير علمي، عبر عن مرحلة من مراحل تطور العقل الإنساني تلتها مراحل أخرى.

الثالث: موقف الإحياء والتجديد، بالعودة إلى المنابع الجوهرية للدين الحنيف والنظر فيها بعقل معاصر يفقه أحكامها كما يفقه الواقع الذي نعيش فيه عاقدا القران بين فقه الواقع، وفقه الأحكام ليصل إلى التجديد الذي يستجيب للمصالح الشرعية المعتبرة التي تطرحها مستجدات الواقع الجديد والمعيش[١].

فالتجديد وفقا لهذا الاتجاه هو محاولة بعث وإحياء للأمة في جميع المجالات وله طرفان هما الأصالة والمعاصرة، والأصالة تعني تراث الأمة وأصولها وماضيها والمعاصرة تعني مواكبة العصر، والمعنى أننا في محاولات التجديد ينبغي لنا الاتكاء والانطلاق من تراثنا واستمداد القوة منه فلن تبنى أمة ببتر تراثها والغفلة عن ماضيها وحضارتها التي عاشت عليها قرون، وفي نفس الوقت ونحن ننطلق من التراث أو الذاتية ينبغي أن نتوافق مع العصر أي نحي من تراثنا ما يمكن أن يتعايش معنا ونترك الباقي تاريخا "فإذا كان عند أسلافنا طريقة تفيدنا في معاشنا الراهن أخذناها وكان ذلك هو الجانب الذي نحييه من التراث وأما ما لا ينفع نفعا تطبيقيا فهو الذي نتركه غير آسفين وكذلك نقف الوقفة نفسها بالنسبة ثقافة معاصرينا من أبناء أوروبا وأمريكا المدار هو العمل

١- ينظر: د/ محمد عمارة : مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية ص ٥- ٦، مكتبة الشروق الدولية، ط: الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

والتطبيق"[١] أو على حد تعبير الإمام الأكبر: "أن التراث يؤخذ منه ويرد عليه : يؤخذ منه ما يكون ثقافة تقبل أن نعيشها الآن ويرد ما كان منه ثقافة لصيقة بالعصر الذي أنتجها وسوغها وارتبطت به ارتباطا وثيقا ولم تعد الآن من هموم هذا العصر أو صوالحه"[٢]

إذن فالتوازن في المسألة هي الإيمان بثوابت التراث والمحافظة عليه والنظر للمتغيرات بعين الاحترام والتقدير ولكن في اطار تبدلاتها وتحولاتها التاريخية حسب تطور الظروف وتقدم العصور وطروء المستجدات كما يرى الدكتور أحمد الطيب[٣].

وهو الموقف المتوازن الذي اختاره كثير من المفكرين والمجددين وهو الرأي الوسط الذي يجنبنا مخاطر التغريب والحداثة ويحافظ على تراثنا وحضارتنا الروحية وبذا يجمع الحسنين والمفيد من التراث والحداثة معا، وهو ما اختاره الإمام الأكبر وعدد من كبار مفكرينا قبله كمالك ابن نبي ومحمد إقبال ثم كولن مؤخرا.

وحديث التجديد والإحياء عصب النهضة، وأساسها منذ مطلع القرن التاسع عشر(مطلع النهضة العربية الحديثة)، فلا نهضة إلا بإصلاح وتجديد الذات، بتجديد فكرنا وعلومنا لمواكبة العصر الذي نعيشه، فلا يمكن أن نسابق الغرب بقعودنا على ميراث الأجداد، وتقليدنا للسابقين والتبعية للغرب، لا يمكن أن ننهض من كبوتنا، وما زالت العلوم نتلقاها من الغرب دون أن نصنعها نحن على أرضنا وفقا لثقافتنا الذاتية، حتى ميراثنا يكتبه لنا غيرنا من المستشرقين، وفيهم من فيهم ممن يلفق ويفتري ويكيد لنا على إثر عداوات ممتدة لديننا ولعالمنا، وحتى القيم والسلوك، وطرائق التفكير، ناهيك عن ملبسنا، ومأكلنا، ودوائنا نستورده من الغرب.

وفكرة التجديد تبرز للوجود عند وجود تحديات يمر بها العالم الإسلامي، ففي القرن الماضي كان تحدي الاستعمار، فكانت محاولات التجديد وقتها هادفة

١- د/ زكي نجيب محمود: تجديد الفكر العربي ص ١٨ ، دار الشروق .

٢- أ د/ أحمد الطيب: التراث والتجديد ص ١٣، هدية مجلة الأزهر شعبان ١٤٣٥هـ.

٣- السابق.

إلى تقوية روح المقاومة ضد المستعمر، أو إصلاح ما اعوج من أحوالها الداخلية لتكون أهلا للمقاومة، ثم لإدارة شؤونها باستقلال إذا رحل المستعمر، ثم تخلص العالم الإسلامي من الاستعمار ليقع فريسة للغزو الفكري والثقافي فكانت المواجهة بين الفكر الإسلامي والفكر المضاد له (الاستعماري الغربي أو الماركسي الشيوعي)، والتحدي الذي يواجهنا الآن هو التعامل مع الغرب - بكل تلك الخلفيات الاستعمارية والفكرية- الذي يطالب الدول الإسلامية ليل نهار بالتغيير في كل شيء في دينها وسلوكها وتفكيرها ليتلاءم مع ما تراه الحضارة الغربية، وهذا التحدي هو من أكبر التحديات التي يواجهها الفكر الإسلامي، وهو (تحدي الهوية الإسلامية)، وهو تحد يقتضي تجديد النظر إلى هذه الهوية وتجديد معالمها الثقافية[١]ويتوافق عدد من الباحثين مع هذا الطرح لفكرة التحدي الذي يواجه الفكر الإسلامي ويتطلب التوجه إلى التجديد[٢].

وسوف أعرض لرؤية (كولن) حول التجديد في ثلاثة مباحث: مفهوم التجديد، وضرورته، ومجالاته- منهج كولن في التجديد والنهضة- التطبيق العملي لفكر كولن في التجديد.

١- الدكتور/ محمد سليم العوا: التجديد في الفكر الإسلامي رؤية معاصرة محاضرة في مجمع الفقه الإسلامي بجدة ١محرم ١٤٢٧هـ- ٣١ يناير ٢٠٠٦م .

٢- ينظر: د/ محمد عابد الجابري: التراث والحداثة دراسات ومناقشات ص ٢٥ ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط: الأولى ١٩٩١م، وينظر: أ.د/ يمنى طريف الخولي: أمين الخولي والأبعاد الفلسفية للتجديد ص ١١، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. وينظر: د/ محمد عمارة: نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام ص ١٣ دار الرشاد، ط: الثانية ١٩٩٧م.

المبحث الأول

مفهوم التجديد، وضرورته، ومجالاته

أولا: مفهوم التجديد[١]:

عرف التجديد في الدين بعدة تعريفات منها:

١- البحث في بعث، وتجديد، و تنهيض، وتنمية معاملات أصالتنا، أو تحديث معاملات خصوصيتنا الحضارية[٢].

فالبعث، والتجديد، والنهضة، والتنمية، والتحديث مترادفات تحمل نفس المعنى وهو تقديم تراثنا أو ما يعبر عنه بالأصالة في صورة تواكب العصر.

٢- البعث والإحياء لثوابت الدين وأصوله مع التطور في فقه الفروع مواكبة لمستجدات الواقع المعيش وحفاظا - في ذات الوقت- على صلاح وصلاحية الثوابت والأصول لكل زمان ومكان[٣].

وهنا المعنى إحياء الثوابت وتطوير الفروع -أي المتغيرات- لمواكبة المستجدات.

٣- إحياء ما اندرس من شأن الدين، وتوجيه الناس إلى الاستمساك به[٤].

إذن التجديد إحياء ما غاب أو غيب من أمر الدين بتقديمه بصورة تتناسب مع الزمان والمكان وفهم الناس، وتوجيه الناس للعمل به، فالدين موجود بالفعل ولكنه بعيد عن توجيه حياة الناس، فقد يكون معنى إحيائه: عودة العمل به واقعا معاشا كما كان في عهده الأول، أو إحياؤه في النفوس، فإذا رجع للتأثير فيها كما كان تحرك به أصحابه وأقروه واقعا.

١- التجديد في اللغة: جدَّد فلان: جاء بالجديد وأبدع وابتكر، جدَّد الشَّيءَ: صيَّره جديدًا حديثًا. التجديد: مصدر جدَّدَ. ومعناه: إتيان بما ليس مألوفًا أو شائعًا كابتكار موضوعاتٍ، أو أساليبَ تخرج عن النَّمط المعروف والمتَّفق عليه جماعيًّا، أو إعادة النَّظر في الموضوعات الرَّائجة، وإدخال تعديل عليها بحيث تبدو مُبْتَكَرةً لدى المتلقِّي. مدرسة أو أفكار (تجديدية): مصدر صناعيّ من تجديد، ومعناه: محاولة بعث روح جديدة في شيءٍ، أو عملٍ، أو فنٍّ تحوّله إلى ما هو أفضل .ينظر: مجمع اللغة العربية: معجم اللغة العربية المعاصرة مادة (ج د د) ص ١/ ٣٤٨- ٣٤٩.

٢- يمنى طريف الخولي : أمين الخولي والأبعاد الفلسفية للتجديد ص ١١.

٣- د/ محمد عمارة: مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية ص ٧..

٤- الدكتور محمد سليم العوا: التجديد في الفكر الإسلامي رؤية معاصرة ص ٥.

٤-"العودة للأصول دون وسائط تعوق التفكير الصحيح، أو أوهام تحول دون الفهم السليم النابع من المصدر الرئيسي القرآن والسنة"[١].

إذن من معاني التجديد إعادة فهم النصوص مرة أخرى دون وسائط أو أوهام، ولعل هذا الفهم قد سبق به (اسبينوزا) وهو يتكلم عن الكتاب المقدس وتفسيره من خلال الكتاب نفسه دون الحاجة إلى أحكام مسبقة أو وسطاء كالأنبياء أو المعجزات، فيقول: "يجب أن نستمد معرفتنا بهذه الأشياء جميعها أي بمحتوى الكتاب كله تقريبا من الكتاب نفسه مثلما نستمد معرفتنا بالطبيعة من الطبيعة نفسها...وإذن فالقاعدة العامة التي نضعها لتفسير الكتاب هي ألا ننسب إليه أية تعاليم سوى تلك التي يثبت الفحص التاريخي بوضوح تام أنه قال بها "[٢].

٥- حركة تقوم بتوسيع فعاليات الاجتهاد من داخل النصوص[٣].

وصف التجديد بكونه حركة؛ لأن التجديد يعتمد على الحركية والتطور المستمر للأفضل تقوم بالاجتهاد - وهو جزء من التجديد أو مرادف له- من داخل النصوص لعلها الظنية؛ لأن القطعية لا اجتهاد فيها.

وكل هذه التعريفات تشترك في المفهوم، وإن اختلفت في الصياغة، فكلها تشير إلى معنى البعث والإحياء للأصول، وتطوير الفروع بصورة تتوافق مع العصر.

ومن خلال التعريفات نرى مصطلحات كثيرة تتردد في هذا العصر وترتبط بالتجديد، منها: الإصلاح، النهضة، التطور، الإحياء، الاجتهاد. فما العلاقة بينها وبين التجديد؟.

للإجابة على ذلك نجد مصطلح التجديد- وقد سبق التعريف به- موجود في السنة النبوية في قول النبي- صلى الله عليه وسلم-: "إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها"[٤]، فدل على مشروعيته وكونه مطلبا إسلاميا.

١- د/ أحمد عرفات القاضي: تجديد الخطاب الديني ص ٢٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٨م.

٢- اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٣٦، ترجمة وتقديم: د/ حسن حنفي مراجعة: د/ فؤاد زكريا، دار التنوير للطباعة والنشر- بيروت ط الأولى ٢٠٠٥م.

٣- ينظر: فتح الله كولن جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية ص ٢٦٩.

٤- أخرجه أبو داود في سننه، والحديث إسناده صحيح كما ذكر شعيب الأرناؤوط . ينظر: سنن أبو داود ، باب ما يذكر في قرن المئة، أول كتاب الملاحم ص ٣٤٩/٦ رقم ٤٢٩١.

وقد استخدم التجديد بمعاني ومترادفات مختلفة منها: الإصلاح، والنهضة، والتطور والإحياء على النحو التالي:

١- الإصلاح: " يعني الإحياء، وليس مجرد مشروع فكري، أو مجرد كلام نظري الإصلاح لا يكون إصلاحا حقيقيا إلا إذا أحدث إحياء في المجتمع؛ ولذلك ليس صدفة أن إسلامنا الذي هو أعظم تجارب الإصلاح في تاريخ الإنسانية يمكن التعبير عنه بكلمة واحدة هي كلمة الإحياء ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** ﴾[١] .

كان مصطلح الإصلاح الأكثر قبولا في التعبير عن معنى التجديد من مصطلح التجديد نفسه رغم وروده في الحديث الشريف؛ لما يحمله مصطلح التجديد من مضامين سلبية لا تكون مقبولة في التعامل مع الخطاب الديني؛ لأنها توحي بمقابلها وهو القديم غير المرغوب فيه أو الإضافة والإيجاد على نموذج سابق، وهي معاني غير محمودة؛ لكونها تهدف إلى طمس معالم الدين وأصوله؛ ولذا كان مصطلح الإصلاح هو الأكثر رواجا في القرن التاسع عشر وحتى منتصف العشرين[٢].

٢- الصحوة: من المصطلحات المتداولة بمعنى التجديد، وتداول بكثرة في الساحة العربية والإسلامية، وكذا في الغرب منذ التسعينيات من القرن الماضي، وتعني الوعي والانتباه بعد غفلة، كما عبر عن الصحوة بعنوان (البعث) وهو أيضا يكون بعد النوم، وقد جرت تعريفات كثيرة لبيان حقيقة الصحوة منها: "حالة تجد الأمة فيها نفسها وقد وعت ذاتها، وعرفت من حولها، وأدركت أبعاد عصرها، فاستشعرت قدرتها على الاستجابة للتحديات التي تواجهها، وعلى التحرر من التبعية للآخرين"[٣].

إذن الصحوة حالة من اليقظة ثم التبصر والتعقل لما يواجه الأمة من تحديات كالاستعمار، والغزو الفكري، والحداثة وغيرها، ثم العمل على تحقيق

١- سورة الأنفال الآية:٢٤ د: محمد عمارة : مؤتمر مستقبل الاصلاح في العالم الإسلامي خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية ١٩- ٢١ اكتوبر ٢٠٠٩م ص ٢١١ .

٢- ينظر: د/ أحمد عرفات القاضي: تجديد الخطاب الديني ص ٢٦.

٣- تجديد الخطاب الديني ص ٢٦- ٢٧ .

الذات ورفض الهيمنة الخارجية.

واستخدم أيضا مصطلح (الإحياء) لما يعنيه من بث روح جديدة في نفوس الناس، وبدت الصلة وثيقة بين الصحوة والإحياء وبين مصطلحي اليقظة والنهضة اللذين شاعا منذ أكثر من قرن للدلالة على طور انبعاث حضاري، تنتقل به الأمة من حالة النوم والركود إلى حالة اليقظة والنهوض، وتتجاوز السكون إلى الحركة.

وارتبطت المصطلحات الأربعة(الصحوة- الإحياء- اليقظة النهضة) باصطلاح التجديد الشائع في تاريخنا والمنطلق من الحديث النبوي.

٣- النهضة[١]: ومصطلح النهضة يحمل مضامين مادية؛ ولذا لم ينل شهرة واسعة كالإصلاح، كما أنه يتخطى نطاق الخطاب الديني ليشمل جميع أنواع الخطاب، ولكن المصطلح رغم هذا يعبر عن معنى التجديد والإصلاح، فالنهضة تكون بعد سقوط وتعثر، فالحقيقة أن الإسلام ليس دين عبادة فقط وإنما نهضة دينية ومدنية معا.

٤- إعادة البناء: واستخدم كذلك مصطلح إعادة البناء وقد استخدمه (إقبال) في كتابه إعادة بناء الفكر الديني أو ما سمي التجديد في الفكر الديني.

٥- الإحياء: ومن المصطلحات التي استخدمت بمعنى التجديد أيضا الإحياء، بمعنى إحياء الدين في النفوس، ورد الناس إلى الدين الحق، وقد استخدم قديما وحديثا فها هو ذا (الغزالي) سمى كتابه: إحياء علوم الدين[٢].

٦- التطور: ومصطلح التطور مرتبط بالتجديد على اعتبار أن التجديد عملية ديناميكية مستمرة في حياة الفرد والجماعة، والإسلام ذاته هو الأساس في

١- نَهْضَة: حركة وهمَّة، طاقة وقوّة، وثبة في سبيل التَّقدُّم الاجتماعيّ والفكريّ وغيرهما، عصر النَّهضة الأوربيّة: عصر التجديد الأدبيّ، والفنيّ، والعلميّ ابتدأ في إيطاليا وعمَّ أوربا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، حركة قامت في القرن التَّاسع عشر هدفت إلى السَّعي إلى الأفضل والتَّقدّم في مجالات العلم، والفن، والأدب، وسواها، وتطوير أساليبها. ينظر: أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي(المتوفى ٧٧٠هـ): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، باب(ن هـ ض) ص ٢/ ٦٢٨ المكتبة العلمية- بيروت. مجمع اللغة العربية(إبراهيم مصطفى- أحمد الزيات- حامد عبد القادر- محمد النجار): المعجم الوسيط باب النون ص ٩٥٩/٢ الناشر: دار الدعوة- القاهرة. معجم اللغة العربية المعاصرة باب ٥٢٥٨مادة(ن هـ ض) ص ٣/ ٢٢٩٤.

٢- ينظر: د/ أحمد عرفات القاضي: تجديد الخطاب الديني ص ٢٧- ٢٨ .

تطوير حياة البشرية، والأخذ بيدها نحو التقدم والرقي.

٧- الاجتهاد:

هناك من يرى أن المجدد هو المجتهد؛ إذ لا يمكن أن يضطلع بمهمة التجديد في الدين إلا مجتهد مؤهل للاجتهاد وعلى هذا لا ينحصر الاجتهاد في اصطلاح خاص، ومنهم من يرى التجديد أعم من الاجتهاد وأشمل، فليس صحيحا دائما أن يكون كل مجدد مجتهدا وليس كل مجتهد مجددا[١].

ويرجح المسلك الثاني عدد من الباحثين فيرى أن الاجتهاد مهمته فقهية باستنباط الأحكام وتفريع المسائل، أما المجدد فمهمته أكبر وأشمل فما يهمه هو الحفاظ على شعائر الدين وتقرير شرائعه، ولا يمنع أن يكون مجتهدا أيضا.

والاجتهاد غير مقيد بوقت بخلاف التجديد؛ لأن المجدد لا يظهر إلا على رأس القرن؛ ولذا المجتهدون كثيرون بخلاف المجددين.

إذن الاجتهاد مهمة كل فقيه، أما التجديد فهو أوسع وأبلغ أثرا في إحياء معالم الدين وإن كانا يتلاقيان أحيانا، وقد امتد التجديد لمضامين أوسع من الخطاب الديني فشمل مجالات السياسة وغيرها[٢]، فبينهما عموم وخصوص وجهي فالتجديد أعم من دائرة الاجتهاد الفقهي، ويشتركان في المجدد المجتهد.

إلا أن هناك من يرى أن التجديد لا ينحصر في واحد في كل عصر، بل يتعدد المجددون مع الاتفاق أن التجديد أعم وأشمل لمجالات العلوم جميعها يقول الدكتور (العوا): "وهو لا ينحصر- أي التجديد- في واحد في كل قرن، بل المجتهدون يتعددون، وهو لا يقتصر على الشأن الديني –اصطلاحا- الذي يعني العقائد والشعائر، بل يكون فيه وفي غيره من العلوم المختلفة؛ لأن القصد هو ألا يتوقف الإبداع البشري عن العمل بالجمود على آراء السابقين وترديدها، أو عند حججهم بتكرارها"[٣].

وهناك رؤية رجحها عدد من الباحثين وهي اعتبار التجديد حركة مجتمع بكامل مكوناته لا حركة فرد أو أفراد، ورأى بعض الباحثين أن هذا التفسير

١- ينظر: أ د/ سعيد شبار: مختصر كتاب الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي ص ٥٤.

٢- د/ أحمد عرفات القاضي: تجديد الخطاب الديني ص ٤٨

٣- الدكتور محمد سليم العوا : التجديد في الفكر الإسلامي رؤية معاصرة ص ٥.

أرسخ وأصوب ما قيل في تفسير (مَن) في الحديث الشريف" إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها"[١].

وسواء أفسر الاجتهاد بحصره في التشريع أم بكونه مفهوما شاملا يوازي التجديد، فالتجديد على كل أشمل وأعم لكل مجالات الدين والدنيا، وهذا ما توافر عليه عدد كبير من الباحثين والعلماء.

٨- التغيير: والتغيير على وجهين تغيير صورة الشيء دون ذاته، والثاني تبديله بغيره وقد ورد اللفظ في التنزيل: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾[٢] وهو يفيد أنه يمكن أن توضع في النفس الأفكار ابتداء كما يمكن أن يرفع ما فيها ويوضع فيها أخرى وهذا أهم في عملية التغيير من إنشاء الأمر ابتداء[٣].

وتحت عنوان مصطلحات من نفس العائلة أقر أحد الباحثين بتوافق وتضافر مصطلحات التغيير، والإصلاح، والإحياء، والبعث، والنهضة فقال: "تشترك- أي هذه المصطلحات- مع التجديد في كثير من معانيه إن لم تكن تؤدي في مجموعها معناه الكلي الشامل، وثمت عناصر مشتركة تجمع بين هذه المصطلحات فكونها متعلقة بالفرد والجماعة، بالذات وبالآخر، بالأشياء وبالأفكار، بالدنيا وبالآخرة، وكونها محتوية لصفات الحركة، والتجدد، والبناء، والعطاء، والانتقال من وضع إلى وضع، وبعضها ينوب عن بعض"[٤].

ثم انتهى - بعد استعراض معانيها- إلى أنها واحد ويخدم الغرض نفسه[٥].

٩- الحداثة: تتمايز الحداثة عن التجديد وقد سبق أن عقدت مبحثا لبيان حقيقتها فهي تريد إقرار النظام المادي الغربي ولا تعني بالروح والجوهر، أما التجديد فيؤكد على الجوهر والروح وهو في طريقه لتجديد الدين والدنيا.

١٠- المعاصرة: تعني مواكبة العصر في لغته وعلومه وتقنياته، وهي

١- ينظر: أ د/ سعيد شبار: مختصر كتاب الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي ص ٥٤.

٢- سورة الأنفال الآية: ٥٣.

٣- ينظر: أ د/ سعيد شبار: مختصر كتاب الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي ص ٦٢.

٤- السابق ص ٦١.

٥- السابق ص ٦١- ٦٧.

جناح من أجنحة التجديد مع الأصالة ولكنها تتم في إطار ضوابط الإسلام، وسيكون هناك توسع في بيان تلك الضوابط .

ثم بعد هذه الجولة في بيان بعض المصطلحات وعلاقتها بالتجديد ينبغي التفريق بين تجديد الدين والتجديد في الفكر الإسلامي، أو التجديد في الإسلام.

فالدين راسخ ثابت لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا تجوز الزيادة فيه ولا الانتقاص منه كما حدث في الأديان السابقة، فالتحريف الذي حدث فيها باسم التجديد لا يقره الإسلام، بل يعده تشويها وهدما للدين؛ ومن ثم يجب التفرقة بين الثوابت والمتغيرات في الدين، فالثوابت هي أصوله فلا يجب المساس بها، بخلاف المتغيرات التي هي اجتهاد البشر حول هذه المتغيرات.

أما الفكر الإسلامي - وهو النتاج العقلي الذي خلفه لنا علماء الإسلام في شتى ميادين المعرفة الدينية والطبيعية- فهو محل الاجتهاد والدراسة، فيحق لنا النظر فيه فنعمل فيه عقولنا دراسة وفحصا، نفهمه، وننقده، ونقومه، ونطوره إلى الأفضل، فيجوز لنا النظر فيه، والتعقل، وعدم التقليد أيضا.

والاجتهاد مطلوب في هذا الفكر لتطويره ليساير الحياة المعاصرة وتجديده لإيجاد حلول للمشكلات المستجدة في المجتمعات الحديثة وهو أمر مرغوب فيه ومندوب إليه[١].

وبمعنى آخر التجديد ينصب على دين الأمة(تدينها)وليس على دين الله تعالى، فالعبادات والأحكام التي نص عليها الكتاب والسنة التجديد فيها يكون بالرجوع بالأمة إلى ذلك النص، وما لم يرد فيه نص، ولم يتقرر له حكم مما يحدث ويستجد فإن على المجتهدين أن يجدوا فيه حكما بالقياس على ما ثبت وعرف، وأما ما ليس له نظير سابق فإنه يجتهد فيه ليأخذ حكمه وفق ضوابط الإسلام[٢].

ج- مفهوم التجديد في فكر فتح الله كولن:

يأتي مصطلح التجديد في فكر (كولن) بمترادفات عديدة مثل: البعث، والانبعاث، والنهضة، والإحياء، والإصلاح.

١- ينظر: د/ أحمد عرفات القاضي: تجديد الخطاب الديني ص٣١- ٣٣.

٢- ينظر: أ د/ سعيد شبار: مختصر كتاب الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي ص ٥٥.

وأما مفهوم التجديد عند (كولن) فله معان عديدة منها: إحياء منظومات الدين كلها.

قد يكون بإحيائه في النفوس أو عودة العمل به في حياة الناس، كما سبق أن ذكرت.

ومنها: الإصلاح الجاد في الملكات العقلية، والروحية، والفكرية[١].

ومنها: "الارتقاء إلى فضاءات من التفكر أكثر جدة ووضوحا عبر إنتاج تواليف فريدة من القيم التي توارثتها الأجيال وصقلتها قرنا بعد قرن، وزبدة التجارب الفكرية والعرفانية الراهنة مع الحفاظ على جوهر البذور وصفاء الجذور"[٢].

إذن التجديد عند كولن: إحياء لمعالم الدين، وكذا إصلاح في كل النواحي العقلية والروحية، إضافة إلى الارتقاء إلى أنواع من التفكير أكثر جدة وإبداعا؛ لتناسب العصر مع الحفاظ على الثوابت والأصول.

وكل ذلك يمثل نهضة للأمة في جميع المجالات؛ لذلك يركز (كولن) على استخدام مصطلح النهضة كمرادف ومواز للتجديد.

حيث تحمل النهضة نفس معاني التجديد عنده، بالإضافة إلى مصطلحات أخرى كالإحياء والبعث، والإصلاح، فيرى أن النهضة تمثل ميلادا جديدا كما تمثل إحياء ويقظة؛ ولذا يرفض (كولن) بعض المفاهيم القاصرة للنهضة مثل:

١- العودة إلى القديم:

يرفض (كولن) القول إن النهضة تمثل حركة لإحياء القيم التقليدية والروحية للعصور القديمة، أو أنها تمثل تيارا يدعو إلى العودة إلى المنابع الرئيسة وإعادة قراءتها وتقويمها، أو اعتقاد البعض أن هذه الحركة تركز على القيم السياسية، والقضائية، والأخلاقية الخاصة بالعصور القديمة من خلال التركيز على الكتابات الكلاسيكية في مجال الفكر والتركيز على الصوفية الأسطورية[٣].

١- ينظر:د/ محمد بابا عمي: الزمن والوقت نصوص ومفاهيم مؤسسة على الرؤية الكونية لفكر الأستاذ فتح الله كولن ص ٢٢، .

٢- فتح الله كولن : مقال تجديد الذات، مجلة حراء عدد (٥١)السنة الحادية عشرة ٢٠١٥م.

٣- من حوار لكولن منشور في كتاب السلام والتسامح ص ١٣٥.

ويقصد بالكتابات الكلاسيكية أي الاستمداد من التراث القديم بهيئته دون تجديد، والصوفية الأسطورية يقصد بها المظاهر الخارجية للصوفية، والتي حافظت عليها على مر العصور من ملبس خاص وأوراد وطرق وغيرها، فيقصد النفوذ إلى المعنى لا الارتباط بالقديم دون تجديد في مبناه، وإلا فإنه بالفعل يمارس التصوف كسلوك للروح والأخلاق دون ارتباط بطريقة أو شيخ.

٢- التحرر من الدين:

وكذا يرفض النهضة التي شاعت في الغرب وتزعمها فلاسفة مثل (دانتي)، والتي تعني الفردية، والتحرر من هيمنة السلطات الدينية، والتي بالأصل كانت مضادة للدين بشكل كامل، وخطير، فتلك النهضة لا يمكن قبولها على صورتها تلك؛ لأنها ليست في صالح الإنسانية كما يرى كولن[١].

٣- فلسفة الإنسانية:

يرفض (كولن) النهضة التي انتشرت في الغرب نتيجة للفكر المشوش تحت دعوى فلسفة الإنسانية؛ لأن هذا في نظره اختلال للفكر[٢].

ويبدو أنه يشير إلى من يقدسون الإنسان، كمن دعا إلى دين الإنسانية، أو يدعون إلى الحرية المطلقة في مقابل رفض الدين والألوهية وإبعادهما عن الدنيا.

أما النهضة التي يقول بها (كولن) فهي: "إعادة اكتشاف للقيم الإنسانية المفقودة، وتوجه البشر نحو الأخلاق، والقيم العالمية الإنسانية، ومساءلة الديكتاتورية، وإنهاء حكم الحكام المستبدين، والعمل من أجل مجتمع ديمقراطي، ورعاية الإنجازات العظيمة في الفنون الجميلة، وقراءة الآيات التكوينية التي أهملت ونسيت لوقت طويل قراءة دقيقة، وانتشار عشق الحقيقة، والرغبة في البحث، وحب المعرفة والتعبير عن ضرورة الدين وفقا لفهم هذا القرن الذي نعيش فيه، وبأسلوب جديد وطريقة جديدة"[٣].

وإذا كانت النهضة تعني كل ما ذكر، فقد حقق الإسلام نهضة مثلها بأروع شكل في قرنيه الثالث والرابع، وقدم للنهضة الغربية نموذجا مثاليا ونحن في

١- السابق ص ١٣٥.

٢- السابق ص ١٣٥.

٣- من حوار لكولن منشور في كتاب السلام والتسامح ص ١٣٥.

حاجة إلى نهضة مثل هذه، نهضة للعقل، والقلب، والروح، والتفكير[١].

إذن النهضة إحياء للقيم والأخلاق، ورجوع إلى الدين، وحب البحث والمعرفة بكل أنواعها بأسلوب جديد يتناسب مع العصر أي محاولة للجمع بين الأصالة والمعاصرة، وهي نفس معاني التجديد وغاياته التجديد.

فيرى (كولن) أن جناحي التجديد والنهضة هما: الحفاظ على الثوابت وهي القرآن الكريم والسنة النبوية، ومواكبة العصر، حيث يقرر أن التجديد يبدأ من الاعتصام بالقرآن، والسنة، والسعي لحل المشكلات المستجدة لمواكبة العصر فيقول: "إذا فقدتم روح التجديد مع الاعتصام بالأصول - أي القرآن والسنة واجتهادات المجتهدين الخالصة ودساتير الإرشاد والإخلاص-، فلا تقدرون على تحليل المستجدات المتتالية تحليلا صحيحا والتعرف على الألطاف الإلهية والتواؤم معها"[٢].

ويرى كذلك أنه ينبغي ألا ندفن أنفسنا في الماضي، وذكر مناقب السابقين والظروف قد تغيرت وأحوال العالم قد اختلفت، فقضايا العالم الإسلامي ما عادت تبحث إلا في المحافل والمؤتمرات، فينبغي علينا التوجه إلى الجامعات، والأكاديميات، ومراكز البحوث، ويجب حل عدة قضايا في مجال العلوم الطبيعية، والعلوم الدينية وإنهاء حالة الجمود التي تعيشها الأمة، فمنذ قرون لم ينشأ فيها عالم يلم بمشكلات العصر، بل إذا سعى ساع لتجديد الحياة بإنشاء مدرسة، أو جريدة، أو قناة، أو جامعة نرى من القاصرين في الفكر من يعارض؛ لتحجر عقولهم في مراحل عصرية منصرمة وعدم تداركهم روح العصر ومتطلباته الثقافية إذ ما أكثر من يصعب عليه منهم مواكبة سرعة العصر ذات البعدين (العلم والمعلوماتية)؛ ولذا فنحن بحاجة إلى أرواح ثورية لأجل المستقبل تطمح إلى التجديد مع التمسك بالمبادئ الرئيسة، أما تلك الأرواح الجامدة على إرث الماضي فقط، فيصفهم (كولن) بالرجعيين، وإن كان لا يشكك في فالمطلوب هو تمثيل القرآن الكريم تمثيلا يليق به في عصرنا، وأن نطبق

١- السابق.

٢- ينظر: كولن: الموشور ص ٦٩.

٣- ينظر: الموشور ص ٧٠، وينظر: كولن: مقال تجديد الذات .

ما في القرون الهجرية الأربعة الأولى على الأقل وفق ظروف عصرنا [١].

وهذا هو مفهوم التجديد الذي ما يفتأ يؤكد عليه (كولن) في مواضع عدة.

وهو نفس مفهوم (محمد إقبال) للتجديد الذي يواكب العصر ويستصحب الماضي فيقول إقبال: "فالمهمة الملقاة على عاتق المسلم العصري مهمة ضخمة إذ عليه أن يفكر تفكيرا جديدا في نظام الإسلام كله دون أن يقطع ما بينه وبين الماضي قطعا تاما"[٢].

إذن فالتجديد عند كولن- وهو متفق مع إقبال- مواكبة العصر مع استصحاب الماضي، أي التمسك بالأصول والثوابت.

ثانيا: ضرورة التجديد:

المجتمع الإسلامي بحاجة ماسة إلى التجديد، وهذا ما يؤكد عليه (كولن) ويكرره كثيرا، فيقول :"إن المجتمع الإسلامي بحاجة إلى "بعث ما بعد الموت"، وإصلاح جاد في ملكاته العقلية والروحية والفكرية، وبإفادة دافئة إلى "إحياء"، إحياء يستجيب لمتطلبات أصناف البشر كلهم، ويحتضن الحياة كلها في كل زمان ومكان بقدر السعة والعالمية التي تعد بها مرونة النصوص ضمن الجد و الجهد للحفاظ على صفاء أصل الدين "[٣].

إذن التجديد عند (كولن) يعنى الانفتاح على الحياة كلها، وعلى متطلبات العصر، مع الحفاظ على أصل الدين، أي الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

ويؤكد أن التجديد مطلب قرآني لأجل الاستخلاف في الأرض، والبديل هو الاستبدال يقول كولن: "إن القرآن يحثنا على تجديد الذات، والحفاظ على جدتنا بالعرض المتكرر لقضية أن "نكون أو لا نكون" بقوله: ﴿ **إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ** ﴾ [٤]، وقوله: ﴿ **وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً**

١- كولن: الموشور ص ٧١.

٢- محمد اقبال : تجديد التفكير الديني في الإسلام ص ١١٥. ترجمة: عباس محمود، راجع مقدمته والفصل الأول منه: المرحوم عبد العزيز المراغي، وراجع بقية الكتاب: الدكتور مهدي علام، دار الهداية، ط: الثانية ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٣- ونحن نقيم صرح الروح ص ٢٦.

٤- سورة فاطر الآيتين: ١٦- ١٧.

غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[١]، وتلك سنة من السنن الربانية أيضا - سنة التبديل والتغيير-.

إضافة إلى ما سبق فإن التجديد ضروري لأجل البقاء، وفي ذلك يقول كولن: "إن تجديد الذات هو الشرط الأول لمن أراد البقاء، ومن عجز عن تجديد ذاته وقت الحاجة محكوم عليه بالزوال والفناء عاجلا أم آجلا مهما بلغ من القوة"[٢].

فيرى أن الأمم بقدر تجديدها لذاتها في عمقها الفكري والعاطفي، وفي حياتها القلبية والروحية تتأهل لحمل المسؤولية، وتغدو جاهزة لفتح العالم من خلال إثراء العلوم بنور البصيرة، وتزويد التكنولوجيا بقيم الإيمان، ومنح الإنسانية المعاني التي تمكنها من الانبعاث،

أما لو أخفقت الأمم في ذلك التجديد، فلن تنجو من الذل والهوان والأسر المهين .

وضرب مثلا بالأمويين عندما لم يجددوا ذاتهم بعد (عمر بن عبد العزيز) اندثروا وتلاشوا، وكذا العباسيون، وأمويو الأندلس، وأتراك العثمانيين بعد القرن السابع عشر هؤلاء آثروا سياسة الأبواب المشرعة على كل محدث جديد بدلا من تجديد القلب والروح، ولجأوا إلى فلسفات جديدة للاستنجاد بها بدلا من اللجوء إلى تجديد بعدها الروحي كما فعل المستنير العثماني، فذلك انحراف كما يقول عن سمت المجتمع وتشويه لا تجديد[٣].

وهنا يؤكد ثانية على أن التجديد غير المظاهر المادية، والهيام بكل تقليعة مبهرة.

وقد أشار إلى خصوبة الفكر الإسلامي في هذا المجال، فقد سمح الفكر الإسلامي بسبب مرونته مرارا بالتجديد والإصلاح، والانبعاث كما حدث في المذاهب، وفي الأكثر تمثل التجديد في الفقه والقانون، وكانت الطرق الصوفية سبلا رئيسة تزين مسالك الروح، والمدارس والكتاتيب تضفى المعنى على

١- سورة محمد الآية:٣٨.

٢- كولن: مقال تجديد الذات ص ٣ .

٣- كولن: مقال تجديد الذات ص ٣ .

الوجود والكائنات، أما التجديد المأمول، فيكون بالتوفيق بين كل ذلك، ويعني ذلك الانسلاخ من القالب إلى اللب، وترك الشكلية إلى الجوهر والروح[١] .

وقد استفاض (محمد اقبال) أيضا في الحديث عن تلك المرونة والقابلية للتطور التي تتسم بها شريعة الإسلام، والتي نحن في أمس الحاجة إليها، وكذلك الإنسانية جميعها بعدما فشلت حضارة أوروبا المادية في تحقيق ذلك[٢]، وانتهى إلى القول: "إن العالم الإسلامي-، وهو مزود بتفكير عميق نفاذ و تجاريب جديدة- ينبغي عليه أن يقدم في شجاعة على إتمام التجديد الذي ينتظره على أن لهذا التجديد ناحية أعظم شأنا من مجرد الملاءمة مع أوضاع الحياة العصرية وأحوالها ...يجب علينا أن نفتح أعيينا على ما ينطوي عليه الإسلام من معنى وعلى مصيره .إن الإنسانية تحتاج اليوم إلى ثلاثة أمور: تأويل الكون تأويلا روحيا، وتحرير روح الفرد، ووضع مبادئ أساسية ذات أهمية عالمية توجه تطور المجتمع الإنساني على أساس روحي"[٣] .

إذن التجديد ضرورة لازمة للعالم الإسلامي اليوم؛ حتى ينهض من كبوته، ويساير روح العصر.

ثالثا: مجالات التجديد:

التجديد كما يرى (كولن) لا بد أن يطال كل حياتنا إلا الثوابت، تجديد في الفكر والثقافة والتراث، وسأضرب عدة أمثلة لمجالات التجديد الذي نادى به (كولن) حتى يكون المعنى محددا وليس هلاميا:

١- مجال العلوم الإسلامية:

يرى (كولن) أننا مقصرون في البحث في العلوم الإسلامية كما نحن مقصرون في العلوم التجريبية، ويعترف بخلو عالمنا من هيئات وأشخاص مؤهلين لإدارة مشاريع علمية بحجم ناسا وغيرها، وكذا بنقصنا في مجال العلوم الإسلامية[٤] .

وقد انتقد (كولن) المدارس التقليدية والدينية التي وقفت عاجزة عن مواكبة

١- ينظر: ونحن نقيم صرح الروح ص ٢٦.

٢- ينظر: محمد إقبال: تجديد التفكير الديني ص ١٩٣- ٢١٣.

٣- محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ص ٢١٢.

٤- ينظر: كولن: الموشور ص ٢١٧.

العصر، ونصبت العداء للتجديد في عناصرها، وقد انتقد مثلا الإصرار على تدريس بعض المفردات دون تجديد، منفصلة بذلك عن الحياة الاجتماعية والفكرية كتدريس أسس البلاغة الذي يهتم بالزخرفة اللفظية[١] والمنطق الأرسطي وإن كان يفيد في إجراء النقاش، وانتقد عدم وجود فكر رياضي، أو فكر حديث، أو على الأقل منطق على غرار منطق (بيكون)[٢].

وسعى جاهدا إلى إنشاء المدارس الحديثة التي تجمع بين علوم الدين والعلوم الحديثة؛ للقضاء على سلبيات المدارس التقليدية.

وسعى كذلك إلى تجديد العلوم الإسلامية بصياغة بعضها كعلم الكلام بما يناسب العصر من لغة وأسلوب وموضوعات[٣] وحث العلماء الآخرين كل في مجاله على التجديد كحثه وتأكيده على أهمية الاجتهاد في الفقه والتشريع.

٢- العلوم الطبيعية:

يرى (كولن) أن علينا لمواكبة عصرنا إنشاء الجامعات والمراكز البحثية، وفيها يقوم العلماء بالتحقيق، والتفسير، والتحليل لكل ما قيل في العلم حتى اليوم، ويصوغون العلوم من جديد، وإلا فلن نتخلص من هذه الازدواجية بين ما هو غربي وما هو ذاتي إسلامي .

ومن الملاحظات المهمة التي دوما ما يرددها (كولن) في هذا الصدد أن العلوم الطبيعية اليوم بجميع شعبها تستند إلى المادية الغربية، فالمادة هي الأساس عند الغرب، والانفجار الأول، ومبادئ الديناميكية الحرارية حقائق لا جدال فيها، ولا ينبغي علينا اليوم أن نعلو فوق هذه الحقائق التي لم نسهم فيها، ولم نربطها بديننا فينبغي أن نؤسس العلوم التطبيقية وفق أرضية سليمة من زاوية معاييرنا وإن ما يفعله بعض كتاب تاريخ العلوم من المسلمين من تحصيل العلم من الغرب أساسا، ثم صبغه بصبغة إسلامية فيرى كولن أن (أسلمة العلم) لا يمكن أن تحدث

١- وكذلك رفض محمد عبده البلاغة التي أفسدتها الفلسفة ورام إصلاحها على النمط الذي يسير نحو الذوق ويرقى بالوجدان وتصاعد ذلك عند أمين الخولي في الدروس التي ألقاها عن البلاغة وفن القول بتعبيره . ينظر أمين الخولي والأبعاد الفلسفية للتجديد ص ٢٩ .

٢- فتح الله كولن جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية ص ٢٨٤.

٣ - ينظر للباحثة : فتح الله كولن وآراؤه الكلامية والفلسفية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة- جامعة الأزهر عام ٢٠١٨م.

طالما ظل على الأرضية التي هو عليها الآن، - أما المجدي من وجهة نظره، والذي يوصل إلى نتائج إيجابية- أن يفحص علماؤنا معايير الغرب، ويخضعوا اكتشافاتهم للدراسة المعملية، والبحث والتدقيق من جديد، فالأرضية التي يبنى عليها العلم اليوم أرضية خاطئة، فالمقاصد الصحيحة لا بد لها من وسائل صحيحة [١].

إذن التجديد في العلوم الحديثة بفحصها من جديد على أرضية إسلامية، وربطها بديننا وفلسفتنا الإسلامية، لا أن نتعطاها جاهزة من الغرب.

ويخلص (كولن) إلى القول: "ولا بد لهذه المهمة المهمة من روح ثورية تجدد النظر في كل أنواع الاستنباط والفكر الموجود الآن ومنه المسائل الإسلامية وتخضع كل شيء - عدا القطعي في الكتاب والسنة - للتقييم وفقا لهذا الفهم الجديد وبهذا سنتخلص من الازدواجية العلمية ...إن الكون كتاب مسطور بقدرة الله وإرادته ومشيئته وعلمه سبحانه والقرآن الكريم بيان لكتاب الكون هذا، ولا تعارض بين هذين الكتابين أصلا"[٢].

إذن مجالات التجديد تضم كل العلوم الإسلامية، والعربية، والطبيعية، بفحصها وتقديمها بشكل يناسب العصر .

رابعا: أدوات التجديد:

هناك عدة أدوات أو وسائل أشار إليها (كولن) لإنجاز التجديد المأمول في كل المجالات منها:

١- النقد البناء:

يجب نقد كل ما يتصل بحياتنا حتى نقف على أوجه القصور فنبدأ التجديد والتغيير بشكل صحيح، يقول كولن: "لا يظهر اليوم عندنا مكتشفون ولا مخترعون بل يظهر المقلدون، نحتاج إلى نفسية متمردة تقوم بتغيير كل شيء تقريبا يجب أن يتغير كل شيء، الكتاب والمدرسة، ومن أجل هذا التغيير فإن البداية بالنقد هي الأساس"[٣].

١- ينظر: الموشور ص ٧٢، ٧٤.

٢- كولن: الموشور ص ٧٤.

٣- كولن: الموازين ص ١٩١.

وهو يشترك مع إقبال والجابري في إقرار النقد كبداية للطريق فقد رأى (محمد إقبال) أن علينا إعادة النظر في تراثنا العقلي كله، أو على أقل تقدير نقوم بحركة نقدية إذا أردنا فعلا نهضة العالم الإسلامي، فينبغي وفقا لإقبال أن "نعيد النظر في تراثنا العقلي، فإذا لم نستطع أن نضيف جديدا إلى التفكير الإسلامي العام فقد نوفق - عن طريق النقد المحافظ السديد- في كبح جماح حركة التحلل من الدين التي تنتشر بسرعة في العالم الإسلامي"[١].

وفي إطار مناداته بقراءة عصرية للتراث يرى (عابد الجابري) ـ متفقا إلى حد كبير مع إقبال وكولن ـ أن النقد والعقلانية هما شرطا النهضة لأي أمة، فيقول: "إن عملية التجديد لا يمكن أن تتم إلا بالحفر داخل ثقافة هذه الأمة إلا بالتعامل العقلاني النقدي مع ماضيها وحاضرها، إنه بممارسة العقلانية النقدية في تراثنا وبالمعطيات المنهجية لعصرنا، وبهذه الممارسة وحدها يمكن أن نزرع في ثقافتنا الراهنة روحا نقدية جديدة وعقلانية مطابقة: الشرطين الضروريين لكل نهضة"[٢].

إذن البداية بنقد الواقع القائم الذي أدى إلى غياب المخترعين في بلادنا؛ ولذا كثيرا ما نعى (كولن) حال المدارس التقليدية، ودعا إلى إنشاء مدارس حديثة؛ لإخراج جيل النهضة المنشودة.

٢- استخدام الوسائل الحديثة:

يرى (كولن) ضرورة استخدام الوسائل الحديثة من الحواسيب وغيرها من التقنيات في كل مجالات التجديد.

ويرى أن الدراسات الأكاديمية أمر لازم اليوم، ومن القصور قصر هذه الدراسات على العلوم الطبيعية والتقنية فحسب فلا بد أن تدرج فيها فروع العلوم الإسلامية كلها مثل الحديث، والفقه، والتفسير، وعلم الكلام، فيلزم الاستفادة من أعلى مستويات الإمكانيات التقنية، وضرب مثلا على ذلك بعلم الحديث فيمكن أن تراجع كتب الرجال مرة أخرى، وينقد المتن وفقا لمعايير علم المتون، فقد تظهر ملاحظات جديدة أو أمور لم تلاحظ قديما، وهذا لا يضير السابقين إطلاقا، وما

١- إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ص ١٨١ .

٢- الجابري: التراث والحداثة ص ٣٣.

سينجز اليوم من أعمال بالحواسيب الآلية، ربما يكون أسلم وأصوب مما حدث في الماضي[١].

إذن ينبغي- وفقا لكولن- استخدام الوسائل الحديثة كالحواسيب وغيرها في عملية تجديد العلوم الإسلامية كافة، وإخراجها في ثوب يناسب العصر دون **إخلال بالثوابت والأصول.**

٣- الاجتهاد:

الاجتهاد في اصطلاح الأصوليين: استفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد فيه[٢].

والمعنى أن الاجتهاد يكون في النصوص الظنية وليست القطعية من نصوص الكتاب والسنة وما لا نص فيه كذلك، فيبذل المجتهد قصارى جهده للوصول إلى حكم في المسألة الجديدة يتفق مع مبادئ الشريعة.

فدائرة الاجتهاد تكون في أمرين: النص الظني، وما لا نص فيه؛ ومن ثم يمتنع الاجتهاد في العقائد وفي النصوص القطعية[٣].

يولي (كولن) الاجتهاد أهمية كبيرة في حركة التجديد والنهضة المنشودة كأحد أبرز أدوات التجديد .

فالاجتهاد وسيلة التجديد في الجانب النظري، أو الجانب المتعلق بالتشريع بإيجاد حلول للمشاكل والقضايا الفقهية التي تستجد في الواقع، والتجديد يعني بالجانب العملي فيناط به تنفيذ الحلول السابقة على أرض الواقع.

أو الاجتهاد تجديد في الجانب الفكري العلمي، أما التجديد فيشمل الجانب الفكري، والروحي، والعملي، وهي الجوانب التي يشملها الإسلام وهي: العلم والإيمان والعمل.

و(كولن) إذ يتحدث عن الاجتهاد فإنما يعني به جانب الفقه والتشريع وهو المعنى الذي اشتهر وذاع بين أوساط المسلمين، فهو إذن أداة أو وسيلة من وسائل التجديد.

١- ينظر: الموشور ص ٧٤- ٧٥.

٢- أبو الحسن الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام ج ٣ ص ١٦٢ تحقيق: عبد الرازق عفيفي، .

٣- ينظر: عبد الله بن يوسف بن عيسى العنزي: تيسير علم أصول الفقه ص ٣٧٨/١.

فالاجتهاد في رؤية (كولن) يعني: "بذل الفقيه وسعه في استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة التفصيلية"[١]، **وله شرطان:**

الأول: علم الشخص بالأدلة المتعلقة بالأحكام الشرعية.

الثاني: أن يملك القدرة على النفاذ إلى روح الأدلة من خلال ذكائه وملكته الفقهية.

ويرى (كولن) دائرة الاجتهاد أوسع من القياس، فتشمل الدلالات، والإشارات، والتلميحات الموجودة في النصوص الشرعية، والوجوه اللغوية للقرآن والسنة، وهو مفتاح الإسلام باعتباره الدين العالمي الخاتم لحل مشكلات البشر في كل الأزمنة والأمكنة، فالاجتهاد وسيلة لاستنباط حلول غير محدودة من نصوص محدودة كما يقول كولن[٢].

ونظرا لأهمية الاجتهاد كما سبق يرى (كولن) وجوب مراجعة الفقه، وتقديمه للأجيال الحالية بشكل عصري يراعي نظم العصر السريعة من حواسيب توفر وقت البحث وتمد الباحث بالمعلومات بشكل أكثر تنظيما فيقول: "وجبت مراجعة الفقه الإسلامي في عصرنا، وتقنينه تقنينا يلبي حاجات العصر، ثم تنسيقه وتنظيمه، والمؤلم أنه لا يمكن الحديث عن مؤهلين لهذا العمل في الكفاءة أو العدد ...هذا وينبغي تحميل الفقه كله على الحواسيب، وهذا بلا ريب يحتاج وقتا طويلا، فلا يكفي تحميلها، بل لابد من ابتكارات آلية للاستفادة من تلك المعلومات "[٣].

وضرب (كولن) مثالا يبين وجه الحاجة للاجتهاد في الفقه الإسلامي لمواكبة المستجدات من القضايا بحال تركيا وتقصيرها في باب الاجتهاد، فيقول: "إن آخر كتاب فقهي ألف في بلادنا على طريقة جمع أراء أهل الترجيح من الفقهاء - دع عنك تأليف أهل الترجيح أنفسهم- هو كتاب ملتقى الأبحر لإبراهيم أفندي الحلبي الذي عاش في عصر الفاتح "[٤]، وقد مرت عصور، وتغيرت

١- من حوار كولن المنشور في كتاب السلام والتسامح ص ١٣٨.

٢- السابق ص ١٣٨.

٣- الموشور ص ٢١٧.

٤- السابق ص ٧٢.

أشياء كثيرة جذرية كان يجب إعداد لجان وتنشئة متخصصين يفقهون الواقع، ولعدم توافر ذلك صرنا نصبغ عصرنا بمثل صيغة السابقين دون تطويرها منذ سبعة أو ثمانية قرون، وليس هذا يقلل من احترامنا للسلف، ولكن احترامهم يتحقق بالاقتداء بهم، فهم وعوا أزمانهم في تلك الفترة التي مروا بها واجتازوها وعلينا فعل نفس الأمر[١].

ونفس تلك الملاحظة أبداها (محمد اقبال)، وهو يتحدث عن التجديد، فهو مع استناده إلى الماضي، وعدم إغفاله والتنكر له؛ -لأن الماضي في نظره هو الذي كيف شخصية الأمة الحاضرة[٢]- يرى عدم الجمود على هذا الماضي، وخاصة في مجال التشريع لتغير ظروف العصر عما سبقه، ويبرر ذلك بالقول: "أن حكم القرآن على الوجود بأنه خلق يزداد ويترقى بالتجديد يقتضي أن يكون لكل جيل الحق في أن يهتدي بما ورثه من آثار أسلافه من غير أن يعوقه ذلك التراث في تفكيره، وحكمه وحل مشكلاته الخاصة"[٣]، ولا شك أن في هذا المجموع التراثي عناصر قابلة للحياة والتطوير، وأخرى انتهى أمرها بانتهاء لحظتها في سلسلة التطور[٤].

ولا شك أن التقليد والجمود كانا هما العقبة الكأداء التي واجهتهما كل الحركات والشخصيات الإصلاحية مثل: (محمد عبده)، و(أمين الخولي)[٥]، فلا

١- ينظر: الموشور ص ٧٢.

٢- ينظر: محمد اقبال: تجديد التفكر الديني في الإسلام ص ١٩٧ .

٣- تجديد التفكر الديني ص ١٩٩.

٤- الجابري: التراث والحداثة ص ٣٩.

٥- أمين الخولي(١٨٩٥- ١٩٦٦م): ولد أمين الخولي بشوشاى مركز أشمون بمحافظة المنوفية، وسار في التعليم من الكتاب حتى الأزهر حتى استقر في مدرسة القضاء الشرعي، وعين بعد تخرجه عضوا للتدريس بها، ثم عين بعدها في كلية الآداب، وترقى فيها حتى وصل إلى رئيس قسم اللغة العربية واللغات الشرقية، ثم وكيلا لها، ثم عين مستشارا فنيا في دار الكتب، ثم مديرا عاما لإدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم، وعين عضوا بمجمع اللغة العربية= ١٩٦١م، وانتدب للتدريس في عدة محافل ومؤتمرات في مجالات منها: تدريس الأخلاق والفلسفة، والملل والنحل بالأزهر، ومعهد الدراسات العربية والإسلامية، وعدة مؤتمرات للأديان والمستشرقين، وله مقالات وبحوث في أكثر من مجال كاللغة، والأدب، والتفسير، والأخلاق، والفلسفة، من مؤلفاته: كناش في الفلسفة وتاريخها، تاريخ الملل والنحل، فن القول، المجددون في الإسلام. ينظر: الدكتور/ محمد مهدي علام: المجمعيون في خمسين عاما ص ٧٩.

ينبغي الجمود على تراث الأقدمين، بل استيعابه وتوثيقه، وإخراجه يعد خطوة ضرورية أولية من أجل

التجديد، ثم الانطلاق لبناء رؤانا بما يناسب العصر[١].

خامسا: معوقات الاجتهاد والتجديد:

ذكر (كولن) أن حركة الاجتهاد قد بدأت في زمن النبي- صلى الله عليه وسلم-، وتطورت بعده خاصة في القرن الثالث والرابع الهجري تحت أسماء الاجتهاد، والرأي، والاستدلال، والقياس، والاستنباط، وبقي حيا ومستمرا لكن هذه الحركة الغنية أخذت في الذبول في العالم الإسلامي وحل محلها التقليد والحفظ لأسباب عدة منها:

أ- إقصاء نظام الإسلام النشط عن الحياة.

ب- الاضطهاد السياسي والصراعات الداخلية.

ج- سوء استخدام الاجتهاد من قبل فرق ضآلة، ومنع المؤهلين من القيام بالاجتهاد.

د- انشغال المسلمين بالدنيا وإهمال القضايا الإسلامية وأساسيات الدين والتدين.

هـ- غياب العقول النشطة والمفكرين العارفين بالقرآن والسنة[٢].

وكان له حديث مهم في النقطة الأخيرة حيث رأى أن من معوقات التجديد هو غياب المجتهدين والمفكرين في عالمنا الإسلامي.

وقد تعرض لهذه القضية عندما سئل في لقاء صحفي عن سبب قلة المفكرين في العالم الإسلامي، وإمكان إعادة ولادات فكرية لجبر هذا الكسر.

فيرى (كولن) أنه إن كان المقصود بالمفكرين من يعتقدون أن الوجود مصدره الفكر ويعطون الأولوية للعقل دون الحدس، والشعور، والإرادة ففقدهم لا يعد خسارة؛ لأن المفكر الذي يريده (كولن) هو من يمتلك كل أدوات المعرفة، ويقرأ الوجود ويفهمه بشكل صحيح، ويعي متطلبات العصر، ويساير البحوث الحديثة.

١- ينظر: أمين الخولي والأبعاد الفلسفية للتجديد ص ٢٥- ٣٠.

٢- من حوار كولن المنشور في السلام والتسامح ص ١٣٩- ١٤٠.

وهذه هي صفات المجدد عند (كولن) يمتلك مصادر المعرفة، ولا يقتصر على العقل فقط، يفهم الوجود، يعي متطلبات العصر، ويساير البحوث الحديثة.

وهناك عدة أمور ترتبط بالجمود في الفكر ينبغي فهمها:

أولا: أن هذا الجمود في التطور ليس قاصرا على العالم الإسلامي، فكثير من الأمم مرت في تاريخها بفترات كهذي؛ ولذا لابد من تجديد مستمر للأمم والحضارات لإطالة حياتها كما يدعو (كولن) دوما.

ثانيا: هناك ثلاثة أصول للإسلام، وإهمال أحدها يؤدي إلى هذا الجمود، وهذه الأصول هي:

١- تفسير العلوم الدينية بما يتوافق مع فهم العصر .

٢- قراءة كتاب الكون والقوانين الموجودة في الطبيعة كقراءة القرآن الكريم .

يقصد البحث والمعرفة لكل ما في الكون إشارة منه إلى العلوم الطبيعية، وهي لا تعارض القرآن، فكلاهما من مصدر واحد هو الله تعالى.

٣- الحفاظ على التوازن بين المادة والمعنى، والجسد والروح، والدنيا والعقبى، والطبيعة وما وراء الطبيعة.

فلا ينبغي إهمال الدنيا أو المادة ولا عالم الروح والآخرة فينبغي الجمع بينهما .

ثالثا: لقد شهد العالم الإسلامي عهدا عظيما من التنوير مثل الذي نشهده في الغرب الحديث، ولكن عند إهمال القوى المحركة تظهر النواقص والسلبيات فقد يؤدي الثراء المادي إلى التكاسل والرخاوة، وقد يسبب النظام الصارم نمطية عمياء، وقد تسبب النجاحات الشغف بالحياة والتمتع بملذاتها، وفي بيئة كهذي لا يمكن لمفكر أن يظهر[١].

رابعا: إن العلوم الوضعية الحديثة من حيث الأساس والمنهج ليست من نتائج بحث وتجربة وتحليل المسلمين، بل تعتمد على الفلسفة الوضعية والمذاهب الطبيعية والعقلية بالمعنى الغربي: "وسيستمر هذا حتى يظهر عباقرة جدد في العالم الإسلامي ليعيدوا تفسير الوجود والخلق، وليحللوها وفق معايير

١- حوار كولن المنشور في السلام والتسامح ص١٣٦- ١٣٧.

الذاتية، ويعيدوا البناء من جديد"[١].

وهذا ما يسمى (أسلمة المعرفة) فلا نكتفى بالاستيراد والاستهلاك لمعارف الغرب، بل إنشاء معرفة جديدة من إنتاجنا ومن ثمرات عقولنا ومرتبطة بهويتنا الإسلامية، وهذا الأمر تحدثنا عنه في رؤى (كولن) حول المعرفة.

إذن كان هذا هو مفهوم التجديد عند كولن، وضرورته للحياة الإسلامية اليوم، ومجالاته التي تشمل كل العلوم، وأدواته التي تجمع النقد والوسائل الحديثة والاجتهاد، ومعوقاته من قصور في فهم الإسلام والعمل به، واضطهاد سياسي وغياب المفكرين والمجتهدين.

كما أكد على صفات المجدد الذي نبتغيه وأهمها التوازن المعرفي بجمعه مصادر المعرفة والاعتداد بها، وعدم الاقتصار على العقل فقط، مع فهم الواقع، ومواكبة العصر.

هذه كانت رؤى (كولن) حول مفهوم التجديد وضرورته ومجالاته ومعوقاته بقي أن نتعرف على منهج (كولن) في التجديد والنهضة وهذا سيكون محور الحديث القادم - إن شاء الله -

---

١- السابق ص ١٣٧.

المبحث الثاني
منهج كولن في التجديد والنهضة[١]

من خلال النظر في فكر (كولن) ندرك أن منظومة التجديد التي يتبناها تتمثل في الرجوع إلى ذاتنا، وديننا، وثقافتنا، وتاريخنا،- فلا بناء ببتر الماضي، واقتلاع جذوره-، وإحياء القيم الروحية لتقف الروح والقلب جنبا إلى جنب مع العقل والتجربة ، الاهتمام بالعلم الحديث إلى جانب العلم الديني، فلا تعارض في الإسلام بين الدين والعلم؛ ولذا كان مشروعه الأساسي هو التعليم، فسبب عثرة الأمة في نظره الجهل الى جانب الفرقة والفقر، وهو في ذلك يتبنى نفس منهج (النورسي) في محاربة الأعداء الثلاثة (الفقر- الجهل- الفرقة)، وكذا اهتم بإعداد أجيال الأمل وارثي الأرض للقيام بمهمة التجديد والإحياء عن طريق التربية في المدارس والمحاضن التربوية .

ولا يعني ذلك عدم الاستفادة والاقتباس من الغرب، فيحق لنا الاقتباس في العلوم الحديثة والتقنية، لا في مجال الدين والقيم.

ويظل النموذج الأبرز في هذه المحاولة النهضوية التي عرضها (كولن) وأهم نقاط تميزها عن محاولات عديدة هو انتقالها من الفكر إلى الحركية، ومن التنظير إلى التطبيق في واقع الحياة إلى الحد الذي انعقد مؤتمر في القاهرة لمقارنتها بمشاريع الإصلاح الأخرى في العالم الاسلامي؛ لمحاولة الاستفادة من تلك التجربة الحية [٢].

وسنعرض لهذا الإجمال بشيء من التفصيل فيما يلي:

من خلال البحث في فكر (كولن) نراه يسوق عدة معالم أو مبادئ لقيام التجديد والنهضة التي ينشدها وأهم تلك المعالم:

١- أشرت سابقا إلى الترابط الشديد بين التجديد والنهضة حتى رأى بعض الباحثين ترادفهما، فالنهضة تكون إثر سقوط وتشمل النواحي الدينية والمدنية وهو نفس مفهوم التجديد، وكولن نفسه يستخدم المصطلحين كمترادفين .

٢- مؤتمر دولي (مستقبل الاصلاح في العالم الاسلامي خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية)جامعة الدول العربية القاهرة ١٩- ٢١ أكتوبر ٢٠٠٩م.

أولا:(المزج بين الأصالة والمعاصرة):

الأصالة والمعاصرة لا ينفصلان، فإذا اقتصرنا على الأصالة، فنحن مقلدون للآباء والأجداد وإذا وقفنا عند المعاصرة، فنحن تابعون لكل من هو غربي أجنبي، والشرط الأساسي للتجديد هو كسر قيود التقليد، وقطع خيوط التبعية، إنه الاستقلال التاريخي، وذلك لا يتم إلا بالنقد المتواصل للذات والآخر[١].

والمتتبع لفكر (كولن) يجده يجمع بين الذاتية(وهو المصطلح الذي يكرره دائما)، أو ما نسميه الأصالة أو التراث وبين المعاصرة التي تعني عدم الانفصال عن الوجود، وأسلوب العصر أو المواءمة بين الفكر والعصر.

يرى (كولن) أن النهضة تبدأ من الرجوع إلى ماضينا وتراثنا الثقافي، التجديد يبدأ بالرجوع إلى الدين لا تجاوزه كما فعلت أوروبا، ومن ثم ينتقد حركات التجديد الشكلي الذي لا يتجاوز الصورة، فمراده هو التجديد بمعنى البناء من الداخل لا استيراد شكل الحضارة وقشورها، فهذا لا يعدو تلوين جروح البدن بالأصباغ والألوان مغفلين النزف الباطني وشرايين روحه[٢].

ويؤكد كثيرا على الحفاظ على الذاتية والروح - ومع ذلك لا يرفض الأخذ والاقتباس من الغرب كما سيتبين ولكن بضوابط- ؛ لأن التآكل الروحي والمعنوي للمجتمع يؤدي إلى انقطاع الأنعم الإلهية عنه، ويؤذن بالخذلان والتراجع، وهذه هي مشكلة المسلمين في العصر الراهن[٣].

يقول (كولن) في التعبير عن الذاتية والمعاصرة: "ينبغي أن نبذل قصارى جهدنا للالتزام بمصادرنا الذاتية أبدا، وأن نحصر الذهن في بلوغ البحر بمجرانا الذاتي، ونحرص على التطلع إلى الوجود من تحت قبة سمائنا، وقراءته ككتاب وتفسيره إذ نقرؤه، واستنباط أفكار جديدة منه"[٤].

إذن التغيير يبدأ من الداخل أو الذات في المقام الأول، وهو نفس الرأي الذي تبناه (مالك بن نبي) إذ يقول : "فالحق ليس هدية تعطى، ولا غنيمة

١- ينظر: الجابري: التراث والحداثة ص ٦٠.
٢- ينظر: كولن: ونحن نقيم صرح الروح ص ٩٦، ١٢٨.
٣- ينظر: كولن: ونحن نقيم صرح الروح ص ١٤.
٤- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ٥٣.

تغتصب، وإنما هو نتيجة حتمية للقيام بالواجب، فهما متلازمان والشعب لا ينشئ دستور حقوقه إلا إذا عدل وضعه الاجتماعي المرتبط بسلوكه النفسي، وإنها لشرعة السماء: غير نفسك تغير التاريخ"[١] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾[٢]، وقد استفاض (مالك بن نبي) في تثبيت هذه القاعدة، بل جعلها شرطا للحضارة ورأى إمكانية تحققها من خلال أحداث التاريخ[٣].

ومن المفكرين المعاصرين الذين قدموا رؤية ومعالجة لتلك العلاقة بين الأصالة والمعاصرة (محمد عابد الجابري) فالنهضة لا تنطلق في نظره من فراغ، بل لا بد من انتظامها في تراث (تراثها هي)، أما تراث غيرها فتتعامل معه كمكتسبات علمية في سلسلة التطور العالمية، فيقول: "والشعوب لا تحقق نهضتها بالانتظام في تراث غيرها، بل بالانتظام في تراثها هي .تراث (الغير)صانع الحضارة الحديثة تراث ماضيه وحاضره ضروري لنا فعلا، ولكن لا كتراث نندمج فيه ونذوب في دروبه ومتعرجاته، بل كمكتسبات إنسانية علمية ومنهجية متجددة ومتطورة لابد لنا منها في عملية الانتظام الواعي العقلاني النقدي في تراثنا، إن من الشروط الضرورية لنهضتنا تحديث فكرنا، وتجديد أدوات تفكيرنا وصولا إلى تشييد ثقافة عربية معاصرة وأصيلة معا وتجديد الفكر لا يمكن أن يتم إلا من داخل الثقافة التي ينتمي إليها"[٤] .

إذن النتيجة التي انتهي إليها (ابن نبي) و(الجابري) هي نفسها ما توصل إليه (كولن) وهي: التغيير من الداخل أو الانتظام في التراث، أو الذاتية كما سماها (كولن)فما هي الذاتية وماهي مصادرنا الذاتية؟ هذا ما سيكون محور الحديث القادم.

❖ المصادر الذاتية:

الذاتية هي الأصالة، هي ميراث الأمة الثقافي في كل الميادين، هي

١- مالك بن نبي: شروط النهضة ص ٣٢.

٢- سورة الرعد الآية: ١١.

٣- ينظر: مالك بن نبي: شروط النهضة ص ٤٩- ٥٨.

٤- الجابري: التراث والحداثة ص ٣٣.

مصادرنا الأصيلة التي استمد منها الفكر والتراث الإسلامي على مر العصور.

وللمصادر الأساسية أو الميراث الثقافي حديث يطول في فكر (كولن) ويستوعب كثيرا من كتاباته.

فيرى أن أهم الأسس في نظامنا الثقافي هي العلاقة بين (الإنسان، والكائنات، والله سبحانه وتعالى)، أما المنطق الأوروبي الحديث وهو ميراث يوناني فيربط ملاحظاته كلها بالإنسان والأشياء والحوادث، ولا يأخذ حقيقة الألوهية بعين الاعتبار، والحال أن الانسان والكائنات في نظامنا الفكري كتاب ولسان ومعرض يعرف بالذات الواجب الوجود (عز وجل)، ويشهر آثار صنعته على عكس الفلسفة اليونانية والمنطق الغربي المعاصر المستمد منها عقل فعال وألوهية عاطلة على النقيض من ذلك في الفكر الاسلامي، فهناك مناسبة دائمة بين الصانع والصنعة وبين الأثر وصاحب الأثر وبين الخالق والمخلوق، فنحن نعتبر الإنسان والكائنات كوسائط نتوجه بها إلى الصانع الجليل، أما أولئك فيقفون عند النتائج العملية لمفهوم الألوهية، ويرجعون كل مسألة إلى الأشياء والحوادث، إضافة إلى ذلك أننا نربط المسائل بالكتاب والسنة والمصادر الأخرى التي يرشدنا إليها الكتاب والسنة إلى جانب العقل الفعال، أما أولئك فيرون العقل والمشاهدة سببا وحيدا للعلم فيضيقون سبل العلم والمعرفة[١].

ومن ثم فإن (كولن) يطلق على تلك العلاقة بين الإنسان والوجود واستكشافه إياها وإدراكه لها مصطلح (العلم)، ويرى كذلك أن مصادر العلم وأسبابه ليست منحصرة في الحواس والعقل فقط، ولكن ينضم إليها مصدر ثالث، وهو الخبر المتواتر (الخبر الذي نقله جمع يستحيل تواطؤهم وتوافقهم على الكذب) سواء المستند إلى الحس أو المستند إلى الوحي[٢].

وأما الثقافة عند (كولن) فتعني: "مجموع المفاهيم، والقواعد، والانسياقات التي تعلمها الإنسان وآمن بها، وطبقها في حياته فصارت - بعناصرها الأصلية والتبعية - بعدا من طبعه حتى تحولت إلى مصدر للمعلومات في اللاشعور"[٣].أو هي:

١- ينظر: كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ٧٧.

٢- فتح الله كولن: سلسلة العصر والجيل -٦ص ١٨٥- ١٩٢نقلا عن علي أونال: فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري ص٢٩٢-٢٩٤.

٣- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ٧٨.

"طراز وسمة الحياة المعاشة في مجتمع، والناتجة من عادات، وتقاليد، وتربية، ولغة، وفن، ومشاعر هذا المجتمع، وكل جزء منها قطعة مهمة من الأسس الكلية للمجتمع"[١].

إذن الثقافة أوسع وأشمل من مجرد المعرفة، وهي لا ترادف العلم كما يرى (مالك بن نبي) فثقافة أي بلد يزرعها العامي كما العالم والعامل كما المثقف، وهي: "مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه"، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته فهي إذن تضم فلسفة الإنسان وفلسفة الجماعة معا[٢].

ويقترب منهما كذلك (بيجوفيتش) في رؤيته للثقافة فيقول: "الثقافة تبدأ بالتمهيد السماوي بما اشتمل عليه من دين، وفن، وأخلاق، وفلسفة "[٣] مؤكدا على أن الوحي هو مصدرها أو منبعها وهو الأمر الذي لم يغفله (كولن) كما سنرى.

وأيضا مصطلح الثقافة أوسع من مصطلح التراث فمصطلح التراث عند (الجابري) يمثل: "الجانب الفكري في الحضارة العربية

الإسلامية: العقيدة، والشريعة، واللغة والأدب، والفن، والكلام، والفلسفة، والتصوف...قبل عصر الانحطاط"[٤].

فالجابري ينظر إلى التراث ليس على أنه بقايا ثقافة الأمة، بل على إنه تمام ثقافتها فهو يجمع كل عناصرها الذاتية إنه: "المعرفي، والأيديولوجي، وأساسهما العقلي، وبطانتهما الوجدانية في الثقافة العربية الإسلامية"[٥].

إذن مصطلح الثقافة الذي يستخدمه (كولن) كتعبير عن الذاتية أو الأصالة أوسع من مفاهيم التراث والعلم، فالتراث يمثل الجانب الفكري و المعرفي، أما الثقافة فتمثل كيان الأمة كلها بمجموعه بما فيه من الجوانب الفكرية والمعرفية وغيرها.

ويرى (كولن) أن الخطأ الذي وقعنا فيه كأمة - دائما- هو أننا بدلا من جعل القديم أساسا متينا ليقام عليه الجديد، وتطوير القديم بمعطيات الجديد فصلناهما،

١- كولن: الموازين ص ٨٠.
٢- ينظر: مالك بن نبي: شروط النهضة ص ٨٣.
٣- علي عزت بيجوفيتش : الإسلام بين الشرق والغرب ص ١٠٧.
٤- التراث والحداثة ص ٣٠.
٥- التراث والحداثة ص ٢٤.

فأحيانا استعدينا بعضهما على بعض، وأحيانا عارضنا بينهما، فأدينا إلى حصول معضلات في الأسس، ولذا يرى (كولن) أنه من أجل بناء فهم ثقافي -لأمتنا- أمتن وأسلم يجب ألا نفدي قيم ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا بعضها ببعض مع مراعاة الأولوية للمستقبل، وأن نوقر ونصون الديمومة والتوسع بنفس الدرجة[١].

ويرى أن ديمومة الثقافة بذاتها منوط باستقلالها، لكن لا بد من وجود إطار من المرجعيات تنظم بناءها الذاتي والمستقل، وقد حدد هذه المرجعيات والأسس في عدة مصادر :

١- الكتاب الكريم:

فالقرآن الكريم كتاب شامل لجميع مناحي الحياة، ينظر للإنسان ككل مراعيا أبعاده الحيوية من حس وشعور وإرادة، ويشير إلى الكائنات والكون فهو للعالم الإنساني كتاب تربية، ومجلة معرفة، وقاموس علوم، ودائرة معارف، وللعالم الإسلامي مصدر علم وعرفان وحكمة عليا، إنه كليات قوانين نظمت حياة المسلمين الشخصية، والعائلية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، ودليل السير والسلوك بمحتوياته من الدعاء، والذكر، والفكر.

ويقول: "هذا الكتاب ينير أفق عرفاننا، بحيث لا يتعرض الإنسان حينما يسير على هداه نحو "عرش كمال" قلبه لوحشة الطريق، ولا احتقان الفكر، ولا انقباض الروح، يسير دوما في هذا الطريق الذي يحس إبان السير فيه بتداخل العلم مع الإثارة والنشوة والإيمان مع المشاهدة، وثقل الحمل مع الاطمئنان والالتزام بالنظام مع الإحساس بالأمن"[٢].

٢- السنة النبوية:

هي أقوال النبي (صلى الله عليه وسلم) وأفعاله، و تقريراته، يقول كولن: "السنة سواء بفضل سعة مساحتها في التشريع، أو بمرونتها القابلة لتفسيرات متنوعة، لا زالت مصدرا مباركا لا نجد له نظيرا في العطاء في أي دين آخر أو أمة أخرى، فهو المصدر في التفسير، أو الفقه، أو المسائل الاعتقادية، أو

١- ينظر: ونحن نبني حضارتنا ص ٧٨- ٧٩.

٢- ونحن نبني حضارتنا ص ٨٤.

الأخلاق، أو الزهد، أو التقوى، أو الإخلاص"[١].

وبالإضافة إلى هذين العمادين وفي إطار مرجعيتهما يأتي التفسير، والحديث، وأصول التفسير، وأصول الحديث.

بالإضافة إلى الفقه، وأصول الفقه، فلهما قيمة كبرى، يقول كولن: "إن كل حضارة تفخر بقيم تخصها بالذات، فالفقه وأصول الفقه من أهم وأبرز قيم حضارتنا نحن وأحسب أننا لو كنا نحتاج إلى أن نصف حضارتنا - باعتبار ماضينا- بصفة لكان من الأنسب أن نصفها بحضارة الفقه وأصول الفقه"[٢]؛ وذلك لانفتاحها على الفكر والعقل والمنطق والفلسفة، وهي من أهم المجهودات غير المسبوقة لبناء وتطوير نظام حقوقي متكامل، وعلم قانوني لا يشوبه نقص، وتوسيعه لاستيعاب كل العصور.

٣- الاجماع:

وهو مصدر مهم في ميراثنا الثقافي، وقد عرفه (كولن) بقوله: "اتفاق علماء الإسلام المجتهدين في العصر الواحد على مسألة دينية معينة"[٣]، وهو ميزة خاصة بهذه الأمة يقوم به المتخصصون وليس عوام الناس.

٤- القياس:

"هو إجراء حكم مسألة، أو عمل على شيء نظير له أو شبيه به"[٤].

ويرى (كولن) أن القياس مجال واسع ومهم؛ لانكشاف الثراء الكامن في الكتاب والسنة باعتبارهما لا يحددان بالزمان والمكان، فهو مصدر وافر يراجع دائما في إطار الكتاب والسنة لسد الحاجة المحتمل ظهورها تبعا للزمان والمكان، فلن تنتهي الحلول حيثما كان القياس[٥].

٥- الاستحسان:

معناه عد الشيء حسنا، وقد استعمله كثير من الأصوليين في موضع القياس الخفي وقد يكون توجها إلى دليل أقوى مما يقتضيه القياس، أو تخصيصا

١- السابق ص ٨٤.
٢- ونحن نبني حضارتنا ص ٨٤.
٣- السابق ص ٨٤.
٤- السابق ص ٩٠.
٥- السابق ٩٠.

للحكم الثابت بالقياس، أو استنادا إلى دليل أرجح، أو تركا للقياس في إطار الضوابط الشرعية العامة، أو تركا للعسر إلى اليسر كما يقول كولن.

٦- المصلحة:

هي مصدر تبعي مستقل من مصادر الأدلة الشرعية، وهي مصدر مهم في الحياة الدينية، حيث إنها تحقق فائدة العباد وخيرهم وصلاحهم، وقد أنزل الله الأحكام في الواقع لحماية الدين والنفس والمال والعقل والنسل وبهذا يحتج للمصلحة في أصول الفقه.

٧- التصوف:

خص (فتح الله) المكتبة الإسلامية بكتاب مهم بين فيه مفهوم التصوف، ومقاماته، وأحواله، واهتم بإبراز النواحي العملية من وراء كل حال ومقام [١].

فالتصوف مصدر مهم للمعرفة والثقافة في مساحة واسعة تمتد من الحياة الروحية إلى الأخلاق وآداب العشرة[٢].

وهو جانب يؤكد عليه (كولن) في البناء الحضاري وهو جانب الروح، ويشاركه في ذلك (محمد اقبال) فمع حديثه عن مصادر التشريع الأساسية (القرآن، والسنة، والإجماع، والقياس)[٣] إلا أنه طيلة كتابه(تجديد التفكير الديني) يؤكد على الروح والرياضة الدينية من خلال التصوف على عكس هجوم (مالك بن نبي) على التصوف ورجالاته، واتهامهما بأنهما مصدر تخلف الأمة وعائقا أمام نهضتها[٤]، ولعله يقصد ذلك التصوف السلبي، وهو ما لم يرتضه (إقبال) في نهاية كتابه المذكور أيضا .

٨- علم الكلام:

وهو مصدر مهم في تراثنا الثقافي، وله أهميته في مسائل العقيدة، ورد الشبهات عن الدين[٥].

١- ينظر: وقد ذكرت كل ما يتصل بالتصوف في رسالتي للدكتوراه.

٢- ونحن نبني حضارتنا ص ٩١.

٣- ينظر: محمد إقبال: تجديد التفكير الإسلامي ص ٢٠٠ وما بعدها.

٤- ينظر: مالك بن نبي: شروط النهضة ص ٢٨.

٥- للمزيد ينظر: فتح الله كولن وعلم الكلام، الباب الأول من رسالة الباحثة:(فتح الله كولن وآراؤه الكلامية والفلسفية).

٩- العرف والعادة والعمل:

يقول كولن: "العرف عادة، - وسلوك- تلقاها الناس بالقبول الحسن، وحظيت بالتوقير العام، ولم تخالف العقل والطبع السليم والدين"[١].

ويفرق (كولن) بين العرف وبين العادة والعمل:

أ- العرف يطلق على مجموع العادات الحسنة، والعادة والعمل لا يكونان مستحسنان دائما فيقال عادة حسنة أو عادة قبيحة، وعمل صالح وعمل فاسد.

ب- العرف منه ما هو قولي، ومنه ما هو عملي، أما العادة والعمل فينحصران بالأفعال والأعمال.

ج- للعادة والعمل جهة تتعلق "بالعقل العاطل"، وتستند إلى التقليد وقبول القديم، وقد ذم القرآن هذا الفهم، وعاب التقليد والاتباع الأعمى لكنه مدح العرف وحض عليه باسم "المعروف"[٢] .

يقول كولن: "ولم نقصد هنا الإشارة إلى العرف والعادة والعمل باعتبار مصدريتها في التشريع، واستناد قسم من الأحكام إليها، بل باعتبار أن العرف مطلق والعادة والعمل -مقيدان بشرط عدم المخالفة لروح الدين- مصادر مهمة في ميراثنا الثقافي"[٣].

هذه كانت أهم مصادر تراثنا الثقافي التي لا ينبغي تجاهلها ونحن نسعى في نهضة الأمة والجناح الثاني للنهضة، هو المعاصرة وسيكون فيها تفصيل .

❖ **أما عن المعاصرة:**

المعاصرة تعني مواكبة وموائمة العصر، وأن نجدد علومنا وحياتنا وفق متطلباته، وأن نستخدم أساليبه الحديثة وننفتح على العالم كله مع الاحتفاظ بالذاتية كما أسلفت.

ولا يعارض (كولن) الاقتباس من الغرب ولكن بشرط اقتباس ما ينفعنا من العلوم الحديثة والتكنولوجيا؛ لأن ذلك حلقة متصلة، فلا يمكن أن نبدع بمنأى عن الاطلاع على إنجازات الغرب والبناء عليها، أما شؤون الدين والروح فذلك

١- ونحن نبني حضارتنا ص ٩٤.

٢- السابق ص ٩٤.

٣- السابق ص ٩٥.

بالرجوع إلى الوحي وقيمنا الذاتية، فيقول: "فيلزم المسلم ألا يهمل قيمه الذاتية ألبته، وأن يحاول الاستفادة من المصادر الأجنبية بشرط استئذان النظم والقواعد الأساسية الذاتية، وتنقيتها بالترشيح في تلك المصافي، ولكي لا يساء فهم المقصود نقول: إن الإسلام لا يمنع المسلمين من تعلم علوم الفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، والفضاء، والطب، والهندسة، والإدارة العامة، وإدارة الأعمال، والزراعة وأمثالها، بل يحثهم على التخصص فيها وأخذها والاستفادة منها من أي مصدر كان لكنه لا يريد أن يبقى المسلمون تبعا لغيرهم على الدوام، بل يحبذ لهم الاستفادة مما عند الأجانب من هذه الأمور، ثم التخلص السريع من استجدائها، وإقامة عالمهم الذاتي في الأوامر الإلهية التكوينية كما في الأوامر التشريعية"[١].

إذن لا يمانع (كولن) ولا يعارض الانفتاح على الغرب، والدليل على ذلك أنه تبنى الحوار مع أهل الأديان الأخرى، وكذا لا يعارض الحداثة المفيدة لا مجرد التقليد والقشرة الخارجية، وقد استفاد من هذا الانفتاح في إقامة المدارس، والمؤسسات الخيرية في كل دول العالم، وكذا المراكز الأكاديمية، ومؤسسات الحوار، والمؤسسات الإعلامية .

فالإسلام يرحب بالعلم ولو في آخر الأرض، ويحث أتباعه إلى الاستفادة من الحكمة أيا كان مصدرها، ولكن بضوابط لا تخل بقيمنا وتجعلنا أتباعا نتعلق بذيل الأمم، ننقل ولا نبتكر، ونقتبس ولا نخترع.

يؤكد كولن أن "الاسلام منفتح على اقتباس ما يمكن اقتباسه من قيم الأمم الأخرى، فالإسلام يبحث عن كل فائدة ومصلحة وإن كانت في أقصى بقاع الأرض، ويطلبها أنى يجدها، وكما اقتبس في الماضي من علوم الفيزياء والكيمياء...ثم قومها وطورها وأودعها أمانة للأجيال الآتية، فكذلك اليوم أيضا يأخذ كل ما يمكن أخذه أينما وجده، وينميه، ويودعه أمانة الوارثين الجدد"[٢].

فالعلم مشاع لا وطن له، ولا يمكن أن تحتكره أمة، أو تدعي أنها تعهدته من منبعه حتى الآن، فقد شاركت فيه الأمم على اختلافها كل أمة وضعت في

١- ونحن نبني حضارتنا ص ١٨٩.

٢- السابق ص ٥٤.

بنائه لبنة، على عكس الحضارة فليست مفاهيم واحدة أو مشتركة، فإن لكل أمة حضارة وأيديولوجية ومفاهيم خاصة بها تصنع سلوكها، وتحدد معالم رقيها، أو همجيتها، فهي المفاهيم التي تصوغ حياة الأمة[١] .

من ثم فيمكن تناقل العلم بين الأمم والبناء عليه؛ لأنه ميراث مشترك، أما الحضارة فينبغي لكل أمة أن تصنع نسيجها الخاص فحينئذ يمنع الاستيراد والاقتباس مطلقا.

ولذا يرى (كولن) أن "الثقافة قد تنتقل من مجتمع لآخر نتيجة احتكاك الأمم بعضها مع البعض الآخر، مثلها في ذلك - بمقياس ما- مثل المدنية، ولكن إن لم يتم مرور هذه الثقافة من خلال عملية تصفية ضرورية تقوم بها روح الأمة وإن لم تتم عملية فرز واصطفاء فلا مهرب آنذاك من حدوث أزمة ثقافية وأزمة مدنية"[٢] .

بل يرى أن الأمة التي تسعي لإدامة ذاتها وبقائها، ولكنها تسلم نفسها إلى حضارة ومدنية أخرى تشبه شجرة علقت عليها أثمار شجرة أخرى، وتصبح محلا للسخرية، وذات مظهر خادع، بل سيؤدي ذلك الاتباع إلى اضمحلال الأمة وزوالها.

فالثقافة الحقيقية تتشكل بالمزج بين الدين الحقيقي، والأخلاق، والعلوم، ولا يمكن الحديث عن ثقافة حقيقية في جو من اللادينية، والهبوط الأخلاقي، والجهل[٣].

ويرى أن من مقتضيات كون الانسان خليفة الله في الأرض أن يكون عاشقا للحقيقة وحريصا على العلم، والتحري، والبحث، واكتساب المهارة في كل مجال، ولكن هناك قيد قد وضعه (كولن) وهو التوقي والحذر من الأخذ من المصادر الأخرى الأمور المتعلقة بالعقيدة والكتاب والسنة والفكر الاسلامي؛ لأن هؤلاء الغربيين قد نصبوا العداء للمسلمين فلا يرجى منهم التصرف بحسن نية مع تراثنا أما مجالات العلم والتكنولوجيا فهما خارج هذا الإطار، فلا بأس من

١- ينظر: د/ عبد المنعم النمر : حضارتنا وحضارتهم ص ٤ دار المعارف سلسلة كتابك(٤٣).
٢- كولن: الموازين ص ٨٠.
٣- السابق ص ٨٠، ٨١.

تناقلهما بين الأمم، فليسا حكرا على دين أو أمة، فتستطيع أي أمة سليمة الفكر والمعتقدات "أن تعتصر هذه العلوم الصرفة وتقطرها في روحها، فتجعلها صوت قلبها ونفسها، ووسيلة توصل البشر إلى الله تعالى" [١].

وهو هنا يشير إلى الصلات والوشائج بين الإنسان والكائنات، والباري تعالى، فكل ما في الوجود، وكل ما يحصله الإنسان من علوم تدل على الله تعالى وتصله به، وقد سبق أن بينت موقف (كولن) من الحداثة.

ثانيا: المزج بين الروح والعقل:

فبدون القلب والروح لن تنهض أمة، فقد وصل الغرب إلى ذروة الرفاهية والراحة ولكن تنقصه السعادة الحقيقية المتمثلة في القيم الروحية، فقد أعلى الغرب الفكر المادي والحس على القيم والروح، ولذا كان التصوف في فكر (كولن) من المصادر الأساسية في بناء الحضارة مع القرآن والسنة.

شخص (كولن) أزمة الغرب رغم وصوله قمة الحضارة المادية والرفاهية بأنها أزمة غياب القيم الدينية والمعنوية - وهي نفس الملاحظة التي أبداها محمد اقبال[٢]-، فقد شنوا الحروب، وأشاعوا الرق والاستغلال، وأصبح الغرب يسلي نفسه بالمنجزات العلمية والتكنولوجية هنا وهناك، وبالثروة والراحة، ولكن كل ذلك لم يمنح سعادة مستمرة للإنسان؛ ولذلك ما من شيء يتخذه دواء وعلاجا إلا ويزيد في قتامة نفسه، ويضيف بؤسا إلى بؤسه الروحي؛ وذلك لخطئه العظيم في تحديد نقطة الانطلاق - وهي الروح- وفي المقابل فإن أمتنا بدأت تعود إلى روحها بعدما لجؤوا إلى الآلة والمقاييس المادية لأزمان فزادتهم عبودية ورهقا، فبدأ إنساننا يستيقظ على وعي تام يسد الهوة السحيقة بين واقعه وذاته يقول كولن: "وإن مصدر قوة روحه اللازم الذي لا فكاك منه في هذا السبيل هو اكتشاف حقيقة الإيمان من جديد واستشعاره في وجدانه، وتغذية إرادته بالعبودية لله ...ثم الارتباط الدائم بالعالم الآخر، وامتلاك آفاق روحية رحيبة، فإن أفلحنا في التزود بمثل هذه الذخائر المعنوية - فعندما يهتف الربيع ويحل الموسم- ستهرع إلى الحياة تلك البذور المنثورة بنشوة العبادة في أرجاء الأرض كلها وستحيي عهودا

١- ينظر: كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ٥٤.

٢- ينظر: محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ص ٢١٣.

وردية عديدة"[١].

ويرى أن من أجدى الأمور في بناء الجيل الحاضر هو "تيسير تنقلهم بين عوالمهم الداخلية وبين حقائق الوجود، بتحفيز عزم التفكر المنظم لديهم، وتحبيب الإيمان والتعلم والتمحيص والتفكير إليهم، بتدريبهم على مطالعة الآفاق والأنفس ككتاب مفتوح...وأن ننقلهم إلى عوالم أرحب عن طريق إنقاذ أرواحهم من السجن البدني الضيق، ثم إزالة الكدر والقسوة من أرواحهم، وإيقاظ قلوبهم المتأججة شوقا إلى الآفاق الماورائية"[٢].

وهو في ذلك كله يؤكد على السير في طريق التصفية ذلك الطريق الذي سار فيه الصوفية طيلة أعمارهم، ولكن ليس لازما أن نكون أهل طريقة للقيام بذلك بدليل (كولن) نفسه لم يتبع طريقا صوفيا، وإن انتهج طريق التصوف من الزهد والتصفية ورآه خلاصا للمسلمين اليوم؛ لأن الأرواح التي لم تكتسب خفة بالتصفية بالإيمان والمعرفة والمحبة لن تقدر أبدا على التحليق في سماوات ما بعد الأفق، ناهيك عن ترك رغباتها الدنيوية كما يقول كولن[٣].

وبالإضافة إلى الروح يولي (كولن) أهمية كبرى للعقل، ويمزج دائما بين العقل والمنطق وبينهما وبين القلب والروح في منظومة واحدة فيقول: "يصبح العقل شريانا رئيسا بين العالم الداخلي والعالم الخارجي، ثم ما يلبث أن يتخذ هوية مختلفة تماما حين يتحد مع (الوجدان)إن الوجدان أيضا يصبح من الناحية العملية كذلك (عقلا) يحكم ويحدد حركتنا واتجاهنا "[٤].

فالعقل والقلب وأحاسيس الإنسان مع الوحي لها في نظامنا الفكري، أهمية بالغة وكأنها وجوه متنوعة لشيء واحد، حتى إننا لا نجد في نظام قبله ولا بعده مثيلا له في رعاية التوازن بين العقل والقلب والروح.

وهو أهم معلم في فكر كولن- أي الجمع بين الروح والعقل وغيرها من الثنائيات-، وهي ملاحظة أبداها كثير من المفكرين، فيقول الدكتور (عبد الحميد مدكور): "من خصائص منهج كولن التخلص من الثنائيات المتضادة التي وقع

١- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ٦.

٢- السابق ص٦.

٣- السابق ص٦- ٨.

٤- فتح الله سلسلة العصر والجيل-١ ص ٥٠ نقلا عن فتح الله كولن ومشروعه الحضاري ص .٣٠٨

فيها مفكرون آخرون كالقول بالتناقض بين الدين والعلم، أو بين الفكر والعمل، أو بين العقل والروح، أو بين الفلسفة والتصوف، وهكذا بل إن (كولن) على عكس هؤلاء يعمل على مزج هذه الأمور التي تبدو عند غيره متضادة، وهو يستخدم في كل جانب منها ما يؤدي إلى التكامل مع الجانب الآخر، فالثنائيات في فكره تتكامل ولا تتناقض"[١].

ويؤيده في هذه الفكرة - فكرة عدم التناقض، والارتباط بين العلم والدين والقلب والعقل- الدكتور (عبد الإله مصباح) في مقال له عن (فتح الله كولن)[٢].

ثالثا: عدم التعارض بين العلم والدين:

العلاقة بين العلم والدين حديث يطول في كتابات (كولن) العديدة.

يقول كولن: "العلم والدين وجهان لعملة واحدة، فالدين يدل الإنسان على الطريق المستقيم الذي يوصله إلى السعادة، أما العلم - الذي له هدف وغاية معلومة- فهو مشعلة ومشكاة تضئ في ساحتها هذا الطريق"[٣].

ويرى (كولن) أنه إذا أردنا التقدم فالعلم - كل العلم الديني والدنيوي- شرط اللحاق بركب الحضارة والمشاركة في التوازنات العالمية؛ ولذا كان من مرتكزات مشروع كولن بناء المدارس التي تجمع بين علوم الدين والعلوم الحديثة؛ لبناء إنسان متكامل مواكب للعصر .

و(كولن) لكونه إنسانا واقعيا مطلعا على الغرب وأسباب نهضته يقدر العلم التجريبي ويرى أن الحواس، والتجربة، والعقل من مصادر، وأسباب العلم جنبا إلى جنب مع الوحي[٤].

ويرى (كولن) أن الغاية من خلق الإنسان هي النظر، والتأمل، وتحصيل العلم والمعرفة، ونقل ما تعلمه للآخرين. والذين يهملون التعلم والتعليم أموات وإن كانوا على قيد الحياة[٥].

١- مجلة حراء السنة التاسعة عدد ٤٢ عام ٢٠١٤م.

٢- فتح الله كولن عالم أسس لفكر حضاري (كلية العلوم جامعة ابن طفيل بالمغرب) مجلة حراء السنة التاسعة عدد ٤٢ لعام ٢٠١٤م.

٣- الموازين ص ٩٤.

٤- ينظر: فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري ص ٢٩١.

٥- ينظر: الموازين ص ١٠ .

وليس في الإسلام تعارض ألبته بين الدين والعلم كما حدث في الغرب المسيحي فالأمر- الصراع بين الدين والعلم – له ما يبرره في الغرب المسيحي الذي بدأ في العصور الوسطى التي استندت فيها الكنيسة إلى فكرة الخلاص وإهانة الحياة الدنيوية وذمها وحاولت إقامة مملكة روحية، وإخضاع كافة المؤسسات العلمية والتربوية لسلطانها إلى جانب أن هناك نصوصا في الانجيل ضد العلم والمعرفة وأيضا ما ذكر في بعضها حول معارضة العلماء للمسيح كل هذا أدي إلى مثل هذا الصراع الذي انتهى بالثورة على الكنيسة وتأليه العلم المادي[١] .

أما في الإسلام فلا يوجد ما يبرر هذا الصراع فالإسلام يتناول الإنسان ككل، عقله وقلبه وروحه، والنظام الذي جاء به يفتح أبوابه لكل التطورات العلمية والحقائق الكونية، بل يعد الكون كتابا يجب على الإنسان قراءته، وتأمله، وإجراء التجارب فيه، والقرآن بذكره أسس الحوادث الطبيعية والشريعة الفطرية لعب دور الرائد للعلم والتفكير الحر، إضافة أن فيه إشارات إلى العلوم التجريبية والعلم العقلاني، بل انتقد القرآن الظن، والتخمين، والتقليد للآباء، والشعارات الجامدة -عكس ما قامت به الكنيسة من تأسيس ثقافة تقليدية متوارثة عن الآباء - إضافة إلى دعوات عديدة بالتفكر والتأمل والبحث والعقل [٢].

وقد شجع الإسلام الفكر، والبحث العلمي، وأسس أعظم حضارة علمية ومعنوية في التاريخ اعتمدت على العلوم. والعدو الأول الذي حطم تلك الحضارة وأدي إلى هزيمتهم في العصور اللاحقة هي عدم وفائها للإسلام بالشكل اللازم[٣].

وهو الأمر الذي يؤكده غير واحد من مفكرينا كمحمد اقبال الذي أكد أن القرآن هو الذي ربط المسلمين بالفكر الواقعي على عكس الفلسفة اليونانية التي اهتمت بالنظري المجرد، وخطأ المسلمين - في نظره- مرجعه إلى الاتجاه نحوها وإغفال القرآن، بل كان المسلمون هم رواد المنهج التجريبي قبل (بيكون)

١- ينظر: محمد أنس أركنه: فتح الله كولن جذوره الفكرية ص ١٩٥.

٢- فتح الله كولن وجذوره الفكرية ص ١٩٧- ١٩٨.

٣- كولن سلسلة العصر ة والجيل -٦ ص ١٩١نقلا عن فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري ص ٢٩٦.

باعترافات الغرب أنفسهم[١].

فمصادر العلم في الإسلام الطبيعة مع رياضة الباطن، والتاريخ كما يرى (إقبال)[٢]، والطبيعة تشير للحس، والتجربة، والفكر، فالإسلام يقدر العلوم جميعها.

وإذا رجعنا إلى فكر (كولن) نراه يؤكد كذلك على هذا الأمر، ويرى أن العلوم الوضعية تؤمن سعادة الإنسان، وترتفع بمستواه، ولا تقوده إلى الإلحاد كما يدعي بعض الناس، أو تعادي الدين كما يرى بعضهم[٣]؛ ولذا يشجع (كولن) على العلم التجريبي مع سائر العلوم، ولا يرى بأسا في الرجوع إلى العلم - أي علم- عند شرح الحقائق الإسلامية والقرآنية وإثباتها؛ لأن عصرنا هو عصر العلم؛ لأنه لا يوجد في الإسلام أي شيء على الإطلاق ينتقض العلم ويتعارض معه، وإن وجد فما هذا إلا؛ لأن العلم لم يقل بعد كلمته الأخيرة في المسألة[٤]، وقد عرضت تلك الفكرة والقيود التي أبداها (كولن) عليها في الحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم[٥].

ولذا يعرض (كولن) دوما لثلاثية (العلم الشرعي - التكية - المدرسة الحديثة) كدليل على تآزر العلم والدين والروح، ومن هنا يرى أن الخطأ الذي يقوم به الغرب هو ربطه كل شيء بالمادة فقط، وإهمال الدين والروح، فيقول: "إن النظريات الوضعية والمادية قمعت الحياة الفكرية والعلمية تماما، فصار كل شيء يفسر وفقا لفهم بعينه وما ذلك إلا نتيجة لإرجاع تفسير الكون والحوادث إلى نمط واحد وضيقت الطرق المؤدية إلى الحقيقة، وربط كل شيء بالطبيعة والمادة، وأهملت الأوساط الميتافيزيقية تماما"[٦].

١- ينظر: محمد إقبال: تجديد التفكير الديني ص ١٥٢- ١٥٥.

٢- ينظر: تجديد التفكير الديني ص ١٥١.

٣- ينظر: الموازين ص ٩٩.

٤- ينظر: علي أونال: فتح الله كولن ومشروعه الحضاري ص ٣٠٤.

٥- ينظر: دلائل نبوته- صلى الله عليه وسلم- في رسالتي للدكتوراه(فتح الله كولن وآراؤه الكلامية والفلسفية).

٦- فتح الله كولن نقلا عن: علي أونال: فتح الله كولن ومشروعه الحضاري ص ٢٩٧.

ومع انتقاده لمادية الغرب واهتمامه بالعلم والفكر المادي فقط[١]، وإهمال ما عداه من شؤون الدين والروح ينتقد كذلك المسلمين في إهمالهم العلم، فيقول: "المدنية الغربية التي حسبت كل شيء محصورا في العلم ظلت مدنية مشلولة، أما المدنيات الشرقية التي انعزلت عن العلم وتقوقعت على نفسها فهي بالنظر إلى موقعها ووضعها الراهن بعيدة كل البعد عن أن تكون مدنية مناسبة للحاضر والمستقبل"[٢].

ونتيجة لكل ما سبق يرى (كولن) أن عندنا مرونة فكرية يفتقدها الغرب ففلسفة العلم في أوروبا قد أوقعت الغرب في صراع دائم بين العلم والدين، فخلف ذلك انفصاما بين القلب والعقل، وأوقعها في معضلات متتابعة، ولم يقتصر عداء الفلسفة والعلم لمعتقدات الكنسية، بل امتد ليشمل العداء لكل الأديان وانقلبت الحركة من عداء للكنيسة إلى عداء للدين والتدين، وإلى محاولة لإسكات صوت المتدينين في العالم وتضييق الخناق عليهم، ولم يكن للعالم الاسلامي مشكلة مع العلم وحرية الفكر لا تاريخيا ولا فكريا، ولكن زمرا من أعداء الدين اتخذوه غرضا لمراميهم العدائية مساوين له بالمسيحية الكنسية.

ومن هذه المقارنة بين التجديد في الغرب الذي بدأ بهدم الدين وبين التجديد الإسلامي الذي أعلى شأن الدين ونادى بالحفاظ على ثوابته انطلق (كولن) لبيان سمات الفكر الإسلامي الذي هو محل التجديد والاجتهاد - كما أشرت سابقا- فعدد خصوصياته الأساسية التي تفترق عن المسيحية وغيرها من الأديان وهو موضع الحديث التالي.

❖ سمات الفكر الإسلامي:

الفكر الإسلامي هو "النتاج العقلي الذي خلفه لنا علماء الإسلام في مختلف الميادين الفكرية من فقه، وكلام، وتصوف، وأخلاق، وفلسفة، وعلوم طبيعية، ورياضية"[٣]،

بين (كولن) الطابع الأساسي للتصور الإسلامي، أو الخصوصيات

١- ينظر: علي أونال: فتح الله كولن جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية ص ١٩٠.

٢- علي أونال: فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري ص ٣٤٢

٣- د/ أحمد عرفات القاضي: تجديد الخطاب الديني ص٣١.

الأساسية للفكر الإسلامي[١] في كثير من الكتابات وعَدَّدَ منها:

أ- الارتباط بين الإيمان والعمل:

فالإيمان الذي أصبح حقيقة راسخة في النفوس ينعكس على كل سلوكيات الإنسان، فتحمل عبادته وطاعاته وتتمحور حركاته الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والإدارية حول قوة الجذب المركزي هذه، وتتشكل فعالياته الفنية والثقافية وفق هذه المقومات الداخلية، يقول كولن: "منذ أن نصب الاسلام سرادقه في الأرض وظف طاقاته كلها في مخاطبة القلوب وفتحها، واستطاع أن يرسم صورته في كل وجدان ثم توجه إلى وحدات الحياة كلها، فثم تناسب دائم بين تعمقه في الصدور وتأثيره في مفاصل الحياة، فبقدر عمق تغلغله في الأرواح وتجذره فيها يتدفق فيض تأثيره في حياتنا وتزداد انعكاساته فيما حولنا"[٢].

ب- نظام قابل للتطبيق في كل زمان ومكان:

كان الإسلام وما يزال حيويا و حركيا يتوسع وينبسط في واقع الحياة ولم يؤجل النظر في أي مشكلة واجهته فيجول في وحدات الحياة بصوت العصر الذي هو فيه، لم يكن الإسلام أيديولوجية مثالية بمعناها المعروف في الغرب، فذلك محض خيال لا ينعكس شعاعها قط على واقع دنيانا المعيش، يقول كولن: "أما الاسلام فقد وعد - ويعد- البشرية بنظام فريد في نوعه، قابل للتنفيذ في كل مجال، مالك لوسائل تحقيقية بديلة في التنفيذ ...فهو بسعة العناية بكل شيء ابتداء من القبول المسبق في الوجدان إلى المسائل الأخلاقية في المناحي النهائية للحياة، ومن أدق المسائل الفردية والعائلية إلى أعظم المعضلات الاجتماعية "[٣].

فالإسلام يفسر أداء الحياة دوما ممتزجا مع الواقع ولا ينادي بأحكامه في وديان الخيال بمعزل عن الحياة حيث يربط أحكامه وأوامره بمعطيات الحياة المعيشة وبإمكانية التطبيق، ولا يبني الأحكام في دنيا الأحلام، الإسلام موجود وحركي في الحياة بكل مساحاتها[٤].

١- كولن: مقال الخصوصيات الأساسية للفكر الإسلامي مجلة حراء السنة الرابعة عدد(٩٦)/ ٢٠٠٩م.

٢- ونحن نبني حضارتنا ص ٤٩.

٣- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ٥٦.

٤- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ٦١.

ج- نظام ذو بعد عالمي:

"يتميز الإسلام عن النظم الدينية والفلسفية الأخرى قاطبة بأنه رسم للإنسانية صورة فكرية وحياتية ذات بعد عالمي، لكن بسيماء خاصة به في الوقت عينه، وحمل المنتسبين إليه مسؤولية أن يجعلوه حياة يحيونها وأمرا ينفذونه "[١].

فحقيقة الإيمان إنما يدوم وجودها بقدر تناميها وتوسعها في الحياة المعيشة والأفق منبسط أمامنا إلى اللانهاية للتطور والتوسع "فكما يكون إيمان كهذا الإيمان في الانسان مصدرا لا ينفد للقدرة والحيوية كذلك يكون قاعدة ومنصة انطلاق للارتقاء به باسم "خلافة الله في الأرض" إلى حق "التدخل" في الأشياء، وتشكيل صور البيئة المحيطة حسب مشاعره وأفكاره اللانهائية"[٢].

د- شمولية الإسلام:

يرى (كولن) أن الاسلام كل يستحيل تجزؤه، ويستحيل أن يُحمَّل جزؤه القِيَم المحمّلَة على الكل، فإن تجزئته إلى أجزاء، ثم محاولة استنباط فهم كامل وتام من الأجزاء غلط وإهانة لروحه.

يقول كولن: " الإسلام إيمان، وعبادة، وأخلاق، ونظام يرفع القيم الإنسانية إلى الأعلى، وفكر، وعلم، وفن وهو يتناول الحياة كلا متكاملا، فيفسرها ويقومها بقيمه، ويقدم لمنتسبيه مائدة سماوية من غير نقص"[٣].

هـ- مرجعية الكتاب والسنة:

من خصوصيات نظام الفكر الإسلامي اعتماده على مرجعية الكتاب والسنة، أكثر من سائر مصادر العلم والمعرفة فهو بذلك يتميز عن سائر التنظيمات الدينية والفلسفية كلها، ومع أنه وقَّر ما هو غير محرف ومبدل من الأديان السابقة لكنه بقى مستمدا من مصادره الأساسية فكيف يحتاج إليها والقرآن متضمن - إجمالا- كل كتب الأنبياء السابقين، جامع للسعادة الأبدية، جامع بين القلب والعقل والهداية[٤] .

١- السابق ص ٥٨.

٢- السابق ص ٥٩.

٣- السابق ص ٦٠.

٤- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١١٠.

وبالنسبة للعلم يسعى (فتح الله كولن) في كل كتاباته المتعلقة بالعلم إلى الإشارة إلى دور الأسباب أو ارتباط الأسباب بالمسببات أو العلة بالمعلول، ويراها من سنن الله تعالى النافذة فيما يسميه بقانون (تناسب العلية)أو(الشريعة الفطرية)، أو(المُعَيَّنِية) فنجاح الغرب هو من مراعاة الأسباب، وهي سبيل تقدم العلم المادي وبالتالي ازدهار حضارتهم، وسبب تخلف عالمنا هو إهمال تلك العلاقة، وإهمال العلم، وقد سبق الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن دور السنن الإلهية في قيام الحضارات.

رابعا- الجمع بين الحركية والفكر:

فهما جناح النهوض بالعالم الاسلامي؛ ولذا كانا محور فكر جميع المصلحين والمفكرين، والباحثين عن نهضة الأمة في هذا العصر أمثال: (محمد إقبال)، و(مالك بن نبي)، و(علي عزت بيجوفيتش)، و(عبدالوهاب المسيري) و(مهاتير محمد) وآخرين[١]

وكثير ممن تكلم عن (كولن) وصف منهجه بالجمع بين الفكر والحركية، بل رأوا أن ذلك من أعظم منجزاته[٢].

وتعني الحركية عند (كولن): "احتضان الإنسان للوجود كله بأصدق وأخلص القرارات والتدقيق فيها، والسير من خلال المعابر التي به إلى اللانهاية، ثم إحلال دنياه في فلك غاية الخلق الحقيقية مستخدما الطاقة الكلية لذكائه وإرادته بالسر والقوة التي اكتسبها من اللامتناهي"[٣].فالحركية إذن تعني الإيجابية والعمل والتحرك في ثنايا الوجود وتطبيق ما يُعتقد من أفكار على أرض الواقع.

وأما الفكر فعمل حركي داخلي، فالفكر المنظم والهادف هو "التساؤل من الكائنات بذاتها عن المجاهيل التي تجابهنا في وتيرة الوجود، والاستماع إلى

١- ينظر: محمد بابا عمي : مقال نموذج الرشد النموذج الحضاري البديل العدد ٤٢/ ٢٠١٤م السنة التاسعة مجلة حراء.

٢- ينظر: د محمد جكيب: مقال التغيير الناجح لمحات من المنجز في رؤية الأستاذ فتح الله كولن العدد ٤٢/ ٢٠١٤م السنة التاسعة مجلة حراء، وينظر: للدكتور أركون جابان : بحث فلسفة الخدمة مؤتمر مستقبل الاصلاح في العالم الإسلامي خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية ص ٢٥٨ دار النيل – القاهرة ٢٠١١م..

٣- ونحن نقيم صرح الروح ص ٥٨.

جوابها عنها أو بتصريح آخر: فعالية الشعور الباحث عن الحقيقة في لسان كل شيء وفي كل مكان بتأسيس قرابة بين ذاته والوجود كله"[١].

فيرى (كولن) أن روح الإنسان تتآلف مع العالم بالفكر حيث يتعمق باستمرار في ذاته وداخل نفسه، ويمزق قوالب العقل المعاش الضيقة ليفيض خارجا، ويتحرر من الأوهام المنسلة إلى الروح، فيوائم بين الحقائق التي لا تزيغ ولا تضل.

ويرى (كولن) أن الفكر والحركية متداخلان ببعضهما، فالفكر سماء ومطر للعمل الحركي، أو فضاء وهواء له، والحركية أرض وسندانة للفكر، أو تراب وقوة الانبات فيه، فكل جهد حركي هو تحقق فكر وبرنامج، وكل فكر هو بداية، وبلوغ مراميه يكون في ثنايا التحركات الملتزمة به، فالمرحلة الأولى للإرادة هي ميل داخلي وحدها النهائي هو العزم والقرار والهم بالعمل.

فيرى كولن: "إن السكون الدائم يعني إهمال التدخل فيما يحدث حولنا، وترك المشاركة في التكوينات المحيطة بنا، والاستسلام للذوبان الذاتي رغما عن أنفسنا كقطعة جليد سقطت في الماء"[٢] .

وهو يرى أن أهم مميزات الحركية الإسلامية والفكر الإسلامي هو: "أن يكون وجودُنا ذاتَنا، وأن نجعل مطالبنا مطالب العالم ورغباته، ثم نجد مجرى حركة لنا في عموم الوجود، ونسيل بذاتنا في مجرانا الخاص ضمن مجريات عموم الكائنات (ويعني الحفاظ على خطنا الخاص إذ نتكامل مع الكائنات كلها)، ومن لا يرتبط باعتبار عالمه الخاص بعموم الوجود، ولا يحس بعلاقاته مع الكائنات، وينكفئ في روابط مطالبه الفردية والجزئية في مواجهة الحقائق الشاملة للعالم فإنه يقطع أواصر ذاته عن الوجود كله"[٣].

وفي حديثه عن إنسان الفكر والحركة الذي يجمع بين الروح وميراثنا الذاتي التاريخي والثقافي، وبين الحركة في الكون بالعقل والمنطق، وصبغ الحياة العملية بفكره أشار أن رجل الفكر والحركة قد يكون عالما، أو فنانا، أو رجل

١- السابق

٢- ونحن نقيم صرح الروح ص٥٧.

٣- ونحن نقيم صرح الروح ص ٥٨.

دولة، أو رجلا يجمع بين كل هؤلاء وذكر عدة شخصيات - كلها من المحيط التركي- دليلا على أثر الفكر والحركية في المجتمع، منهم: (محمد عاكف)- (مصطفى صبري بك)- (نجيب فاضل)- (سليمان أفندي) - (بديع الزمان النورسي) وآخرون متحدثا عن جهاد كل منهم في طريق الفكر والحركة وأطال في ذكر جهاد ومآثر (بديع الزمان) خاصة[١].

ويبدو أن حركية (كولن) هي ما تحدث عنه (مالك بن نبي) باسم (المنطق العملي)فالذي ينقص المسلم - وفقا لمالك- ليس منطق الفكرة ولكن منطق العمل والحركة، وهو ما نجد عليه الإنسان الغربي من نشاط وعزم وحركة دائبة مع ركود المسلم وفتوره رغم أن القرآن يأمره بذلك[٢].

وهذه أهم مشكلات العالم الإسلامي وحركات الإصلاح التي كانت معظمها تنظيرا للإصلاح دون إقراره واقعا، وهو ما يميز (كولن) ومنهجه- وفقا لكثيرين[٣]- ذلك أنه ربط الفكر بالعمل وشيد مؤسسات في مجال التعليم، والتربية، والإعلام والإغاثة،[٤] والحوار، والاقتصاد[٥] .

١- ينظر: ونحن نقيم صرح الروح ص ٦٣- ٧٩.

٢- ينظر: مالك بن نبي: شروط النهضة ص ٩٥- ٩٦.

٣- ينظر: مؤتمر مستقبل الاصلاح في العالم الإسلامي خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية.

٤- أعمال الإغاثة عن طريق جمعية (هل من مغيث) المنتشرة في كثير من دول العالم؛ لإغاثة الشعوب في النوازل كالزلازل وتقديم الخدمات التعليمية في البلاد الفقيرة المنكوبة فقد افتتحت الجمعية ١٠٠٠مدرسة في= أفريقيا، إلى جانب أعمال أخرى كتوزيع الأضاحي على المحتاجين وحفر الآبار لحل مشكلة الماء في المناطق المحرومة وقد حفرت الجمعية حوالي سبعين بئرا .من لقائي مع أ/ إلهامي أونال رئيس جمعية ETBAفي مصر.

٥- مثل جمعية tuskon وهي منظمة مجتمع مدني غير ربحية لتقديم خدمات لرجال الأعمال، ولهذه الجمعية ٥٥ ألف عضو في تركيا وتضم تحت لوائها ٧ اتحادات، ولها ممثلين في ١٦٠ دولة على مستوى العالم، وهدفها القضاء على الفقر حيث يساهم رجال الأعمال في المشاريع الخيرية، وخاصة في مجال التربية، ومساعدة رجال الأعمال متوسطي الدخل. وفرعها في مصر ETBA(جمعية رجال الأعمال المصرية التركية)، وهدفها تشجيع رجال =الأعمال الأتراك على الاستثمار في مصر ،ومساعدة رجال الأعمال المصريين على تطوير أعمالهم وتصديرها خارج مصر، وهناك ٢٠٠ شركة تركية مستثمرة في مصر، وأغلبها عضو في الجمعية. حوار أجريته مع رئيس جمعية ETBAبمصر الأستاذ إلهامي أونال وترجم اللقاء: الأستاذ سنان

خامسا- تحقيق الوحدة:

يقصد (كولن) الوحدة بين أفراد المجتمع ونبذ الخلافات والتعصب للمذاهب والشخصيات، فيقول: "من شروط تقدم الأمة وصول أفرادها إلى وحدة الهدف والغاية، فلا يمكن تقدم صحيح وسليم في مجتمع انقسم أفراده شيعا وطوائف متناحرة"[١]، ويقول كذلك: "الأمة التي تكون فيها العلاقات الموجودة بين أفرادها علاقات قوية كقوة العلاقات العائلية- تكون مرشحة للسير نحو الأمام بثبات، أما إن كان الود مفقودا بين أفرادها، والثقة معدومة فيما بينهم، والعداء ساريا، فمثل هذه الأمة لن تكون أمة بالمعنى الصحيح ولا تملك أملا للمستقبل"[٢].

بل يرى (كولن) أن الانقسام من أكبر الأخطار التي تقف عقبة في سبيل النهضة: "ويمكن القول دون أي تردد أنه لا يوجد، ولا يمكن تصور وجود خطر أكبر من هذا الخطر الداهم أمام نهضتنا من جديد"[٣].

ولذا كان من برنامج (كولن)، ومن منهجه هو محاربة الأعداء الثلاثة (الفرقة، والجهل، والفقر) كما كان منهج (النورسي) من قبله، فبدأ بجمع شتات الفرق والجماعات المختلفة داخل تركيا للتحاور، والتواصل، والتوحد حول مبادئ عامة مشتركة، فهناك بالتأكيد عوامل مشتركة تجمع بين كل المختلفين، وإن اختلفت أيديولوجيات كل منهم.

وكانت أولى مؤسسات الحوار داخل تركيا هي(وقف جمعية الكتاب و الصحفيين)١٩٩٤م حيث أسست في البداية لتفعيل جو الحوار وحسن النية حيث جمع فيه كل المختلفين من صحفيين، وإعلاميين، وشيوعيين، وعلمانيين، وإسلاميين، وكان الافتتاح الأول بكلمة لكولن عن الحوار، وقبول الآخر في المجتمع، وفي العالم أجمع، ولكن سرعان ما أعقب ذلك فعاليات اجتماعية، وثقافية مختلفة، وامتلك الوقف مجلتين، ودار نشر لإرساء القواعد الفكرية،

يورلماز بتاريخ ٢٠١٥/٦/١٦م.

١- الموازين ص٨٩.

٢- الموازين ص٨٩، ٧٥.

٣- الموازين ص ٦٢.

وتوسع حتى صار حوار بين الأديان والحضارات[١].

وقد تخطت فكرة الوحدة المجتمع التركي، وكانت أساسا لمؤسسات حوار عالمية فيما بعد، وتوالت لقاءات (كولن) مع المسؤولين والصحفيين، بل وغير المسلمين كلقائه مع البابا (جان بول الثاني)عام ١٩٩٨م[٢].

وقد سبق أن عرضت لفكرة (كولن) عن الحوار مع الآخر، وقضايا السلام والتسامح التي يتبناها ويعمل على تحويلها إلى واقع معاش لخدمة الإنسانية كلها.

مما سبق يتبين أن:

١- مصطلحات الإحياء، والبعث، والتجديد، والنهضة كلها متقاربة، بل وتحمل نفس المعنى في الفكر الإسلامي المعاصر ومنه فكر(كولن).

٢- قدم (كولن) رؤية متوازنة للتجديد والنهوض بالعالم الإسلامي، تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

٣- أبرز ما في منهجية النهضة التي تبناها (كولن) هي الحركية، والفاعلية، وتحويل الأفكار والرؤى إلى واقع .

٤- التجديد يبدأ من الروح وإعادة الحياة إليها؛ بوصلها بغذائها الروحي، ومن ثم فهو إقرار بأهمية الحياة الروحية وضرورتها في هذا العصر، وأرى أن الأكثر ضرورة هو الاهتمام بها في مجال العقيدة خاصة؛ حتى نصوغ أفرادا مؤمنين لا دارسين فقط ؛ ولذا جمع منهج (كولن) بين الروح والعقل في مزاوجة فريدة.

٤- التركيز على سمات الفكر الإسلامي وثراؤه وخاصة في محاولات التجديد في أي مجال من المجالات؛ حتى نعيد الإسلام للوجود ويصير مصدر عزة وفخر أجيالنا كما كان في عهد أسلافنا، وحتى يرى المسلم إمكان الاعتماد على ذاتنا في إحداث التجديد والنهضة والاستغناء عن الوارد الأجنبي.

١- ينظر: أرطغرول حكمة: فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر ص ١٠٤. وينظر: محمد أنس أركنه: فتح الله كولن جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية ص ٤٤ .

٢- ينظر: فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر ص ١٠٩.

المبحث الثالث

التطبيق العملي لفكر كولن في التجديد

بعد هذا العرض عن مفهوم التجديد، وضرورته، ومجالاته، ثم عن منهج (كولن) في التجديد والنهضة يثار تساؤل مهم وهو:

ما موقع (فتح الله كولن) من التجديد، أو هل بالفعل جدد (كولن) فيما بحثه من مسائل وقضايا؟.

أما الجواب: فقد طبق (كولن) بالفعل واعتمد منهجا ذاتيا في التجديد في كل ما بحث وكتب، وطبق المنهج الذي أشرت إليه في المبحث السابق على النحو التالي:

أولا: فيما يتصل بإعادة فهم النص وهو معنى من معاني التجديد السالفة الذكر، فقد التجأ (كولن) إلى:

أ- المعين الأول، القرآن الكريم في كل مسألة بحثها، إلى جانب أن له تفسيره الخاص لمعاني القرآن الكريم- له كتابان في هذا المجال: خواطر قرآنية و خواطر حول سورة الفاتحة-، تفسيرا يخاطب الروح - قبل كل شيء-، ويقنع العقل؛ لأن العصر عصر العلم والعقل؛ وكان له حديث فريد عن إعجاز القرآن الكريم[١].

ب- المعين الثاني(السنة النبوية)، فكانت شواهدها جنبا إلى جنب مع آيات القرآن الكريم في سائر ما كتب، إضافة أن له حديثا طويلا عن السنة النبوية، وأهميتها، وله تفسيره الخاص لمعانيها، وبيان عظمة النبي من خلالها، وقد خصها بحديث منفرد في كتاب خاص هو (السنة النبوية ومكانتها في الشريعة الإسلامية) ضمه بعد ذلك لكتابه النور الخالد[٢] إلى جانب اهتمام خاص بالإعجاز العلمي لأحاديث النبي وأقواله التي تتصل بالعلوم المختلفة، والتي صدقها العلم الحديث.

ثانيا: أما عن بحثه ودرسه في مجال العقيدة:

١- فقد جدد في اللغة فكانت سهلة واضحة علمية؛ لتناسب العصر ومنطقه،

١- ينظر: فتح الله كولن وآراؤه الكلامية والفلسفية رسالة دكتوراه للباحثة.

٢- ينظر: النور الخالد ص ٦٠٩-٧٢٣.

وأفهام أهله، فقد استخدم لغة العصر في كتاباته ولم يستخدم لغة المتكلمين القدامى أو العصور الخوالي والتي به بعض الغموض والاستغلاق بالنسبة لجمهور المسلمين.

٢- جدد في الأسلوب والعرض، فكان يجمع بين الروح والعقل (التأثير على الوجدان مع الإقناع العقلي).

فكان في كل قضية يبحثها يحاول التأثير على الوجدان مثلما فعل في القدر فتكلم عن الثمرات الإيمانية من وراء الإيمان بالقضاء والقدر، وكذا عندما تحدث عن الهداية، والصحة والسقم، وحكمة الله في المنع، والتوفيق واللطف، والرزق في مبحث أفعال الله، وكذا عندما تكلم عن الموت واليوم الآخر اختلط الكلام بالتصوف وحاول مع الاقناع العقلي التأثير القلبي أيضا .

يرى كولن أن للموت بعدا أخر غير ما يظهر للناس فليس شبحا ولا عدما وعدد فلسفته تلك في عدة نقاط سماها الوجه الآخر للموت ومن هذه الآثار والفوائد أن الموت وصال مع الحبيب الأزلي فيقول:" الموت يتضمن نصيحة صامتة بليغة وهي أن أي موجود لا يكون قائما بذاته بل إن كل شيء يشير (مثل المصابيح التي تتعاقب فيها الإضاءة والانطفاء إلى الشمس الأبدية التي لا تنطفيء) إلى طريق الاطمئنان والسعادة للقلوب...عند ذلك تتحرك في قلوبنا شعور بالبحث عن حبيب لا يزول ولا يغرب ونبض هذا الشعور في قلوبنا هو المرحلة الأولى للوصول إلى الأبدية"[١].

أما بالنسبة للإقناع العقلي فأكثر من استخدام العلم ومنجزاته- كما فعل في الإعجاز العلمي، والرد على المنكرين لوجود الله، وفي المنكرين لاستئثار الله تعالى بالغيب وغيرها الكثير-؛ لخدمة قضايا العقيدة، وأكثر من ضرب الأمثلة العقلية والمنطقية، والشواهد من داخل تراثنا وخارجه .

في استئثار الله تعالى بالغيب ترد شبهة معرفة نوع الجنين بالأشعة السينية فيرد (كولن) بأنه ليس من الغيب معرفة شيء أصبحت مقدماته ظاهرة للعيان فتحديد الحيوان المنوي ليس من الغيب لتقدم العلم بالأسباب الدالة عليه ويؤيد قوله بأمرين:

١- كولن أسئلة العصر المحيرة ص ٦٢.

الأول: بقوله -صلى الله عليه وسلم-: "إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت"[١]، والمعنى كما يقول كولن: "إذا سبق الحيوان الذكري الأنثوي، ولقح البويضة كان المولود ذكرا، وإلا كان أنثى...وهذا من الإعجاز العلمي في السنة النبوية، واليوم يقرره العلماء فمن عرف مسألة كهذه بعد ظهور مقدماتها، وعد هذا علما بالغيب فقد خدع نفسه"[٢].

الثاني: أن كلمة ما في قوله: ﴿ **الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ** ﴾[٣] من ألفاظ العموم يعلم كل ما في الأرحام، وليس نوع الجنين فقط، فيعلم مراحل حياته كلها، ومستقبله، وشقي أو سعيد[٤].

إذن لا يعلم الغيب الحقيقي إلا الله تعالى، أما الغيب الذي يستدل عليه بأمارات وخبرات ومعلومات، فليس غيبا، بل شهادة .

٣- أما عن موضوعات العقيدة فلم يقسمها تقسيم المتكلمين، وكانت له مسمياته الخاصة، فمثلا

- سمى مايطلق عليه المتكلمون دليل الحدوث بدليل رجوع المتبدل إلى غير المتبدل فيقول: "الكون متغير وعرضة للتبدل باستمرار لذا نقول عن الكون إنه حادث اي إنه خلق فيما بعد وانه سائر نحو الاضمحلال وهو يتحرك بشكل دائم ويتحلل ونقول إن منظم وباريء هذا الكون المتحول مبرأ من التبدل والتغير أي يمكن اطلاق اسم مبدأ رجوع المتبدل إلي غير المتبدل أي أن كل شيء متغير ومتبدل يدل ويشير إلى الذات القدس المبرأ من التبدل والتغير والتحول وهو الله

١- ورد بلفظ "ذهب بالشبه.. ذهبت بالشبه مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٢١ص ٣٤٩ رقم ١٣٨٦. محمد بن حبان : صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان وصف الجنة وأهلها، ج ١٦ ص ٤٤٢ رقم ٧٤٢٣ . والحديث صحيح ذكره الألباني في: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، باب وصف الجنة وأهلها، كتاب إخباره- صلى الله عليه وسلم- من مناقب الصحابة ص ١٠/ ٤٠٨ رقم ٧٣٨٠، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢- الرد على شبهات العصر ص ١٦٨.

٣- سورة لقمان الآية:٣٤.

٤- ينظر: الرد على شبهات العصر ص ١٧٠.

سبحانه وتعالى الواجب الوجود"[١] واستدل بعدة أدلة أخرى على اثبات وجود الله مثل خلق الإنسان [٢]ودليل النظام(الإحكام والاتقان والقوانين التي تسري في الكون)' ودليل الجمال، ودليل التسخير (كل ما في الكون مسخر ومعد لخدمة الإنسان) [٣]،دليل الوجدان [٤]،دليل التعاون[٥]إلى جانب الاستدلال بالعلوم الحديثة و دليل الحدوث والإمكان، وله ردود على المنكرين لوجود الله وكلام عن الإلحاد وأسبابه وعلاجه[٦]

- وهو يتكلم عن أفعال الله تعالى وأفعال العباد وما يتصل بهما سمى كتابه القدر[٧].

- وفي الصفات لم يقسمها كالمتكلمين وإنما أثبتها إجمالا، وقسم التوحيد كتقسيم السلف إلى ربوبية وعبودية أو ألوهية وفي نفس الوقت لم يعترض على تقسيم المتكلمين، وفي التدليل على الوحدانية استدل بدليل التمانع اضافة إلى دليل النظام ودليل الهداية أو السوق الإلهي كما يسميه كولن بمعنى أن كل موجود عند توجهه نحو الهدف أو الغاية المقدر له وفق قوانين الخلق يسلك سلوكا اجباريا فأول خلق الإنسان ونموه وتحوله من مرحلة إلى أخرى يجري حسب السوق الإلهي[٨] وهذا يثبت وحدانية الله وهذه الأدلة قرآنية في المقام الأول.

٤- إضافة إلى أنه لم يتحزب لفريق أو مذهب، فساقها بصفائها معتمدا على الكتاب والسنة كسند أول، ثم وافق الجمهور كثيرا، وأحيانا وافق الماتريدية كما في اثبات صفة التكوين وكما في الكسب وآخر الأشاعرة مثل القول بوجودية الموت ، وثالث استقل برؤية واجتهاد خاص كما في مبحث اثبات وجود الله و الصفات والمعاد وغيرها.

١- أسئلة العصر المحيرة ص ١٢٧ .
٢- السابق ص ١٢٢ .
٣- ينظر: كولن: أسئلة العصر المحيرة ص ٧، ٨، ٩٤.
٤- ينظر: كولن: نحو عقيدة صحيحة ص ١٠٠ ، خواطر من وحي سورة الفاتحة ص ١١٤، وأسئلة العصر ص ١١٤ .
٥- ينظر: أسئلة العصر ص ٢٠ وخواطر من وحي سورة الفاتحة ص ١٢٣ .
٦- ينظر : كتابه حقيقة الخلق ونظرية التطور، وأسئلة العصر المحيرة، والرد على شبهات العصر.
٧- ينظر : كتابه القدر في ضوء الكتاب والسنة.
٨- ينظر كولن: القدر في ضوء الكتاب والسنة ص ٩٣.

٥- لم يبحث ولم يشغل المسلمين إلا بالموضوعات التي تفيدهم في هذا العصر، فلم يدخل في مناطق الجدل، ولم يشغل المسلم المعاصر بما لا فائدة منه من مسائل كالصفات لم يتعرض للخلاف حولها كما فعل المتكلمون بل اكتف باثباتها واتخاذها دليل على عظمة الله وجلاله وفاعليتها في التأثير في الكون والإنسان، وكذا فعل الأمر نفسه في أسمائه تعالى وكقضايا الحشر والمعاد لم يتعرض لخلاف المتكلمين عن كيفيته بل أثبت الحشر على أي حال لأن الخلاف والجدال حولها اليوم من الترف الفكري، ولا ينبي عليها عمل .

٦- في كل مسألة كان يهتم بالناحية العملية فمثلا في حديثه عن الإيمان والإسلام أكد على الناحية العملية من وراء هذا الاعتقاد وهو العمل أو التدين وفقهما وليس التعبد الشكلي فيقول: "والمؤمن والمسلم هو من يجعل الإيمان بهذا الدين إحياء لحياته ففي الإسلام وباطنه الإيمان والإذعان والتسليم وفي ظاهره الطاعة والانقياد والعمل الصالح وعرف السلف الدين بأنه: "وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات"، وإنما يكون الحصول على الثمار الدنيوية والأخروية لمنظومة حركية فعالة كهذه بقدر جعلها عنصرا لإحياء الحياة"[١]، ويقول: "ادعاء أن الدين محض مسألة وجدانية استهانة بروح الدين ووقاحة وتجاوز للحد والذي يظهر قبوله للدين –والله يتولى السرائر- ثم يقول: "اعتبر بما في قلبي" ثم يتعدى ذلك إلى اعتبار الانشغال بالجوانب العملية للدين تطرفا فإنما يمني نفسه بالأوهام الفارغة ويستتر عن المؤمنين بقناع الإيمان إن تفسير الإيمان والإسلام تفسيرا يماليء أهواء الناس وغرائزهم يخرجه عن دائرة الدين السماوي ويجعله نظاما بشريا "[٢].

ثالثا: أما عن بحثه في مجال الفلسفة والفكر الإسلامي:

يرى كولن إطلاق اسم الحكمة وهو المصطلح العربي على الفلسفة الإسلامية وهي يهدف من ذلك إلى إقامة فلسفة خاصة مرتبطة بديننا وتراثنا في المقام الأول، ومن ثم انتقد الفلاسفة المسلمين المقلدين لليونان، ودعا إلى إقامة فلسفة إسلامية خاصة بالمسلمين تنبثق من تراثهم وأصولهم لا على أصول

١- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١٧٣

٢- كولن: ونحن نبني حضارتنا ص ١٧٥

اليونان والغرب، وكفى بذلك جدة وتجديدا في الفكر، غير أنه كما دعا إلى ذلك أقام منهجا فكريا مؤسسا على تراثنا ومركزا على بحث قضايانا ومشاكلنا الذاتية المعاصرة مثل:

١- أسلمة المعرفة، وتحقيق التوازن بين مصادر المعرفة المتعددة. أسلمة المعرفة تعني صبغ العلوم الطبيعية بالصبغة الإسلامية لا الغربية، فهو يرى أن مشكلة عدم النهضة وعدم ظهور مفكرين في العالم الإسلامي مرده ومرجعه أن العلوم الوضعية الحديثة ليست من نتائج بحث وتحليل العلماء المسلمين، بل تعتمد على الفلسفة الوضعية والمذاهب الطبيعية والعقلية بالمعني الغربي فيجب - في رأيه- أن ينشأ عباقرة جدد في العالم الإسلامي راغبين في إعادة تفسير الوجود وفق معاييرهم الذاتية[١].

فهو يرى أن المسلمين ملزمون بالبحث، والإسهام في الحياة الثقافية للإنسانية بتراثهم الثقافي، ومفهومهم الحضاري، فينبغي إنشاء الجامعات والمراكز البحثية ليقوم العلماء بالتحقيق والتفسير والتحليل لكل ما قيل في العلم حتى اليوم وصياغة العلم من جديد، وإلا فلن نتخلص من هذه الازدواجية[٢].ولذا يرى (كولن) أن جهود بعض العلماء الذين يعتمدون على تحصيل العلم من الغرب أساسا ثم صبغه بصبغة إسلامية غير مجدية طالما ظل على أرضية مادية فيقول: "وأظن أنه لا يمكن (أسلمة العلم) طالما ظل على الأرضية التي هو عليها اليوم، وقد يصل المسلمون إلى نتيجة إيجابية يوما ما إذا ما فحصوا معايير الغرب وأخضعوا اكتشافاتهم للدراسة المعملية، والبحث والتدقيق من جديد، فالأرضية التي يبنى عليها العلم اليوم أرضية خاطئة، وبلوغ الصواب من طريق الخطأ أمر مستحيل، فالمقاصد الصحيحة لا بد لها من وسائل صحيحة"[٣].

٢- الاهتمام بالروح والوجدان، من خلال بحثه في التصوف، وبيان أهميته في هذا العالم المادي الذي نحياه ،ومزجه دائما آراؤه وأفكاره بالجانب الوجداني، بل وحياته الشخصية تتسم بسمة الزهاد والصوفية . .

١- ينظر: حوار مع كولن ص ١٣٧ من كتاب السلام والتسامح في فكر فتح الله كولن.
٢- فتح الله كولن : الموشور ص ٧٢ ترجمة: د عبد الرازق أحمد محمد دار النيل ٢٠١٥م.
٣- كولن: الموشور(١) ص ٧٤ .

٣- تكلم عن قضايا المسلمين العالمية، وأهمها الاتصال بالغرب عن طريق الحوار، وعن مفهوم السلام والتسامح .

٤- ناقش الشبهات التي تثار حول الإسلام، مثل الإرهاب فبين مفهوم الجهاد في الإسلام وافتراقه عن الإرهاب، وكذا شبهة تقييد الإسلام للحريات فرد على شبهة إقرار الإسلام للرق، وبين أن الحرية من قيم الإسلام الأساسية، وبين كيف أقر الإسلام حقوق المرأة ومنع استعبادها وإهانتها.

٥- في كيفية النهوض بالعالم الإسلامي قدم رؤى حضارية عن مفهوم الحضارة، وعناصرها، ومعادلة واقعية لتحقيقها.

٦- تكلم عن مشكلة الأصالة والمعاصرة، ورؤيته للتراث كأساس للبناء مع مواكبة العصر ومستجداته.

٧- وضع صفات لوارثي الأرض الذين يحملون على أكتافهم هموم الأمة ومحاولة استعادة عزها وحضارتها، وهو طرح جديد من خلال منظور إسلامي استقى اسمه من القرآن، ويذكرنا بأفكار كبار الفلاسفة كأفلاطون والفارابي، وحديثهما ورؤيتهما عن المدينة الفاضلة.

وأخيرا ومن خلال دراستي لفكر كولن يمكن القول إنه أحد المجددين في العالم الإسلامي المعاصر؛ حيث قدم منهجا يحسن الاعتداد به والنسج على منواله.

إنه وإن اشترك مع غيره في بعض الرؤى إلا أن أهم ما يميز فكره وتجربته هو الحركية، بمعنى تحويل الفكرة إلى واقع على الأرض كما فعل في مجال التعليم فطبق فكرة المدرسة الحديثة التي رآها الحل الأمثل للجمود في مجال التعليم.

وفي مجال التربية، اهتم بتربية وارثي الأرض تربية خاصة في محاضن التعليم والمحاضن التربوية التي تعتمد على عناصر عدة من بينها الروح، والعقل، والنص.

وفي مجال السلام والتسامح، اهتم بالإنسان بغض النظر عن دينه، وعرقه، فساعده في النوازل وما يحيق به من حوادث.

وفي الحوار مع الآخر، قاد المبادرة بصفة شخصية ومستمرة، وأنشأ المؤسسات لتدعيمها في الغرب.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة العقلية في فكر الأستاذ فتح الله كولن يمكن الخروج بعدة نتائج أهمها:

١- ظهر جليا من خلال هذا العرض أن لكولن منهجا جديدا يتسم بالوضوح والواقعية، فقد انشغل بقضايا العصر ومستجداته كقضايا الحوار مع الآخر، والإرهاب، وحقوق الإنسان؛ لتجلية موقف الإسلام حيالها .

٢- في منهجه ورؤاه الإصلاحية - رغم تأثره بالنورسي ومالك بن نبي في بعضها- أنه حول الفكرة والرؤية إلى واقع؛ فتبني القضاء على الجهل، والفقر، والفرقة فتحولت هذه المثل العليا (القضاء على الفقر، والقضاء على الجهل، والقضاء على الفرقة) إلى واقع بجهود من تبنى فكرته من رجال الأعمال، والمتطوعين، والناشطين.

٣- وفي رؤاه للنهضة والتجديد أسس منهجه على الذاتية أو (التراث) مع مواكبة العصر ومتطلباته وتقنياته؛ ومن أحل ذلك دعا إلى أن نجدد ذواتنا في كل شيء في الفكر، والعلوم، وغير ذلك حتى نلحق بركب الحضارة .

٤- تبنى الدعوة إلى إقامة فلسفة خاصة بالمسلمين بعيدا عن فلسفة اليونان والغرب وغيرهم، فلسفة تستمد طريقها ونظرتها من قيمنا وأصولنا، لا تقليدا وترقيعا من تراث غيرنا.

٥- يعد كولن من كبار دعاة السلام في العالم؛ فقد جسد رؤاه الفكرية في السلام والتسامح في هيئات عالمية على أرض الواقع، تهتم بالحوار والمشكلات التي تطرأ بين الشعوب والمجتمعات والمساهمة في وضع الحلول لها.

٦- مع اهتمامه بالسلام مع الآخر، إلا أنه لا يسمح بتجاوز الآخر تجاه ديننا وقيمنا فقد اشتهر رد (كولن) على بابا الفاتيكان لما هاجم الإسلام ورسوله- صلى الله عليه وسلم-، وذاعت ردوده على من يسمون الإسلام بالإرهاب، ودحض تلك الشبهة عبر المنابر الإعلامية العالمية المختلفة.

ومن ثم أوصي جميع الباحثين:

١-مناقشة المسائل والمشكلات الفلسفية المعاصرة التي تهم واقع المسلمين والاقتصاد في بحث الشخصيات الفلسفية، والفلسفة ومقدماتها- رغم أهميتها- أو على الاقل لا تكون هي كل الفلسفة، وهذه دعوة للمختصين وأعضاء هيئة التدريس في الجامعات حتى لا ننعزل عن العصر، ونخرج جيلا لا يعلم عن واقعه شيئا، ويكون عرضة للانحراف والتخبط؛ بسبب عدم تكون رؤى واضحة صحيحة لديه عن الواقع المعيش والقضايا المعاصرة.

٢-على الباحثين الجدد بحث قضايا التجديد، والقضايا المعاصرة؛ حتى نسد الفجوة في هذا المجال مثل الحضارة والنهضة، وقضايا الحريات، وحقوق الإنسان عامة .

٣-البحث والتوسع في تفسير الإسلام وقضاياه بالعلوم الحديثة؛ فذلك باب من أبواب التجديد للعلوم ومواكبة العصر؛ وبغية تقبل النشء الجديد العلوم الإسلامية والإقبال عليها وقد صارت في حلة معقولة ومناسبة لعقله وعصره.

٤-الاهتمام بأي محاولة معاصرة للتجديد؛ فذلك فوق أهميته لمواكبة العصر فهو من جانب آخر إحياء للتراث وبيان لأصالته؛ لأن الجديد مهما بلغت جدته فلن يبني رؤاه على سراب، بل سيؤسس ويشيد على التراث لا محالة.

وها هنا أكون قد وصلت إلى نهاية الرحلة في عالم (فتح الله كولن) وكان هذا غاية جهدي ومبلغ علمي، فما كان من توفيق فمن فضل الله تعالى، وما كان من زلل أو خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع[١]

أولا: القرآن الكريم .

ثانيا: الحديث وعلومه:

١-**ابن ماجه**: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) :سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – بيروت.

٢-**أبو داود** (سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ): سنن أبي داود .دار الكتاب العربي- بيروت.

٣-**أحمد بن حنبل:** أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ): مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد وآخرون، إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٤-**الألباني**(أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري) (المتوفى: ١٤٢٠هـ): إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ،إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت ،الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ):

٧- الأدب المفرد، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري مستفيدا من تخريجات وتعليقات الشيخ الألباني، مكتبة المعارف- الرياض ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٨- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة،

١- رتبت المصادر بذكر مؤلف الكتاب بما اشتهر به من اسم أو لقب - مع حذف الألف واللام من الاسم - حسب الترتيب الهجائي ثم ذكر الاسم، فالكتاب، فالمحقق أو المترجم ، ودار النشر، والطبعة، وسنة النشر.

الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.

٩- الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ): سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م

١٠- **الدار قطني**: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ): سنن الدار قطني ، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة- بيروت ١٩٦٦م.

١١- **القضاعي**: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: ٤٥٤هـ): مسند القضاعي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط: الثانية ١٠٧هـ- ١٩٨٦م.

١٢- **مسلم بن الحجاج:** (أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ):صحيح مسلم بشرح النووي مكتبة الإيمان- المنصورة.

١٣- **النسائي**(أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ):السنن الصغرى أو المجتبى من السنن، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة - مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، ط: الثانية ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

ثالثا: اللغة والمعاجم :

ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)

١٤- مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

١٥- معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

١٦- **أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي** (المتوفى: ٣٢١هـ): جمهرة اللغة، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

١٧- **أحمد مختار عبد الحميد عمر** : معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط: الأولى ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
١٨- **الخليل بن أحمد**: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ): العين، المحقق: د/ مهدي المخزومي- دإبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
١٩- **مجمع اللغة العربية** (إبراهيم مصطفى- أحمد الزيات- حامد عبد القادر- محمد النجار): المعجم الوسيط، الناشر: دار الدعوة- القاهرة
٢٠- **محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي** (زين الدين أبو عبد الله المتوفى: ٦٦٦هـ) مختار الصحاح ، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت- صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٢١- **محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي**، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ): تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

رابعا: التاريخ والتراجم:

٢٢- **ابن خلكان**: (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباءأبناءالزمان، المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر- بيروت، ط: الأولى ١٩٧١م .
٢٣- **الزركلي**: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ): الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو م.٢٠٠٢م.
٢٤- **المجلس الأعلى للشئون الإسلامية**: كتاب الإسلام في عيون المنصفين نماذج لفكر يحمل مشاعر التنوير، سلسلة قضايا إسلامية، العدد ١٦٦ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- وزارة الأوقاف -القاهرة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

خامسا: الدوريات:

فتح الله كولن

٢٥- مقال الإنسان الجديد ، مجلة حراء، عدد ١١ عام ٢٠٠٨م

٢٦- الخصوصيات الأساسية للفكر الإسلامي مجلة حراء عدد ٩٦ السنة الرابعة عام ٢٠٠٩م.

٢٧- حوار الأستاذ فتح الله كولن في صحيفة لوموند الفرنسية ١٧/ ١٢ /٢٠١٥م،ترجمة جريدة حراء.

٢٨- مقال الروح الباعثة، مجلة حراء السنة الحادية عشر العدد ٥٢ لعام٢٠١٦م

٢٩- تجديد الذات مجلة حراء عدد ٥١ السنة الحادية عشر ٢٠١٥م.

محمد جكيب:

٣٠- التغيير الناجح لمحات من المنجز في رؤية الأستاذ فتح الله كولن مجلة حراء عدد ٤٢ السنة التاسعة عام ٢٠١٤م.

سادسا: الموسوعات ودوائر المعارف:

٣١- **روني إيلي ألفا**: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ، تقديم: الرئيس شارل حلو مراجعة: دكتور/ جورج نخل ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٣٢- **عبد الرحمن بدوي**: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة: الأولى ١٩٨٤م.

٣٣- **عبد الوهاب الكيالي** : موسوعة السياسة، دار الهدى- المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٣٤- **المجلس الأعلى للشئون الاسلامية**:موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- مصر ٢٠١٤م.

٣٥- **مرفت عبد الناصر**: موسوعة تاريخ الأفكار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٧م.

٣٦- **نجيب العقيقي**: المستشرقون موسوعة في تراث العربمع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتى اليوم. دار المعارف، ط: الثالثة ١٩٦٥م.

سابعا:المواقع الإلكترونية:

HERKUL. ARAB

٣٧- مقال محور أصول الدين بتاريخ ٤/ ٢٠١٦م.

٣٨- **موقع(فتح الله كولن):**مقال فتح الله كولن: (الوعي الجمعي) .

ثامنا :الكتب العلمية:

٣٩- **إبراهيم مدكور(الدكتور):** في الفكر الإسلامي، الهيئة العامة للكتاب٢٠٠٨م.

٤٠- **أحمد الطيب(الإمام الأكبر): التراث والتجديد ، هدية مجلة الأزهر شعبان ١٤٣٥هـ.**

٤١- **أحمد عرفات القاضي:** تجديد الخطاب الديني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٨م.

٤٢- **أحمد محمد الحوفي:** سماحة الإسلام، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٧م.

٤٣- **أرطغرول حكمة** : فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر، ترجمة: عبد المولى علي جربيع- خالد جمال عبد الناصر، دار النيل، ط: الأولى ٢٠١٣ م

٤٤- **أسماء منصور:** العالم الإسلامي وتيارات الفكر الإلحادي ، مركز الفجر للطباعة.

٤٥- **اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم: د/ حسن حنفي مراجعة: د/ فؤاد زكريا، دار التنوير للطباعة والنشر- بيروت، ط: الأولى ٢٠٠٥م.**

٤٦- **-الآمدي** (سيف الدين أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي (المتوفى: ٦٣١هـ):الإحكام في أصول الدين، تحقيق: عبد الرازق عفيفي، المكتب الإسلامي بيروت- لبنان.

٤٧- **بيتر بروكر**: الحداثة وما بعد الحداثة، ترجمة: د: عبد الوهاب علون، مراجعة: د/ جابر عصفور، منشورات المجمع الثقافي – أبو ظبي- الإمارات، ط: الأولى ١٩٩٥م.

٤٨- **بيجوفيتش**(علي عزت بيجوفيتش): الإسلام بين الشرق والغرب تقديم:

عبد الوهاب المسيري، ترجمة: محمد يوسف عدس، دار الشروق ط: الثالثة ٢٠١٣م.
٤٩- **جون.ر.ميلتون جولدينجر**: الفلسفة وقضايا العصر، ترجمة: د/ أحمد حمدي محمود، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٠م.
٥٠- **جيل كارول**: محاورات حضارية حوارات بين فتح الله كولن وفلاسفة الفكر الإنساني تقديم: البروفيسور/ أكبر أحمد ترجمة: إلهام فتحي- أحمد سعيد، دار النيل ط الأولى ٢٠١١م.
٥١- **حامد طاهر**: الفلسفة الإسلامية في العصر الحديث، مكتبة نهضة مصر ،الطبعة الثانية ٢٠٠٩م.
٥٢- **حسين مؤنس**: الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها..سلسلة عالم المعرفة-المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت.

دار النيل- القاهرة:

٥٣- مؤتمر دولي: مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية، ٢٠٠٩م ط: الأولى ٢٠١١م
٥٤- كلمات شاهدة حول الدين والمجتمع والدولة بأفق إنساني ٢٠١٥م.
٥٥- **رمضان خميس**: مفهوم السنن الإلهي، مكتبة الشروق الدولية، ط الأولى ٢٠٠٦م.
٥٦- **زكي ساري توبراك** : السلام والتسامح في فكر فتح الله كولن، دار النيل- القاهرة ٢٠١٤م.
٥٧- **زكي نجيب محمود:** تجديد الفكر العربي ص ١٨ ، دار الشروق.
٥٨- **سعيد شبار**: مختصر كتاب الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي – الولايات المتحدة الإمريكية، ط: الأولى ٢٠١٦م.
٥٩- **شفيق جاسر أحمد محمود**: الفتح العمري للقدس نموذج للدعوة بالعمل والقدوة، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السادسة عشرة، العدد الواحد والستون محرم- صفر- ربيع الأول

١٤٠٤هـ.

٦٠- طه عبد الرحمن: روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء، ط الأولى ٢٠٠٦م.

٦١- **عبد الله بن يوسف بن عيسى العنزي**: تيسير علم أصول الفقه- مؤسسة الريان- بيروت- لبنان ط الأولى ١٩٩٧م.

٦٢- **عبد الباسط محمد أمين سليمان:** المسلمون والآخر حوار تفاهم وتبادل حضاري تقديم: محمد إبراهيم الفيومي الأزهر الشريف- سلسلة البحوث الإسلامية السنة التاسعة والثلاثون- الكتاب السابع عشر ٢٠٠٨م.

٦٣- **عبد الرحمن بن خلدون** : مقدمة ابن خلدون وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن والحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: د/ سهيل زكار، دار الفكر- بيروت- لبنان ١٤٣١هـ - ٢٠٠١م.

٦٤- **عبد الحميد أبو سليمان**: قضية المنهجية في الفكر الإسلامي – المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٩٩٥م.

٦٥- **عبد العزيز برغوت**: ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية في ضوء المقاربة الحضارية مجلة إسلامية المعرفة، العدد ٤٩ عام ٢٠٠٧م.

٦٦- **عبد العزيز التويجري**: الاجتهاد والتجديد والحداثة رؤية إسلامية في أفق مستقبلي، مؤتمر تجديد الفكر الإسلامي المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عدد ١٧٠ **عام ٢٠٠٩م.**

٦٧- عبد القار الإدريسي: نور وفتح قراءة في فكر سعيد النورسي وفتح الله كولن، دار النيل، ط الأولى ١٤٣٦هـ- ٢٠١٤م.

٦٨- **عبد المنعم النمر** : حضارتنا وحضارتهم دار المعرفة سلسلة كتابك (٤٣).

٦٩- **عدنان محمد أمامة:** التجديد في الفكر الإسلامي، دار ابن الجوزي، ط الأولى ١٤٢٤هـ.

٧٠- **عزالدين فراج**: نبي الإسلام في مرآة الفكر الغربي، تقديم: د/ محمد

عمارة، هدية مجلة الأزهر لشهر ربيع الأول ١٤٣٤هـ.

٧١- **علي أونال:** فتح الله كولن ومقومات مشروعه الحضاري، ترجمة: عبدالرازق أحمد محمد، دار النيل، ط: الأولى ٢٠١٥م.

٦٠-**علي عزت بيجوفيتش: الإسلام بين الشرق والغرب، دار الشروق.**

فتح الله كولن:

٧٢- **الاستقامة في العمل والدعوة،** سلسلة أسئلة العصر المحيرة (٣) ترجمة: أورخان محمد علي- د/ عبد الله محمد عنتر، دار النيل، ٢٠١٥م.

٧٣- **الرد على شبهات العصر،** ترجمة: أورخان محمد علي- عبدالله محمد عنتر ،دار النيل، ط: الأولى ٢٠١٣م.

٧٤- **روح الجهاد وحقيقته في الإسلام،** ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل ،الطبعة: السابعة ٢٠١٢م ..

٧٥- **الموازين أو أضواء على الطريق،** ترجمة: أورخان محمد علي، دار النيل، ط: السابعة ١٤٣٣ه- ٢٠١٢م.

٧٦- **الموشور(١)** تقديم: أحمد قوروجان، ترجمة: عبد الرازق أحمد محمد، دار النيل ٢٠١٥م.

٧٧- **نحن نبني حضارتنا** المترجم: عوني عمر لطفي أوغلو، دار النيل، ط الثانية ٢٠١٢م.

٧٨- **ونحن نقيم صرح الروح،** ترجمة: عوني عمر لطفي أوغلو، دار النيل- القاهرة، ط: الخامسة ٢٠١١م- ١٤٣٢هـ.

٧٩- مالك بن نبي: شروط النهضة ترجمة: عبد الصبور شاهين – عمر كامل المسقاوي بإشراف: ندوة مالك بن نبي، دار الفكر- دمشق.

٨٠- محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ترجمة: عباس محمود، دار الهداية ط الثانية ٢٠٠٠م..

٨١- **محمد أنس أركنه** : فتح الله كولن جذوره الفكرية واستشرافاته الفكرية، دار النيل، ط: الثانية ٢٠١١م.

محمد بابا عمي:

٨٢- البراديم كولن فتح الله كولن ومشروع الخدمة على ضوء نموذج الرشد ،

دار النيل ط الأولى ٢٠١١م

٨٣- لزمن والوقت نصوص ومفاهيم مؤسسة على الرؤية الكونية لفكر الأستاذ فتح الله كولن دار النيل، ط الأولى ٢٠١٣م.

٨٤- **محمد جكيب** : أشواق النهضة والانبعاث، دار النيل- القاهرة، ط : الأولى ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٧٢-محمد حسين هيكل: حياة محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: السادسة ٢٠١٢م.

٧٣- **محمد رشيد رضا**: الوحي المحمدي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع ٢٠١٤م.

٧٤- **محمد سليم العوا**: التجديد في الفكر الإسلامي رؤية معاصرة ، محاضرة في مجمع الفقه الإسلامي في جدة ١٣ يناير ٢٠٠٦م.

٧٥- **محمد عابد الجابري**: التراث والحداثة دراسات ومناقشات مركز دراسات الوحدة العربية ، ط الأولى ١٩٩١م.

٧٦- **محمد عبد المنعم خفاجي**: حوار الحضارات بين الشرق والغرب، سلسلة قضايا إسلامية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر العدد ٢٠٦ ط الثانية ٢٠١٢م.

محمد عمارة :

٧٧- الإسلام وحقوق الإنسان ضرورات لا حقوق، دار الشروق، ط: الثانية١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٧٨- روح الحضارة الإسلامية، دار النيل- القاهرة.

٧٩- مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٣م.

٨٠- الموقف من الحضارات الأخرى أسباب انتشار الإسلام شهادة غربية مكتبة الشروق..

٨١- **محمد عوض الجزيري:** الفقه على المذاهب الأربعة، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ط الثانية ٢٠٠٣م.

٨٢- **محمد محفوظ:** الاسلام والغرب والمستقبل ص ٣١-٣٢ المركز الثقافي

العربي- الدار البيضاء ط الأولى ١٩٩٨م،
٨٣- **محمد مهدي علام:** المجمعيون في خمسين عاما، مجمع اللغة العربية- القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٨٤- **محمود حمدي زقزوق**: الإنسان والقيم في التصور الإسلامي هدية مجلة الأزهر لشهر رمضان ١٤٣٦م.
٨٥- **مصطفى الشكعة:** إسلام بلا مذاهب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠١٧م.
نوسه السيد محمود:
٨٦- التصوف في القرن الثاني الهجري مدارسه ورجاله، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة ٢٠١٢م
٨٧- فتح الله كولن وآراؤه الكلامية والفلسفية، رسالة دكتوراه جامعة الأزهر ٢٠١٨م..
٨٨- **وهبة الزحيلي**: الفقه الإسلامي وأدلته دار الفكر- سورية- دمشق، ط الرابعة.
٨٩- **هدى درويش**: تقارب الشعوب موعد الحضارات دعوة المفكر الإسلامي التركي فتح الله جولن نموذجا، دار السلام- القاهرة ٢٠١٠م.
يمنى طريف الخولي:
٩٠- الطبيعيات في علم الكلام من الماضي إلى المستقبل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
٩١- أمين الخولي والأبعاد الفلسفية للتجديد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	١٣٩
الفصل الأول: حقوق الإنسان	١٤٥
المبحث الأول: السلام في فكر كولن	١٥١
المبحث الثاني: قضية الإرهاب	١٥٧
المبحث الثالث: الحوار مع الآخر	١٧٢
المبحث الرابع : الحرية	١٨٦
المبحث الخامس: الشورى والديمقراطية	١٩٧
المبحث السادس: حقوق المرأة:	٢١١
الفصل الثاني: الحضارة .	٢٢٢
المبحث الأول: مفهوم الحضارة	٢٢٤
المبحث الثاني: موقف كولن من الحداثة:	٢٣١
المبحث الثالث: دور السنن الإلهية في قيام الحضارات	٢٣٨
المبحث الرابع: معادلة الحضارة	٢٤٦
العنصر الاول: الإنسان أو وارثو الأرض	٢٤٧
العنصر الثاني: الزمن	٢٦٠
العنصر الثالث: دولة حرة مستقلة	٢٦٣
الفصل الثالث: التجديد .	٢٦٦
المبحث الأول: التجديد مفهومه، ضرورته، مجالاته	٢٦٩
المبحث الثاني: منهج كولن في النهضة والتجديد	٢٩١
المبحث الثالث: التطبيق العملي لفكر كولن في التجديد	٣١٥
الخاتمة	٣٢٢
فهرس المصادر والمراجع	٣٣٤